موسوعة الأعمال الكاملة

لسماحة الإمام

يوسف القرضاوي

المجلد الثالث والثمانون

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأَعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المِحوَرُ الحَادِي عَشر

خُطَبُ الجُمُعَةِ

١٦٤ خطب الشيخ القرضاوي ١

١٦٥ خطب الشيخ القرضاوي ٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٦٤

خطب الشيخ القرضاوي

١

غير مرخصة للطباعة

إعداد

د. خالد السعد

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ
وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» متفق عليه.

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله**» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح. وابن ماجه.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمــة

الحمد لله الَّــذي بنعمه تتمُّ الصالحــات، الَّذي هدانا لهــذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله.

والصلاة والسلام على إمام الدُّعاة، الرحمة المُهداة، والنِّعمة المُسداة، ســيِّدنا وإمامنا وأســوتنا وحبيبنا مُحَمَّد، وعلى آلــه وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فإنَّ من أعظم نِعم الله على الإنســان أن يُوَفِّقه إلــى توظيف مواهبه وقدراته في نُصرة الحقِّ، لا في تأييد الباطل، وفي سبيل الله لا في سبيل الطاغوت.

وإنِّي لأحمد الله تعالى حمدًا كثيــرًا طيِّبًا مباركًا فيه، على أنْ وظَّفني منذ بدء الشباب في خدمة دينه، ونُصرة دعوته، وتبليغ رسالته إلى خلْقه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالَّتي هي أحسن.

فمنذ أنْ أتممتُ السابعةَ عشْــرةَ من عمري، وأنا أعتلي المنبر لخطبة الجمعة، ودعوة النَّاس إلى الله تعالــى، ولا زلتُ أذكر أوَّل خطبة خطبتها

QaradawiBooks.com

في «جامع المتولِّي» بقريتنا «صفط تراب» وأنا في السنة الرابعة من القسم الابتدائي بمعهد طنطا، كان موضوعها «الشكر لله سبحانه على نعمائه». وقد استقبلها أهل البلدة استقبالًا حسنًا، بل ممتازًا، وكانت موضع إعجابهم وثنائهم، وحديثَ المجالس بينهم، ولا سيَّما الأزهريِّين[١].

فقد وجدوا في هذه الخطبة نمطًا جديدًا: في المضمون، وفي طريقة التناول والاستدلال، والعَرض والأداء، ولم تكن تقليدًا لأحد، بل كانت نسج وحْدِها

كان هذا الاستقبال مُشَجِّعًا لي على التَّكْرار والاستمرار كُلَّما وجدتُ الفرصةَ سانحةً في القرية، أو في غيرها، وخصوصًا بعد أن انضممتُ إلى جماعة الإخوان المسلمين في طنطا، واعتبروني داعيةً من دعاتهم، وراحوا يبعثون بي إلى القرى والمدن في أنحاء «مديريَّة الغربيَّة» الَّتي كانت تشمل في ذلك الوقت ما يعرف الآن بـ«محافظة الغربيَّة، ومحافظة كفر الشيخ» وأكثر «محافظة دمياط»، وبعض «محافظة الدقهليَّة».

وفي سنة (١٩٥١م) عملتُ خطيبًا منتظمًا في «مسجد آل طه» بمدينة المحلَّة الكبرى، المدينة الصناعيَّة العُمَّاليَّة الشهيرة، وقد كان النَّاس يؤمُّون المسجد بالآلاف، ويُصَلُّون في الشوارع، ممَّا دفع أصحاب المسجد ـ جزاهم الله خيرًا ـ أن يبنوا بجواره مُلحقًا من عِدَّة طوابق، يسع أضعافَ ما يسع المسجدُ الأصليُّ.

---

(١) أمَّا أول درس ديني لي ألقيته على الناس، فقد سبق الخطبة بنحو سنة، وذلك في شهر رمضان، حين تأخر العالم الموكول إليه درس العصر، وهو الشيخ عبد المطلب البتة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حضور الدرس، وتلفتَ النَّاس يمينًا وشمالًا، فوجدوني، فقالوا: ما قولك يا شيخ يوسف في أنْ تجلس وتقول لنا كلمتين مما تعلمت في الأزهر؟ وقد كان. وفي الدرس تلقيت أسئلة وأجبت عنها بتوفيق الله إجابات رضي النَّاس عنها، وتحدَّثوا بها، ولله الحمد.

QaradawiBooks.com

وكان أحد إخواني وتلاميذي المُخْلِصين ـ وهو الأديب الشاعر الداعية الأستاذ مُحَمَّد حوطر ـ يُسَجِّل هذه الخطب بقلمه، وكان له طريقة خاصَّة في الاختزال، يُسَوِّدها بقلمه أو بأقلامه الرصاص، أثناء الخطبة، ثمَّ يُبيِّضها في المساء قبل أنْ ينسى.

وقد تجمَّع لديَّ عدد من الخطب لا بأس بها، اقترح الأصدقاء أنْ أنشرها وأُخرجها للنَّاس في صورة كتابٍ أو ديوان، قد يكون فيه ما ينفع النَّاس، ويحتذيه الخطباء الناشئون، وفعلًا أعددتُ مجموعة منتقاة من الخطب، بعد أنْ هذَّبْتُها ونقَّحتها، وسمَّيتها: «**نفحات الجمعة**».

ولكن شاء الله أنْ يذهب هذا الديوان مع ما ذهب عند حلِّ جماعة الإخوان الحلَّ الأوَّل في عهد الثورة في يناير (١٩٥٤م)، وذهبت معه فكرة جمع الخطب، حتَّى بعد أنْ عُيِّنْتُ خطيبًا بجامع الزمالك سنة (١٩٥٦م) في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر، وشعور المسؤولين بشدَّة الحاجة إلى خطباء مرموقين يُقَوُّون الرُّوح المعنويَّة لدى الشعب، ويُشعلون جذوة الحماسة في صدره، فرغبت إليَّ وزارة الأوقاف ووزيرها الشيخ أحمد حسن الباقوري، ومعه شيوخنا: البهي الخولي، ومحمد الغزالي، وسيِّد سابق؛ أن أتولَّى الخطابة في هذا المسجد الَّذي كان يخطب فيه الشيخ الغزالي، ثمَّ نُقل إلى منبر الأزهر.

وظللتُ نحو سنة ونصف أخطب في مسجد الزمالك، وأعقد ندوة بعد الصلاة للردِّ على أسئلة المُصَلِّين فيما يتعلَّق بأمور دينهم.

ولم يُفَكِّر أحد في جمع هذه الخطب لسببٍ بسيط، هو أنَّ هذه الخطب كانت مرتجلة، ولا يوجد من يكتبها مثل الأخ حوطر، ولا من يُسَجِّلُها على شريط، فقد كان التسجيل الصوتي في ذلك الوقت أمرًا نادرًا ومُكَلِّفًا.

QaradawiBooks.com

وحينما قدمتُ إلى الدوحة في سنة (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) معارًا من الأزهر، ظننتُ في أوَّل الأمر أنِّي سأنزوي مُتَفَرِّغًا للكتابة، تاركًا لغيري الخطب والدروس والمحاضرات.

ثُمَّ تبيَّن لي أنِّي كنتُ واهمًا، فسرعان ما اختلطتُ بالمجتمع القطري، الَّذي دفعني إلى ممارسة مهنتي ورسالتي القديمة: الخطابة والدروس.

فأمَّا الخطب، فلم تكن منتظمة، إلَّا حينما أتسلَّم مسجدًا لفترةٍ من الزمن.

وأمَّا الدروس، فكانت تنتظم في رمضان، بعد العصر في مسجد الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد، ثمَّ أمير البلاد بعد ذلك.

وفي التراويح في المسجد الَّذي أُصَلِّي فيه.

وقد انتقلتُ من مسجدٍ إلى آخر، حتَّى استقرَّ بي المقام منذ نحو عشرين عامًا في مسجد الشيوخ الكبير.

وإنَّما انتظمتُ في الخطابة منذ أُنشئ مسجد أبي بكر الصِّدِّيق بالدوحة، وأُسند إليَّ خطبة الجمعة به.

ثم أُنشئ مسجد عمر بن الخطاب، فنقلت إليه، وغدا هو المسجد الَّذي تُذاع منه خطبة الجمعة في التلفاز على الهواء.

ومنذ انتظامي في الخطابة بالدوحة، وبعض الإخوة يُسَجِّلون هذه الخطب، بعضها على أشرطة «الكاسيت»، وبعضها على «الفيديو».

أمَّا دروس رمضان عصرًا وعشاء لمدَّة ثلاث وثلاثين سنة، فقد سُجِّل منها أعداد كبيرة، بعضها كان عندي، ثمَّ اكتشفت منذ سنوات أنَّها قد أصابها البِلى والتلف؛ لأنَّها لم تحفظ بطريقة صحيحة.

QaradawiBooks.com

وهناك إخوة كرام سجَّلوا كثيرًا من الخطب والمحاضرات في بلاد شتَّى.

وفي إذاعــة قطر «حديث الغروب» في شــهر رمضــان لمدَّة خمس سنوات، وبرنامج «نور وهداية» لمدَّة بضعة عشر عامًا.

أمَّا تليفزيون قطر، فيوجد فيه برنامج «هدي الإســلام» الَّذي بدأ منذ أنْ بدأ التليفزيون وإلى اليوم، وهو أجوبة عن أسئلة المواطنين في شؤون الدِّين والحياة.

كما يوجد فيه أحاديث برنامج «من مشكاة النبوَّة» حديث العصر في رمضان لمدَّة خمسة أعوام، وقد شــرع أخ كريم في تسجيلها وتفريغها بُغْيَة نشرها.

ومنذ عدَّة سنوات وكثير من الإخوة يطلب مِنِّي تفريغ خطبي، لتطبع ويســتفيد منها النَّاس فيما يرون، ومنهم الأخ الأستاذ قطب عبد الحميد قطب الَّذي أخرج خطب شــيخنا الغزالي، وكنتُ مُتَرَدِّدًا في أوَّل الأمر؛ لأنَّ الكلام المرتجل له طبيعته وأســلوبه الخاصُّ، فــإذا كُتِبَ ربَّما فقد تأثيره وحرارته.

ثُمَّ شــرح الله صدري لذلك، وعندمــا عرض علــيَّ الأخ الفاضل، والشــابُّ العالم الصاعد الواعد: الأســتاذ خالد خليفة الســعد من دولة البحرين هذه الفكرة، وشفعها بأنْ أرسل إليَّ بعض النماذج الَّتي فرَّغها، وعلَّق عليها، وخرَّج أحاديثها باختصار، إلَّا القليل ممَّا لم يعرف مَظَانَّه، فطلب مِنِّي أنْ أُخَرِّجه.

كما طلب إليَّ مراجعة هذه الخطب وملء بعض الفجوات ممَّا يكون قد تآكل من الشريط، وإقرارها في صورتها النهائيَّة.

QaradawiBooks.com

وقد عرفت من الأخ خالد ولمست أنَّه مستمعٌ ممتاز لخطبي، وقارئ ممتاز لكتبي، وأنّه مُتَتَبِّع جيِّد للكثير الكثير من محاضراتي المُسَجَّلة، ومقالاتي المنشورة، وهذا كلُّه رجَّح عندي قيامه بهذا العمل؛ فهو أهل لهذا الأمر لأكثر من سبب أهَّلته له:

دراسته الشرعيَّة؛ فهو يُعِد الآن للماجستير في جامعة الزيتونة في تونس.

وأهَّله له شغفه بالعلم والقراءة.

وأهَّله له اشتغاله بالدعوة إلى الله؛ فهو يخطب ويُدَرِّس في أحد مساجد البحرين.

كما أهَّله أمرٌ آخر هو حبُّه لصاحب هذه الخطب وتعلُّقه به، أسألُ الله أنْ يجعلني خليقًا بهذه العواطف النبيلة.

ولا أريد أنْ أتحدَّث عن هذه الخطب، بل أدعها تُقَدِّم نفسها للقارئ، وحسْبي أنْ أقول: إنَّها قطعة من نفسي، مُعَبِّرة عن فكري ومشاعري، موصولة بكتاب الله، وسُنَّة رسوله الكريم، وتراث هذه الأُمَّة العظيمة، وأبطالها الغُرِّ الميامين في شتَّى أدوار التاريخ: أبطال العلم والفِكْر، وأبطال العمل والتقوى، وأبطال الإصلاح والتجديد، وأبطال الجهاد والكفاح.

كما أنَّها موصولة بواقع العالم عامَّة، وواقع العالم الإسلامي اليوم خاصَّة: بآلامه وآماله، بما يعانيه من كيد أعدائه، وجهل أبنائه، وعجز علمائه، وسَرَف أغنيائه، وضياع فقرائه، وفساد أمرائه.

وما يجاور ذلك من مُبَشِّرات تتمثَّل في هذه الصحوة الإسلاميَّة الشاملة، والبعث الإسلامي الكبير، الَّذي جدَّد العقول بالعلم، وجدَّد

QaradawiBooks.com

القلوب بالإيمان، وجدَّد الحياة بالجهاد والتضحية في سبيل الله، وهيَّأ أجيالًا تعمل بالإسلام وتعمل للإسلام، وتدعو إلى الإسلام عقيدة وشريعة، ودينًا ودولة، وتعتبر المسلمين أينما كانوا أُمَّة واحدة يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويردُّ عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على مَن سواهم.

إنَّ المسجد في الإسلام له رسالة أساسيَّة في الحياة الإسلاميَّة، فهو يقوم بمُهِمَّة كبيرة: دعويَّة وتثقيفيَّة وتربويَّة.

ولكنَّ رُوح المسجد هو إمامه وخطيبه، الَّذي يمكن أنْ يوقظ النَّاس وأنْ يُنَوِّمهم، يمكن أنْ ينهض بهم وأنْ يُخدِّرهم، وذلك بحسَب ما يُقدِّم لهم في خطبه ودروسه، فإذا قدَّم لهم الدين: عقيدة سليمة، وعبادة خالصة، وأخلاقًا فاضلة، وآدابًا سامية، وأعمالًا صالحة، وتشريعات عادلة، وعلومًا نافعة، وفنونًا راقية، وحضارة متوازنة، معبّرًا عن أفكاره بأسلوبٍ بَيِّن، وشرحه شرحًا يُقنع العقل، ويستميل القلب، ويُحَرِّك الإرادة، جامعًا بين الأصالة والمعاصرة، معتمدًا على المصادر الموثّقة، بعيدًا عن إسرائيليَّات التفسير، ومنكرات الحديث وموضوعاته، وخرافات العوام، وأوهام الخواص، مُتَحَرِّيًا منهج الاعتدال والوسطيَّة في تناوله للقضايا، بمَعْزِل عن غلوِّ الغالين، وتفريط المُتَسَيِّبين.

إذا فعل ذلك كان في عداد المصلحين المخلصين، والموقظين النافعين، والعلماء الربَّانيِّين، وقليلٌ ما هم.

أمَّا إذا قُدِّم الدِّين على عكس هذه الصورة؛ فإنَّ إثمه أكبر من نفعه، وهو يهدم أكثر ممَّا يُشيِّد، ويَضُرُّ أكثر ممَّا يُفيد، وهو ـ للأسف ـ ما يصنعه كثيرون من الخطباء الَّذين تَضِجُّ منهم المنابر، وتشكوهم المساجد.

QaradawiBooks.com

إنَّ المسجد إذا قام برسالته كما ينبغي، يستطيع أنْ يُحدث انقلابًا سلميًّا في حياة المسلمين، حين يُوَعِّيهم بواجبهم، ويُعايشهم في همومهم، ويُنَبِّههم على نقاط ضعفهم ليقووها، وعلى ثغرات حياتهم ليجتهدوا أنْ يَسُدُّوها، فهو يُفَقِّههم بحقائق دينهم، ويُرَقِّيهم في أمر دنياهم.

والمطلوب من الخطيب هنا أنْ يقوم بهذه الرسالة العظيمة في غايةٍ من الرفق والحكمة؛ حتَّى لا يتنبَّه له محترفو السياسة، فيحسوا أنَّ في هذه التوعية المستمرة، والتوجيه القوي الدائم، خطرًا على كراسيِّهم وعلى سرفهم وترفهم، وانحرافهم عن نهج الإسلام السويِّ، فيعملوا على إبعاده عن منبره، وإسكات صوتٍ كان ينطق بالحقِّ، ويدوِّي بالخير، ويدعو إلى العدل، وإلى صراط مستقيم.

لقد شعر رجال التنصير في أوائل هذا القرن «العشرين الميلادي» في مصر بأهميَّة خطبة الجمعة ولقاء الجمعة، فكتب أحد قادتهم في تقريرٍ له قال في ختامه ما معناه: إنَّ الإسلام سيظلُّ صخرة عاتية تتحطَّم عليها محاولات التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الركائز الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحجِّ السنوي.

ولذا حاولوا إضعاف تأثير هذه الأربع بأساليب شتَّى لا يتَّسع المقام لذكرها هنا.

فلا بدَّ للخطباء أنْ يدركوا منزلتهم وأهميَّتهم في المجتمع المسلم، وإن لم يأخذوا حقوقهم الماديَّة كما يجب، فهذا جزء من الخُطَّة المرسومة.

ونصيحتي لأبنائي وإخواني الخطباء أنْ يُجَدِّدوا معلوماتهم باستمرار، وأنْ يَظَلُّوا يُقْرِؤون، كما كان السلف يفعلون، فليس هناك وقتٌ يقف فيه

QaradawiBooks.com

المرء عن القراءة؛ فالعلم بحرٌ لا ساحل له ولا قرار، والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ﴾ [طه: ١١٤].

فلا بدَّ للخطيب الَّذي يواجه النَّاس كلَّ أسبوع أنْ يقرأ ويستزيد ويستنير؛ حتَّى لا يُكَرِّر نَفْسَه، ويُمِلَّ سامعيه، ولا بدَّ له من أن يُنَوِّع قراءاته، ما بين دينيَّة وأدبيَّة وتاريخيَّة وإنسانيَّة وغير ذلك من أنواع الثقافات الَّتي ذكرتُها في كتابي «**ثقافة الداعية**».

ولا بدَّ له قبل ذلك من أنْ يُجَرِّد نيَّته لله تعالى، وأنْ يجاهد نفسه للتخلُّص من حظوظها في حبِّ الظهور ومراءاة النَّاس؛ فإنَّ النَّاس لن يُغنوا عنه من الله شيئًا، وليجعل شعاره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فهذا الإخلاص هو الَّذي يجعل لكلامه حرارة، ويمنحه قوَّة التأثير في الآخرين، فقد قيل: إنَّ الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلوب، وإذا خرج من طرف اللسان لم يتجاوز الآذان.

وفي هذا قيل: ليست النائحة الثَّكْلى مثل النائحة المُسْتَأْجَرة(١)!

وينبغي للخطيب أنْ يكون على سجِيَّته، لا يتكلَّف أنْ يُقَلِّد غيره، أو أنْ يكون نسخة من فلان أو عِلَّان من النَّاس؛ حتَّى لا يفقد أصالته، على أنَّه لن يكون مثل الأصل الَّذي يُقَلِّده مهما حاول.

وينبغي للخطيب أنْ يحترم المنبر الَّذي وقف عليه رسول الله ﷺ فلا يستخدمه في غير أهداف الدِّين، وتوعية المسلمين، وتجميع

(١) قاله ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني لابنه عمر، انظر: العقد الفريد (١٤٩/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

صفوفهم على الهدى، وكلمتهم على التُّقَى، وقلوبهم على المحبَّة، ونيَّاتهم على الصدق، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

كما ينبغي له أنْ يتجنَّب إثارة المسائل الفرعيَّة الخلافيَّة، الَّتي من شأنها أنْ تفرِّق الجماعات، وتنشئ الحزازات، وتزيد الأُمَّة انقسامًا، وأنْ يتناول ذلك عند الحاجة في دروسه بعلم وموضوعيَّة ورُوح أخويَّة بنَّاءة.

كما ينبغي للخطيب أنْ يكون كلامه صورة لنفسه، ومُعَبِّرًا عن سلوكه، وألَّا يدعو النَّاس إلى شيءٍ يعمل هو بضِدِّه، وينهاهم عن أمرٍ هو مُتَوَرِّط فيه، فيقول له النَّاس في قرارة أنفسهم، وربَّما بألسنتهم: يا طبيبُ، داوِ نَفْسَكَ أوَّلًا.

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قد أصبحتَ مُتَّهَمًا إذ عِبْتَ منهم أمورًا أنت تأْتِيها
تَعِيبُ دُنْيَا وناسًا راغبين لها وأنت أكثرُ منهم رغبةً فيها[1]

والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال لبني إسرائيل: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ثمَّ على الخطيب أنْ يكون دائم الضراعة والابتهال إلى الله تعالى، موصول الحبال بربِّه، يسأله سبحانه أنْ يُسدِّد لسانه، ويُثبِّت قدمه، ويرزقه

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: جامع بيان العلم وفضله (٦٧١/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وديوان أبي العتاهية صـ٤٦٩، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

التوفيق والعون من عنده تعالـــى، فما التوفيق إلَّا بالله، وما العون إلَّا من الله، ورحم الله الشاعر الَّذي قال:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِـنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْـهِ اجْتَهَادُهُ[1]!

شكر الله للأخ المحبِّ الحبيب خالد الســعد، جهده وسعيه، وجزاه عني وعن الإســلام والمســلمين خير ما يجــزي عباده الَّذيــن يعلمون فيعملون، ويعملون فيُخْلِصون، ويُخْلِصون فيُقبلون. آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

يوسف القرضاوي

* * *

---

(١) ينسب إلى علي رضي الله عنه . انظر: الفرج بعد الشــدة للتنوخي (١٧٧/١)، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمــة

أحمد الله تعالى على نعمه الَّتي لا تُعدُّ، وآلائه الَّتي لا تُحصى.

وأصلِّي وأسلِّم على مُعَلِّم النَّاس الخير، سَيِّدنا ونبيِّنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه، وعلى من اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(وبعد)

فلا أجد نفسي في حاجة إلى أنْ أُعَرِّف بصاحب هذه الخطب: سماحة أستاذنا العلَّامة، الفقيه الجليل، إمام العصر، الدكتور الشيخ يوسف بن عبد الله القرضاوي حفظه الله ورعاه؛ فهو في غنًى عن التعريف والتنويه؛ فقد سارت بذكرِ علمه الرُّكْبان، ولم يعد بلدٌ من بلدان الإسلام إلَّا واطَّلع على فقهه وتتلمذ عليه، وله في كلِّ بلدٍ تلاميذ، وفي كلِّ قُطْر مُرِيدون.

ويُعَدُّ سماحته واحدًا من أبرز رموز الدعوة الإسلاميَّة في العصر الحديث، وتُمَثِّل قضايا الصحوة وسبل ترشيدها هاجسَه الدائم، وشغله الشاغل، وله في هذا المَيْدان جهود جبَّارة، ومساهمات ملموسة، لا ينكرها إلَّا جاحدٌ أو حاسد أو مكابر.

QaradawiBooks.com

وسماحة الشيخ القرضاوي في طليعة الخطباء المرموقين والموهوبين، الَّذين اشتهروا بخطبهم منذ سنوات طويلة، لا على مستوى قَطر والخليج، بل على مستوى العالم كُلِّه.

وخطبه دائمًا مرتبطة بالواقع، تُقَوِّم اعوجاجه، وتعالج أمراضه، في ضوء تعاليم الإسلام، مُوَثَّقة بالأدلَّة، خالصة من الزوائد والشوائب، بعيدة عن تحريف الغالين وانتحال المُبْطلين وتأويل الجاهلين، لا غلوَّ فيها ولا تفريط، لا تسكت عن حقٍّ ولا تتكلم بباطل.

والأسلوب الَّذي يسلكه الشيخ القرضاوي حفظه الله في عرض الإسلام على جماهير النَّاس أسلوبٌ مُتَمَيِّز، وهو من أنجح الأساليب في ترسيخ قِيَم الإسلام وعقائده في العقول والأنفس؛ لما يتسم به من جمال العرض، وصدق اللهجة، وحرارة العاطفة، فضلًا عن الروح المتدفِّقة بالإيمان الحي المتحرك والمتفاعل مع النَّاس والأحداث.

مع ما حباه الله به من فصاحة اللسان، وثبات الجنان، ورباطة الجأش، وقوَّة الصوت، ومَلَكة التعبير، وجمال الأسلوب، وجودة الفهم، وسَعة الاطِّلاع، وقدرة على الارتجال نادرة، وقوة الحافظة، الَّتي تسعفه بما يريده من نصوص وشواهد في كلِّ موضوع كأنَّها مُصَنَّفة بين يديه.

تراه في خطبه منفعلًا كأنَّه مُنْذِر جَيْشٍ، يهزُّ المنابر إذا علاها، ويُحَرِّك أوتار القلوب إذا خاطبها، ويُثِير العواطف إذا ذكَّرها.

كلُّ ذلك بلُغَة سهلة بيِّنة، تجمع بين دقة الفقيه، وإشراقة الأديب، وروح الداعية.

QaradawiBooks.com

من يصغي إلى خطبه المنطوقــة، أو يقرؤها وهي مكتوبة، يجد فيها المنهج الواضح، والتوجيه السليم، والوعظ المتزن، والمزج الحكيم بين الجديد والقديم.

وهي ليســت على النمط الَّذي يُعنى بالســجع أو يتكلَّفــه، ولكنَّها إطلاقٌ للسان على ســجيَّته، وإن كانت لا تخلو من المُحَسِّنات البديعيَّة والبيان المُشْرِق.

أشياء كثيرة نجدها في هذه الخطب، لذا كان لزامًا على تلامذة الشيخ القرضاوي ومُحِبِّيه أنْ يسعوا إلى نشرها؛ لتعمَّ فائدتها ويبقى أثرها.

وهذا ما عقــدتُ عليه العزم منــذ مدَّة، فوجَّهت جهــدي إلى جمع ما أمكنني جمعه من خطب الشيخ وتهيئتها للنَّشر.

وقد وفَّق الله فأعددتُ هذا الجزء، آملًا أنْ تتلوه في المستقبل القريب أجزاءٌ أخرى بعونه تعالى.

وينحصر عملي في هذا الكتاب في:

١ ـ انتقاء عددٍ من خطب الشــيخ وتفريغها من الأشــرطة المسجَّلة المسموعة منها والمرئيَّة ونسخها على الورق.

٢ ـ عزو النصوص القرآنيَّة الكريمة إلى سُوَرها وأرقامها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبويَّة الشريفة.

٤ ـ ردَّ بعض الاقتباســات الَّتي ينقلها الشيخ إلى مصادرها، وإرجاع ما أمكن منها إلى أصله.

٥ ـ إثراء بعض الخطب بالتعاليق الَّتي رأيتُها مفيدة للقارئ.

QaradawiBooks.com

وقد تفضَّل الشيخ جزاه الله خيرًا بمراجعة هذه الخطب قبل طبعها، وأدخل عليهــا بعض التعديــلات والتهذيبات اللازمة، الَّتــي يتطلَّبها أسلوب الكتابة.

وآمل من إخواني الخطباء ـ وبخاصَّة الناشئين منهم ـ أن ينتفعوا بهذه الخطب، ويُفِيدوا من طريقة صاحبها في التناول والاســتدلال، ويُفِيدوا من تجربته العميقــة في الخطابة والدعوة، والَّتــي مضى عليها أكثر من نصف قرن، فمنذ أنْ كان طالبًــا بالمعاهد الأزهريَّة وهــو يعتلي المنبر ويخطب بالنَّاس الجمعة، ولا يزال كذلك، رغم تقدُّم سِنِّه، وكثرة أعبائه، وشواغله الَّتي لا تنتهي.

حفظ الله شــيخنا الجليل، وأمدَّه بموفور الصحَّة والعافية، وأبقى له هذا اللســان المُعَبِّر الناطق بالحقِّ واليقين، وأطال في عمره، ونســأ في أجله، وبارك في أنفاسه، ومتَّعنا والمسلمين بفضله وعلمه وجهاده، آمين.

كما أسأله سبحانه أنْ يُبارك هذا الجهد الَّذي أعتزُّ به، ويتقبَّله بقَبولٍ حسن، ويُحَقِّق النفع من ورائه، إنَّه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، والحمد لله ربِّ العالَمين.

خالد السعد

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١
مُهِمَّة الإنسان ورسالته في هذا الكون[1]

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، ومن يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبيٍّ أُرسل، وأتمَّ علينا النعمة بأعظم دينٍ شُرِع ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح للأُمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وتركنا على المَحَجَّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلَّا هالك، فمن يُطِع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا.

(١) تولّيت الخطابة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة منذ إنشائه، ما لم أكن مسافرًا، وكان تلفزيون قطر يقوم ببثِّ الخطبة على الهواء مباشرة، فيسمعها المسلمون في قطر والبحرين والإمارات والمنطقة الشرقية من السعودية وغيرها.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ على هذا النَّبي الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحيِنا اللهمَّ على سُنَّته، وأَمِتْنا على مِلَّته، واحشُرْنا في زُمْرَته، مع الَّذين أنعمتَ عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

رسالة الإنسان في الحياة:

لكلِّ شيء في الوجود مُهِمَّة ورسالة ينبغي أنْ يُؤَدِّيَها: للجماد رسالة، وللنبات رسالة، وللحيوان رسالة، وللإنسان رسالة.

ورسالة الإنسان أنْ يعبد الله تعالى ويعرفه حقَّ المعرفة، كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، أي: أنَّ الله خلق العالم العلوي بسماواته، وخلق العالم السفلي بأراضيه لحكمة وغاية، هي أنْ يعرف النَّاس ربَّهم.

الإنسان هو المقصود من خلق السموات والأرض:

الإنسان هو المقصود من خلق السماوات والأرض، هذا الإنسان على صِغر حجمه، وعلى ضآلة جسمه، وعلى قِصَر عمره، الإنسان بالنسبة للكون شيءٌ صغيرٌ صغير، نحن نعيش في جزء من قارَّة، والقارَّة جزءٌ من هذه الكُرة المُعلَّقة، الَّتي نُسَمِّيها الأرض، والأرض جزءٌ صغيرٌ صغير من المجموعة الشمسيَّة، والمجموعة الشمسيَّة جزءٌ صغيرٌ صغير من المجرَّة

QaradawiBooks.com

الَّتي نعيش فيها، والَّتي يطلقون عليها: سِــكَّة التبَّانة؛ لأنَّ النجوم تتناثر فيها، كما يتناثر التبن في سِكَّة من يحملون التبن، لا عدد لها ولا حصر لها، بالملايين، وأيُّ نجم فيهــا أضعاف هــذه الأرض بمئات وآلاف المرات وربَّما بالملايين.

هذه إحــدى المجرَّات الَّتي في هذا الكون، والَّتي مجموعتنا الشمســيَّة جزء منها، وهذه المجرَّة إحدى ملايين المجرَّات الَّتي يقوم عليها هذا الكون.

الكون كونٌ كبير فســيح جــدًّا، لا يعلم حــدوده إلَّا الله، وهو يمتد ويتسع كما يقول العلم الآن، وكما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

كان النَّبي ﷺ يقول إذا اعتدل من ركوعــه: «**اللهمَّ ربنا لك الحمد مِلءَ الســماوات والأرض، ومِلء ما شئتَ من شــيءٍ بعد**»[١]. أي: بعد السماوات والأرض.

ولهذا يســأل بعض النَّاس عن قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، إذا كان عرضها عرض الســماوات والأرض، فماذا يكون طولها؟! والعرض دائمًا أقلُّ من الطول، إنَّها شــيء لا يعلمه إلَّا الله.

إذنْ هناك عالم فوق الســماوات والأرض، والســماوات حتَّى الآن لا نعلم حقيقتها ما هي؟

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٦)، وأحمد (١٩١٣٧)، عن ابن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

إنَّ الله تعالى ذكر لنا أنَّ السماء الدُّنْيا زيَّنها بمصابيح، زيَّنها بالكواكب وبالنُّجوم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، أي: النجوم.

ومعنى هذا أنَّ كلَّ ما نراه ونعرفه من النجوم هو في السماء الدُّنْيا الَّتي نراها، والَّتي يصل إلينا شعاعها بعد دقائق أو بعد سنين، أو بعد ملايين السنين، بل يزعم العلماء اليوم أنَّ بعض النُّجوم لم يصل إلينا شعاعها بعد، رغم ملايين السنين فيما يقولون، نحن لا نعرف إلَّا هذه السماء الدُّنْيا، فماذا يكون وراءها؟! وأين سائر السماوات السبع؟

إذن الإنسان من حيث هذا الكون، من حيث حجمه، مخلوقٌ ضئيل.

ومن حيث الزمان مخلوق ضئيل، كم يعيش الإنسان؟

جاء في الحديث: «**أعمار أُمَّتي ما بين السِّتِّين إلى السبعين**»(١). وهبْ أنَّه بلغ المائة، أو جاوز المائة إلى مائةٍ وخمسين، أو مائتين، أو عُمِّر ما عُمِّر نوح، ولم نعرف في التاريخ أحدًا عُمِّر ما عُمِّر نوح، الَّذي لبث في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، حتَّى أخذهم الطوفان وهم ظالمون، ولا ندري كم عاش قبل البعثة، الغالب أنَّها أربعون سنة، ولا كم عاش بعد الطوفان، على كلِّ حالٍ عُمِّر أكثر من ألف سنة، ولكنْ ما النتيجة؟

النتيجة هي الموت.

وَإِذَا كَانَ آخِرُ الْعُمْرِ مَوْتًا ... فَسَوَاءٌ قَصِيرُهُ والطَّوِيلُ(٢)

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٥٠)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٣٦)، وابن حبان في الجنائز (٢٩٨٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وقال الألباني في الصحيحة (٧٥٧): حسن صحيح. عن أبي هريرة.

(٢) القائل هو الشاعر العراقي بهاء الدين الرواس.

QaradawiBooks.com

عند الموت يتلاشى هذا كلُّه، ويصبح العمر كأنَّه لحظات، ويخيَّل للإنسان أنَّه لو عاش بُرهة ولو قصرت، يُعَوِّض فيها ما فات، ويتدارك ما فرَّط فيه، وهيهات هيهات ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

الإنسان من حيث عمره شيء ضئيل، ضئيل جدًّا، بالنسبة للأزل من قبله، وللأبد من بعده، ما قيمة هذا الإنسان إذن؟

ليس له قيمة كبيرة من ناحية المكان، ولا من ناحية الزمان.

ومن ناحية هذا الجسم لا قيمة له، هو جزء من التراب، لو حلَّلته لوجدته مجموعة من المعادن والعناصر، بعضها من الحديد، وبعضها من الفسفور، وبعضها من كذا، وبعضها من كذا، تُشترى ببضع ريالات، وتتحلل كلُّها بعد الموت، وتستحيل إلى تراب.

ليس للإنسان قيمة إذنْ من هذه الناحية المادِّيَّة.

الإنسان بروحه وليس بجسده:

قيمة الإنسان في هذا الشيء الَّذي أودعه الله تعالى فيه، ليست في التراب، ولا في الطِّين، ولا في الصَّلْصال، ولا في الحمأ المسنون، إنَّما في هذا السرِّ، في هذه اللطيفة الربَّانيَّة، في هذه الجوهرة الرُّوحانيَّة، في هذا الشيء الَّذي نفخه الله فيه، والَّذي استوجب به أن تسجد له الملائكة تحيَّة وتكريمًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

لماذا يسجدون؟! يسجدون تكريمًا لهذه النفخة من رُوح الله.

هذا هو الَّذي جعل للإنسان مكانة أي مكانة، وإلَّا لو كان الأمر يدور حول الطين والحمأ المسنون، ما ساوى الإنسان شيئًا.

QaradawiBooks.com

بهذه النفخة الرُّوحانيَّة كان الإنسان إنسانًا، استحقَّ أنْ يكون خليفة الله في الأرض، وأنْ تشرئبَّ أعناق الملائكة لتتبوَّأ منصبه ومنزلته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

يبدو أنَّهم استنتجوا ذلك من طبيعة الطين والحمأ المسنون الَّتي رأوها في أوَّل الأمر، ولم يدركوا السرَّ الآخر: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فقالوا: إنَّ مثل هذا المخلوق الطيني، لا بدَّ أن يغلب عليه الطين، وينزع إلى الأرض، ويَخْلُد إلى التراب، ويقع منه الفساد وسفك الدماء ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكان الجواب الإلٰهي، أن قال الله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وعقد امتحانًا لآدم وللملائكة، ظهر فيه فضل هذا المخلوق، والسرُّ كلُّه يرجع إلى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢].

هذا هو الإنسان، حقيقة الإنسان ليست هذا الغلاف، ليست هذا الجسم المكوَّن من الأجهزة والخلايا والدم واللحم والعظام والأعصاب، لو كان الأمرُ أمرَ جسم، لكان الثَّوْر أعظمَ من الإنسان، ولكان الفيلُ أعظمَ من الإنسان، فما أضخمه! وما أعظم جسمانه!

ولكنَّ سرَّ الإنسان في هذا «الرُّوح الإلٰهي» الَّذي يسري بين جنبيه!

هذا هو أنت أيُّها الإنسان، بهذا صرت عظيمًا في ملكوت السماء.

ينسبون إلى الإمام عليٍّ رضي الله عنه قوله:

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَمَا تَشْعُرُ ... وَدَاؤُكَ مِنْكَ وَمَا تُبْصِرُ!
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ[1]!

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ٧١، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار ابن زيدون ومكتبة الكليات الأزهرية.

QaradawiBooks.com

العالم الأكبر في هذا الإنسان، هذا المخلوق العجيب، ومن هنا كانت قيمة الإنسان.

الكون كله مسخر في خدمة الإنسان:

ومن هنا سخَّر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نِعَمه ظاهرة وباطنة، الكون كلُّه في خدمة الإنسان، مسخَّرٌ لمنفعته، الشمس تضيء له، والنجوم تهديه، والبحار والأنهار وكل ما هو في هذا الكون لخدمته، جعل الله له الأرض ذلولًا ليمشي في مناكبها ويأكل من رزقه، سخر له البحر ليأكل منه لحمًا طريًّا، ولتجري الفلك فيه مواخر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

سخر له المخلوقات العظيمة فوقه وتحته؛ لتكون في خدمته، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

انظروا إلى كلمة ﴿لَكُمْ﴾ وتكريرها في هذه الآيات خمس مرات، الكون كلُّه مسخَّر لمصلحة هذا الإنسان، ولخدمة هذا الإنسان.

ولكن الإنسان نفسه لمن سُخِّر؟ ومن يخدم؟

الإنسان مسخر لخدمة الرحمن:

إنَّه قد أُعدَّ لخدمة الرحمن، كلُّ ما في الكون خُلِق للإنسان، أمَّا الإنسان نفسه فخُلِق للرحمن!

QaradawiBooks.com

إذا نظرتَ إلى مراتب الكائنات في هذا الكون، وجدتَ كلَّ كائنٍ يخدم ما هو أعلى منه مرتبة؛ الجماد يخدم النبات، والنبات مع الجماد يخدم الحيوان، والحيوان مع النبات والجماد يخدم الإنسان.

الأرض تُخرج النبات، والماء والمطر والشمس وهذه المخلوقات تعمل لإحياء النبات، وإمداده بالغذاء، حتَّى ينمو ويترعرع، ويُزهر ويُثمر، وهذا النبات يأتي الحيوان فيأكله ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٣٣].

الحيوان الَّذي خدمه النبات يخدم الإنسان، وهو مُسخَّر للإنسان، هذه الأنعام تخدمك وهي صحيحة، وتأكلها وهي ذبيحة.

أمَّا الإنسان ذاته فمن يخدم؟ من ذا الَّذي يخدمه الإنسان؟

ليس هناك من هو أعلى من الإنسان من المخلوقات، إنَّما يخدم الإنسانُ الله تعالى.

الوثنية قلب للحقيقة:

لهذا كانت الوثنية عكسًا للحقائق، وقلبًا للأمور، حينما جعلت الإنسانَ يذل ويخضع لما هو أدنى منه، يعبد الطبيعة، يعبد الأبقار، يعبد الأنهار، يعبد الأشجار، يعبد الكلاب، يعبد الشمس أو القمر، يعبد الجمادات أو النباتات، أو الحيوانات أو الأفلاك، وكلُّها دون الإنسان، وكلُّها في خدمة الإنسان.

الإنسان خلْقٌ لله؛ ليعرفه ويعبده ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ ـ مثلهنَّ في العدد، أو مثلهنَّ في التكوير، أو مثلهنَّ في روعة الخلق وإبداعه ـ ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، لتعرفوا الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أنَّه القادر على كلِّ شيء، والعالم المحيط بكلِّ شيء.

QaradawiBooks.com

حقيقة معرفة الله:

ليس معنى معرفة الله أن نعرف حقيقة ذاتــه، لا هذا أمر تنقطع دونه الأعناق؛ إنَّنا لم نعرف حقيقة أنفسنا، فكيف نعرف حقيقة خالقنا؟!

إنَّ بعض «البسائط» في هذا الكون عجزنا عن إدراك كُنهها.

وإنَّ الإنسان رغم تَقَدُّمه العلمي الهائل حتَّى إنَّه غزا الفضاء، ويحاول أنْ يصل إلى كواكب بعيدة، عجز عن معرفة حقيقة نفسه، حتَّى ألَّف رجل من أقطاب العلم كتابًا شهيرًا سمَّاه: «الإنسان ذلك المجهول»، ألَّفه الدكتور «ألكسيس كاريل» الحائز على «جائزة نوبل» في العلوم، عام ١٩١٢م.

يقول: إنَّنا عرفنا الكثير عــن الجمادات، وعن الأشـياء من حولنا، ولكننا نجهل الكثير عن أنفسنا.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

لم نعرف إلَّا القليل، ولهذا إذا قلنا: خلق الله الكون لنعرفه سبحانه، فليس معنى هذا أن نعرف كُنْه ذاتِه، لا.

نحن نتفكَّر في خلْق الله، فــي آلاء الله، ولكنَّا لا نتفكَّر في ذات الله، فهذا بابٌ مُغلَق، نحن نؤمن بالغيب، ولا نُبَدِّد طاقتنا العقليَّة فيما لا سبيل للوصول إليه، أولى بنا أن نبحث في الكون، ونكتشف قوانينه، ونعرف سُنَنه، ونُسَخِّره كما أراد الله لخدمتنا، بدل أن نُضَيِّع أعمارنا فيما لا طائل تحته.

لقد انحرف بعض المســلمين في بعض العصــور، وبحثوا في أمور إلهيَّة لا معنــى لها: الذات والصفات وعلاقة الــذات بالصفات، وقامت معارك كلاميَّة وجدليَّة، كان معظمهــا منتحلًا ولا معنى له، وكان أكثرها

QaradawiBooks.com

من تأثير الفلسفات والنِّحل والمِلل الأخرى، ولو وقفوا عند القرآن ما جرَّهم إلى هذا، لو عرفوا أنَّ عليهم أن يقفوا عند هذا الباب، ويقولوا ما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، لكان هذا أولى وأجدر وأبعد عن هذه المتاهات الَّتي دخلوا فيها، دون أن يظفروا منها بثمرة، حتَّى قال قائلهم:

الْعِلْمُ لِلرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ وَسِوَاهُ فِي جَهَلَاتِهِ يَتَغَمْغَمُ
مَا لِلتُّرَابِ وَلِلْعُلُومِ؟ وَإِنَّمَا يَسْعَى لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ[1]!

خلقنا الله تعالى لنعرفه، لنعرفه بآثاره في الأنفس والآفاق: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

العلم اليوم يساعدنا على بيان آثار الله تعالى في هذا الكون، وكيف نُظِّم هذا التنظيم الدقيق، وأُحكم هذا الإحكام البالغ، الَّذي يدلُّ على عظمة الصانع، وعلى نظم المدبر، فلا تستطيع إلَّا أنْ تقول: سبحان الَّذي أحسن كلَّ شيء خلقه، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

هذا ما يلحظه كلُّ من ينظر في هذا الكون، وما أحسن ما قال أبو العتاهية قديمًا:

أَلَا إِنَّنَا كُلُّنَا بَائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدُ؟
وَبَدْؤُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدُ

(١) من شعر الإمام الفخر الرازي. انظر: العواصم والقواصم لابن الوزير (٣٥٧/٦)، نشر مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، وديوان أبي العتاهية صـ١٢٢.

QaradawiBooks.com

فيــا عجبًا كيــف يُعْصَــى الإلٰه أم كيــف يَجْحَــدُهُ الجَاحِــدُ؟
ولله فــي كــلِّ تــحــريــكــةٍ وفــي كلِّ تسـكينةٍ شــاهدُ
وفــي كلِّ شــيءٍ لــه آيــةٌ تــدلُّ علــى أنَّــه الواحــدُ[١]!

إنَّه الله، تراه في كلِّ شيء، تراه بعين قلبك، بعين عقلك، لا بعين بصرك؛ فأبصارنا أكلُّ وأقلُّ من أنْ تراه في هــذه الدُّنْيا، وإنَّما تراه هناك في الآخرة، حيـث الكافرون عن ربهـم محجوبون، وحيـث المؤمنون علـى الأرائك ينظرون، كما قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، يقصد المشركين.

معرفة الله طريق لعبادته:

خلقنا الله تعالى لنعرفه، فإذا عرفناه عبدناه حقَّ العبادة، عرفنا أنفسنا فعرفنا ربَّنا، عرفنا مخلوقات الله فعرفنا خالقها، فأدينا له حقَّه، عبَّدنا له أنفسـنا، لم نعبِّدها لأحد غيره، ولا لشيء غيره، فما يستحقُّ شيء في الأرض ولا في السماء أن نحني له ظهورنا راكعين، أو نُعَفِّر له جباهنا ساجدين، لا ركوع إلَّا لله، ولا سجود إلَّا لله، ولا ذلَّ إلَّا لله، ولا خضوع إلَّا لله، ولا رجاء إلَّا في الله، ولا خوف إلَّا من الله، هذه هي العبوديَّة، أن نعبد الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. لنمتثل أوامره ونجتنـب نواهيه، ونقيم دينـه في الأرض، فهـذه هي العبادة بمعناها الشامل.

خلقنا الله تعالــى لنعبده حقَّ عبادته، لنتضرع إليه، لنسـأله وندعوه،

(١) الحماسة المغربية (٢/١٤٢٠)، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

لنُصَلِّي له، لنُحْسِن إلى خلقه، ونرحم الضعفاء من عباده، لنبذل المال والأنفس من أجله، هذه هي العبادة.

وقد رُوِيَ في بعض الأحاديث الإلٰهيَّة: «**عبادي، إنِّي ما خلقتكم لأستأنس بكم مِنْ وَحْشة، ولا لأستكثر بكم من قلَّة، ولا لأستعينَ بكم من وَحْدة على أمرٍ عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرَّة، وإنَّما خلقتكم لتعبدوني طويلًا، وتذكروني كثيرًا، وتُسَبِّحوني بكرة وأصيلًا**»(١).

شمول معنى العبادة:

لهذا خلقنا الله تعالى، خلقنا لهذه المُهِمَّة، لنعبد الله بكلِّ ما تتسع له كلمة «العبادة»، وهي تشمل كلَّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال؛ فإقامة الشعائر عبادة، وبرُّ الوالدين عبادة، وصلة الأرحام، وإكرام الجيران، وأداء الواجبات، وفعل الخير، والدعوة إليه، والجهاد في سبيل الله، كلُّها عبادة.

ومن هذه العبادة أيضًا عمارة الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ومن هذه العبادة القيام بحقِّ الخلافة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

هذه هي مهمة الإنسان في هذه الحياة، وفي هذا الكون: أن يقوم بحقوق العبادة والخلافة والعمارة.

---

(١) لم أقف على تخريج له، ولكن معناه صحيح.

QaradawiBooks.com

الغافلون عن الغاية أضل من الأنعام:

ولذلك إذا لم يقم الإنسان بهذه المُهِمَّة، كان أضلَّ من الأنعام سبيلًا؛ الله تعالى يقول: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

هذا هو وصف حطب جهنَّم ووقود النَّار من أولئك الَّذين عطَّلوا تلك الأجهزة الَّتي منحها الله إيَّاهم؛ ليطلوا بها على الكون، لتكون نوافذ للمعرفة، ولكنَّهم خرَّبوا هذه الآلات والأجهزة، فكان لهم قلوب ولكنَّهم لا يفقهون بها، وأعين ولكنَّهم لا يبصرون بها، وآذان ولكنَّهم لا يسمعون بها؛ لأنَّه إذا لم يفقه بقلبه مُهِمَّته الَّتي خُلقَ لها، ولم يعرف الخالق الَّذي أوجده، فإنَّ قلبه لم يعد قلبًا، أصبح لا معنى له.

وكذلك إذا لم يرَ آثار الله في الكون، ولم يعتبر بها فهو أعمى وإن كان نظره ستَّة على ستَّة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وإذا كان لا يسمع قوارع المواعظ، ولا يسمع صوت الحقِّ، فهو أصمُّ، كما قال الله تعالى في صنف من النَّاس: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

خرَّبوا الآلات والأجهزة الإلٰهيَّة، فانتهوا إلى أنَّهم أصبحوا كالأنعام، بل هم أضلُّ.

QaradawiBooks.com

استعداد الإنسان للارتقاء والانحدار الروحي:

والإنسان يمكن أنْ يرتقي فيكون كالملائكة أو أفضل.

رُبَّما يكون أفضل من الملائكة؛ لأنَّ الملائكة لم تؤتَ ما أوتي من الغرائز والشهوات، ولم يُسلَّط عليها ما سُلِّط على الإنسان من قواطع الطريق من الداخل ومن الخارج، فإذا تغلَّب الإنسان على هذه العوائق والقواطع وارتقى أصبح أفضل من الملائكة، وأصبح خير البَرِيَّة على الإطلاق، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وكما أنَّ في الإنسان استعدادًا ليرتقي ويرتقي، عنده استعداد لأنَّ ينحدر وينحدر، ويهبط ويهبط، حتَّى يكون كالحيوان الأعجم، بل أضلُّ من الحيوان سبيلًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لماذا كانوا أضلَّ؟

كانوا أضلَّ؛ لأنَّ الأنعام لم تُؤتَ ما أوتي الإنسان، لم تُؤتَ العقل الَّذي يفكر، ولا الإرادة الَّتي تحرِّك أو ترجِّح، ولم تُؤتَ هذه المواهب الروحيَّة والعقليَّة الَّتي أُودعها الإنسان، الحيوان ليس فيه سرٌّ: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢] فالحيوان معذور.

ومن ناحية أخرى، فإنَّ الأنعام تُؤَدِّي مُهِمَّتها، تقوم بدورها المطلوب منها في الحياة، هل رأيت بقرةً تمرَّدت على أنْ تُحْلَب؟ أو بعيرًا امتنع أنْ يُركَب؟

إنَّها تقوم بوظيفتها في الحرث والسقي، وحمل الأثقال إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلَّا بشقِّ الأنفس، تركبونها وزينة.

QaradawiBooks.com

ولكن الإنسان إذا لم يعرف الله، ولم يقُم بعبادته وخلافته في الأرض، فإنَّه لم يؤدِّ مُهِمَّته، لم يؤدِّ رسالته، ولذلك كان أضلَّ من الأنعام سبيلًا.

ومن هنا مــاذا تقول في هؤلاء النَّاس الَّذين يعيشــون ويموتون ولم يعرفوا الله؟! أولئك الملاحدة الَّذين ينكرون وجود الله تعالى، ما هؤلاء؟

هؤلاء كُفَّار، ما قيمة هؤلاء؟

هذا التراب الَّذي يأكل من التراب، ويمشي على التراب، وينتهي إلى التراب، هذا الطين المتعالي المتعجرف، ما قيمته وما منزلته حتَّى يجحد وجود الله؟!

وكذلك أولئك الَّذين يؤمنون بوجود الله، ولكنَّهم لا يقومون بحقِّه، حتَّى من بين أبناء المسلمين، هذا الَّذي يتسمَّى بمُحَمَّد وأحمد وعبد الله وعبد الرحمن، بما حُمِّد وعُبِّد من الأسماء، بأسـماء الأنبياء وأسـماء الصحابة، هؤلاء الَّذين يعيشــون بين ظَهْرَانَي المســلمين، ولا تراهم لله راكعين ولا ســاجدين، الَّذين يَعُبُّون من الشهوات، الَّذين يركُضون وراء الملذَّات، الَّذين ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ما رسالة هؤلاء؟ ما رســالتك أيُّها الإنسان؟ أخُلِقت لمُجَرَّد أنْ تأكل وتشرب؟!

هكذا تصنع الأنعام، مــاذا زدتَ على البقرة في بيتــك أو الناقة أو الجمل أو الحمار، ما قيمتك أيُّها الإنســان إذا لم تكن لك مُهِمَّة أعظم وأرقى؟ ما قيمتك إذا لم تعرف الله ولم تعبد الله؟

إنَّ معرفة الله تعالى وعبادته هي الغاية الَّتي من أجلها خُلِق الإنسان، فعلى الإنسان أنْ يعرف غايته.

QaradawiBooks.com

أمَّا إذا عاش لا يعرف لماذا يعيش؟ وما هي غايته؟ وما هي رسالته؟ فما هو بإنسان!

غايات بعض الناس:

بعض النَّاس يعيش موجودًا كمفقود، حيًّا كميت، حاضرًا كغائب، هذا ليس بإنسان، لا يُحسب من الأحياء، ولا يُحسب من بني آدم.

وآخرون حددوا غايتهم في المتع، في الشهوات، وهؤلاء هم الَّذين قال الله تعالى فيهم، وفي أمثالهم من الكفرة الفجرة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

هناك أناس يعيشون بلا إحساس كما تعيش الجمادات، وأناس يعيشون بغرائزهم ولغرائزهم كما تعيش الأنعام، تجري وراء الشهوات، وأناس يعيشون كما تعيش الشياطين، مهمتها الكيد والإيذاء لخلق الله، والإفساد في الأرض.

أمَّا الإنسان، الإنسان الحقُّ، أعني الإنسان المؤمن، فليس هناك إنسان إلَّا المؤمن، ما عدا المؤمن فليس بإنسان، وإنْ حُسِب من النَّاس، وإنْ سجَّلته التَّعْدادات والإحصاءات فيما يُسَجَّل من أعداد النَّاس.

المسألة ليست بالكمِّ، ليست بالعدد.

الإنسان الحقيقي هو الذي يصنعه الإسلام:

الإنسان الحقيقي هو الإنسان المؤمن، الَّذي يعرف الله تعالى، ويقوم بحقِّه، ويعبده في أرضه، ويُقيم أمر دِينِه، هذا هو الإنسان، وهو الَّذي جاء الإسلام ليصنعه، ليُرَبِّيه، ليكوِّنه، يكوِّن شخصيَّته المتكاملة، وهو الَّذي

QaradawiBooks.com

ربَّاه النَّبي ﷺ في دار الأرقم بمكَّة، وفي مسجده بالمدينة، ليكون صالحًا في نفسه، مُصلِحًا لغيره، من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

هذا الإنسان هو الَّذي انطلق بالقرآن، وانطلق بالإسلام، إلى أقاصي الدُّنْيا شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، وأقام فيها حضارة العلم والإيمان، ودولة العدل والإحسان، هذا هو الإنسان، إنسان الإسلام.

فيا أيُّها المسلم، يا أيُّها الإنسان، اعرفْ غايتَك، واعرفْ رسالتَك، وجنِّدْ نفسك لها، وعشْ لهذه الغاية، عسى الله سبحانه وتعالى أن يُوَفِّقنا لنكون أناسيَّ حقًّا، نعرف حقَّنا، ونعرف واجبنا، ونعرف مهمَّتنا في أرض الله.

اللهمَّ وفِّقْنا لما تحبُّ وترضى، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، يُسبِّح له ما في السماوات وما في الأرض، له المُلكُ وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، البشِير النَّذِير، والسراج المُنِير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الَّذين ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يُصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجيب له[1]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا دِينَنا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلحْ لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعلْ غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقِبَتَنا في الأمور كُلِّها، وأجرنا من خِزْيِ الدُّنيا وعذاب الآخرة.

---

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «إنَّ في الجمعة لساعة، لا يوافقها مسلم، قائم يصلي، يسأل الله خيرًا، إلَّا أعطاه إياه» وأشار بيده يقلِّلها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ استرْ عَوْراتنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا، واحفظْنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتالَ من تحتنا.

اللهمَّ أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدْنا ولا تَنْقُصْنا، وآثِرْنا ولا تُؤثِرْ علينا، وارضَ عنَّا وأَرْضِنا.

اللهمَّ انصرْ إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصرْ إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصرْ إخواننا المجاهدين في إريتريا، وانصرْ إخواننا المجاهدين في الفلبِّين، وانصر إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان، اللهمَّ خذْ بأيديهم إلى مواطنِ النصر، اللهمَّ أيِّدهم بملأٍ من جندك، وأمدَّهم برُوح من عندك، واحرُسْهم بعَيْنِكَ الَّتي لا تنام، واكْلَأْهم في كَنَفِك الَّذي لا يُضام.

اللهمَّ عليك باليهود الغادرين، اللهمَّ عليك بالشيوعيِّين الملحدين، اللهمَّ عليك بالصليبيِّين المستعمرين، اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهمَّ ردَّ عن المسلمين كيدهم، وفُلَّ حَدَّهم، وأذهب عن أرضِك سلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهمَّ

QaradawiBooks.com

صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على عبدك ورســولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢

التوبة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدَّثْنا عن مُهِمّة الإنسان في هذا الكون، المُهِمَّة الَّتي خلقَ الله تعالى لها الإنسان، خلق الله الإنسان ليعرفه ويعبده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

لهذا كان لا بدَّ لنا من حديث عن هذه المُهِمَّة، عن هذه الغاية، عن هذه العبادة.

أنواع العبادة:

وسنتحدث عن نوع من العبادة يغفل عنه النَّاس؛ فالعبادة نوعان: ظاهرة وباطنة.

الظاهرة كـ: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وهي أركان الإسلام العملية.

ولكن هناك نوعًا آخر من العبادات له أهميَّته، وله ضرورته، ولا تصحُّ هذه العبادات الظاهرة إلَّا إذا توافر ذلك اللون من العبادات الباطنة.

QaradawiBooks.com

إنَّها العبادات المتعلقة بالقلب، والقلب هو حقيقة الإنسان، «**ألا وإن في الجسد مُضْغَة، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدَ كلُّه، أَلَا وهي القلب**»[(١)]، «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم**»[(٢)].

القلب هو موضع نظر الله تبارك وتعالى، وهو الحجة الَّتي تقدِّمها يوم القيامة إذا أردت النجاة، هو المُسْتَنَدُ الفذُّ الَّذي به تثبت براءتك، وتثبت صحَّة إيمانك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣].

القلب السليم، القلب المُنِيب، هو أساس الدِّين حقًّا.

القلوب عليها المعوَّل، اعملْ ما شئت من الأعمال الظاهرة، فلن تُقبل عند الله إذا كان قلبك مغشوشًا، إذا كانت نيَّة الرياء قد داخلتك، إذا لم تُجَرِّد النيَّة لله وحده، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ولا بدَّ من أن يأتي وقت نتحدَّث فيه عن حقيقة النيَّة والإخلاص، الَّتي هي أساس القبول للأعمال كُلِّها.

التوبة أول خطوات الطريق إلى الله:

ولكنَّا اليوم نتحدَّث عن عبادة قلبيَّة مُهِمَّة، هي الخطوة الأولى في الطريق إلى الله تعالى، هذه الخطوة هي: التوبة.

---

(١) متَّفق عليه: البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (١٠٩٦٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أنْ تتوب إلى الله تعالى، فإنَّك لا تستطيع أنْ تسلك الطريق إذا كنت تَحْمِل أثقالًا تؤود ظهرك، ولا تقدر بها على أنْ تمشي خطوة إلى الأمام، لا بدَّ من أنْ تتخفَّف، فلا بدَّ من أنْ تُسْقِط هذه الذنوب عن كاهلك.

كيف تسقطها؟ إنَّما تسقطها بالتوبة.

معنى التوبة:

وما معنى التوبة؟ التوبة مأخوذة من «تاب»، وكلمة «تاب» في اللغة العربيَّة تعني: عاد ورجع، كأنَّ الأصل أن تكون دائمًا مع الله، لا تُفَارقه.

وكيف تستطيع أنْ تُفَارقه؟ ووجودك مُسْـتَمَدٌّ من وجوده، وحياتك وبقاؤك ورزقك وهدايتك، وكلُّ ما بك من خير فهو منه تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ماذا تكون أنت لولا الله؟!

أنت أيُّها الإنسان، الطويل العريض، الَّذي يمشي في الأرض مرحًا، الَّذي يثني عِطْفَيْه، ويُصَعِّر خَدَّيه، ماذا أنت لولا الله؟!

لولا أنَّ الله خلقك وسـوَّاك ونفخ فيك من رُوحـه، وأعطاك القوَّة، وسـخَّر لك هذا الكون، ورزقك العقل، وعلَّمك البيان، وهداك السبل، ماذا تكون لولا الله؟!

الله هو صاحب كُلِّ فضل عليك، وأنت بغير الله لا شيء، لا تكون شيئًا مذكورًا، ولا شيئًا موجودًا، لهذا يجب أنْ يكون الإنسان دائمًا مع الله.

فإذا شرد عن الله بالذنوب أو الغفلة، فلا بدَّ له من أن يعود، أن يرجع إلى بيته، إلى بيته الأصلي، وذلك هو التوبة.

QaradawiBooks.com

التورط في المعاصي طبيعة إنسانية:

التوبة عودةٌ إلى الله، عودةٌ إلى الأصل، ومن فضل الله علينا أنْ رزقنا التوبة، أنْ أعطانا حقَّ التوبة، فكلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون المستغفرون.

ليس عجيبًا أن يُذنب ابن آدم، ليس عجيبًا أنْ يتورَّط في المعصية، فهذه طبيعة خِلْقته.

إنَّه خُلِق خلقًا مزدوجًا، فيه قبضة الطين، وفيه نفخة الرُّوح، الطين يهوي به إلى أسفل، والرُّوح ترقى به إلى أعلى، أحيانًا ينزع إلى الطين، ويخلُد إلى الأرض، فيكون كالحيوان أو أضلَّ سبيلًا، وأحيانًا يعلو ويعلو، حتَّى يكون كالملائكة، أو أرفع مقامًا.

فلا عجب من أنْ يغلب الطين في بعض الأحيان على الرُّوح، أنْ يغلب العنصر الأرضي العنصر السماوي، أنْ يغلب العنصر الحيواني في الإنسان العنصر الربانيَّ فيه، فيقع في المعاصي.

ليس عجيبًا أنْ يحدث ذلك، وقد عصى أبو البشريَّة آدم، عصى الإنسان الأوَّل، أغواه الشيطان فأوقعه في المخالفة، دلَّاه بغرورٍ، وقاسمه وزَوْجَه ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، وقال له: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وما زال يوسوس له حتَّى صدَّقه، وأكل من الشجرة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

الإنسان لا يحمل ذنب غيره:

هذا فاروق ما بين الإسلام والنَّصرانيَّة، النَّصرانيَّة تجعل خطيئة آدم مُعلَّقة برقاب البشر جميعًا، فهم يحملون وزر معصية لم يفعلوها، ولم

QaradawiBooks.com

يشهدوها، لا هم، ولا آباؤهم، ولا أجدادهم، ولا أجداد أجدادهم، مع أنَّ العدالة الإلٰهيَّة أقرَّت في القرآن، وفي صحف موسى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٧، ٣٨].

كيف يحمل الإنسان ذنب غيره؟!

ثم إنَّ معصية آدم قد انتهت بالتوبة، الله اجتباه فتاب عليه وهدى، فآدم حينما شعر بأنَّ الشيطان غرَّه، وورَّطه في هذه المعصية، سرعان ما استيقظ هذا الكائن الواعي في ضميره، هذا الكائن الرُّوحي، هذه النفخة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢].

غلب هذا العنصر، فسرعان ما رجع إلى ربِّه، وقرع بابه تائبًا مستغفرًا، وقال هو وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

انتهت معصية آدم بالتوبة، وهكذا ينبغي أنْ تنتهي كلُّ معصية يقترفها أبناء آدم.

خطر التسويف في التوبة:

ليس عجيبًا أنْ يُذنب ابنُ آدم، فقد أذنب أبوه آدم، إنَّما العجيب أنْ يتمادى في الذنوب، أنْ يستمرئ طريق المعصية، ويتوغَّل فيها، أنْ ينسى ربَّه، وينسى التوبة إليه، فتتراكم عليه الذنوب، وتتراكم حتَّى يَسْوَدَّ قلبه والعياذ بالله، وهنا الخطورة.

الخطورة في ألَّا يبادر الإنسان بالتوبة، النَّبي ﷺ يقول:

QaradawiBooks.com

«إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئــة نُكتت في قلبه نُكتة، فإن هو نزع واســتغفر صقلت»(١). أي: مَسَــح وجَلَا ومَحَــا أثر المعصية، وعــاد القلب أبيض كالمرأة الصافية.

فإنْ عاد زيد فيها حتَّى تعلو قلبه، إذا أذنب ذنبًا آخر، نُكِتَتْ في قلبه نكتة ســوداء أخرى، ثمَّ لا يــزال يُذنب وتتكاثر هذه النكت الســوداء، والنقاط السوداء، حتَّى تزيد على القلب وتغطي عليه، فذلك الران الَّذي ذكر الله تعالى: ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٤].

الخطر أن يَغْفَل الإنســان عن التوبة، ويســتمرَّ في طريق الشيطان، ولا يُحِسُّ بما هو فيه من خطأ وخطيئة، هذا هو الخطر.

طول الأمل سبب التسويف في التوبة:

ويأتي هذا الخطر من طول الأمل.

طول الأمل معناه: اســتبعاد الموت، أنَّ الموت لا يــزال بعيدًا، وأنَّ العمر لا يزال فيه بقيَّة، ابن العشــرين يقول: أتوب حينما أبلغ الثلاثين، وابن الثلاثين يقول: حينما أبلغ الأربعيــن، وابن الأربعين يقول: حينما أبلغ السِّتِّين، وابن السِّتِّين يقول: عند الثمانين، وهكذا.

هكذا يُطيل الإنسان أمله، ولا يدري أنَّ الموت أقربُ إليه من لمح البصر.

كُلُّ امْــرِئٍ مُصَبَّــحٌ فِــي أَهْلِــهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِــرَاكِ نَعْلِهِ(٢)

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٥٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٣٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن أبي هريرة.

(٢) كان أبو بكر إذا أخذته الحمى ينشــد هذا البيت. رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

إنَّك حينما تصبح لا تدري: أيأتي عليك المساء أم لا؟ وقد جاء في الحديث: «إذا أصبحت فلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بالصباح»(١).

حينما تنام لا تدري أتعود الرُّوح مرَّة أخرى إليك، أم تُقبض في نومك؟

إنَّك حينما تلبس ثيابك، لا تدري أتنزعها أنت بيديك، أم تنزعها عنك يد غاسلك؟

إنَّك حينما تخرج من بيتك لا تدري متى تكون الخطوة الثانية وإلى أين؟ أهي إلى الطريق أم إلى القبر؟ ألم تسمع بالَّذين يموتون بالسكتة القلبيَّة أو الذبحة الصدريَّة، أو بالحوادث المفاجئة؟

الناس يموتون في حوادث مفاجئة في هذا العصر، حتَّى إنَّ الإنسان لا يكون له علاقة بالحادث فيموت، يمشي في الطريق بعيدًا فتأتي سيارة فتأخذه، طيارات تنزل على أهل قرى، لا هم راكبون فيها ولا غير ذلك، وتأتي فتأخذهم.

ألم تسمعوا؟

الموت قريب، والمسألة مسألة مصيريَّة، إنَّها جنَّة أو نار، ليست خَسارة درهم أو دينار، إمَّا أن تكسب الجنَّة، وإمَّا أن تدخل النَّار والعياذ بالله، إنَّها أشياء خطيرة فكيف تؤجِّلُها؟!

لقد قيل: أكثر أهل النَّار «المُسَوِّفون»، أتدرون ما المُسَوِّفون: المُسَوِّفون الَّذين يقولون: سوف نتوب، سوف نعمل، سوف نرجع.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٣٣)، عن ابن عمر موقوفًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد قال بعض السلف: «سوف» جندٌ من جنود إبليس[1]. لأنَّك لا تضمن أنْ تعيش إلى الغد، لا تضمن عمرك ساعة واحدة، وحينما يأتي ملك الموت ليقبض رُوحَ الإنسان يتمنَّى لو أجَّله وقتًا قصيرًا: أسبوعًا، يومًا، نصف يوم، ساعة، دقيقة، وهيهات، الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ٩، ١٠].

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، أي: مُهلة، دقائق يمكن أنْ يتصدَّق فيها ببعض أمواله، وينفق في بعض الخيرات، ويوقف بعض الأشياء على الجهات الخيرية، ويردُّ بعض المظالم، ويستسمح بعض النَّاس الَّذين أساء إليهم، يريد دقائق يمكنه فيها أنْ يفعل ذلك.

كانت أمامك هذه الدقائق، وكانت أمامك الساعات، وكانت أمامك الأيام، وكانت أمامك الأسابيع، وكانت أمامك الشهور، وكانت أمامك الأعوام، كلُّ هذا لم يكفِ، ثمَّ تأتي الآن وتقول: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، وهنا يكون الردُّ الإلٰهي: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

إنَّ طول الأمل، إنَّ استبعاد الموت، خطر على الإنسان، يجعله يسوِّف ويؤخِّر ويؤجِّل في التوبة، ثمَّ يَفْجَؤُه الموت، ولم يعدَّ له عدَّته، ولم يأخذْ للآخرة أُهْبَته، فالبِدار البِدار، قبل أنْ تتفاقم الذنوب وتستفحل.

---

(١) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

إنَّ بعض الأمراض إذا عولجت في أولها، تعالج بسهولةٍ ويُسْر، فإذا تركت، فإنَّها تكون مضاعفات ومضاعفات، يصعب بعد ذلك علاجها، وكذلك الذنوب، كلُّ من أذنب ذنبًا فعليه أنْ يتوب، وعليه أنْ يبادر بالتوبة، وإلَّا كان ظالمًا، الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

التوبة مطلوبة من كل الناس:

والتوبة مطلوبة من النَّاس، كلِّ النَّاس، التوبة مطلوبة من جميع النَّاس، الله تعالى يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

المؤمنون مطالبون بالتوبة، وليس هناك إنسان يستطيع أنْ يقول: لا ذنب لي، فعمَّ أتوب؟ وممَّ أتوب؟ أنا نقيُّ الصفحة، مُبَرَّأٌ من كلِّ عيب، وهذا هو الغرور الَّذي لا يليق بمؤمن؛ فالمؤمن يشعر أبدًا أنَّه مُقَصِّر في حقِّ الله تعالى، مُفَرِّط في جنبه، هو يفعل الطاعات ويخشى ألَّا تقبل منه.

أمَّا المنافق، فيرتكب المعاصي ويقول: أطمع أنْ تغفر لي!

فرق بين المؤمن والمنافق، إنَّ المؤمن يشعر دائمًا بأنَّه لم يؤدِّ حقَّ الله تعالى كما ينبغي لجلال وجهه، وسابغ نعمه وفضله، ولهذا فهو دائم الاستغفار، دائم التوبة إلى الله تعالى.

أصناف الناس في التوبة:

والناس في التوبة أصناف:

هناك من يتوب من الشرك والعياذ بالله، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

QaradawiBooks.com

وهناك من يتوب من النفاق، كما قال الله تعالى في شأن جماعة من المنافقين: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

وهناك من يتوب من الكبائر: شرب الخمر، أو اقتراف الزِّنَى، أو تناول المُخَدِّرات، أو أكْل الربا، أو أكْل مال اليتيم، أو شهادة زُور، أو عقوق الوالدين، أو قطع الرحم، أو غير ذلك من كبائر الإثم الَّتي ذكرها النَّبيُّ ﷺ، وما أكثرها!

وكبائر الذنوب لا يصلح لها إلَّا التوبة، الصغائر يمكن أنْ تكفر بالحسنات، بالصلوات الخمس، بالجمعة إلى الجمعة، برمضان إلى رمضان، كلُّ هذه مُكَفِّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر(١)، أمَّا الكبائر، فلا يُكَفِّرها إلَّا التوبة.

خطر الاستهانة بالصغائر:

هناك من يتوب من الكبائر، وهناك من يتوب من صغائر المُحَرَّمات أيضًا؛ فالحرام حرام، وإن كان من الصغائر، لا يستصغر شيئًا بالنسبة لله تعالى، وقد قال بعض السلف: لا تنظر إلى صِغَر المَعْصِية، ولكن انظرْ إلى كبرياء من عَصَيْت(٢).

إنَّك إذا أسأتَ إلى زميل لك بكلمة، فقد تكون شيئًا بسيطًا،

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر». رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٥١/٤)، عن بلال بن سعد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولكن إذا أسأت بهذه الكلمة نفسها إلى أبيك، أو إلى شيخك، فهذه تَكْبُر وتَكْبُر.

وهكذا نرى الشيء الواحد يتعاظم بالنسبة لمن صدر في حقِّه، فكيف إذا كانت إساءتك تتعلَّق بذات الله العلي الكبير؟

ولهذا روى البخاري، عن ابن مسعود: «**إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعد تحت جبلٍ يخاف أنْ يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذُباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا**»[١]. قال الراوي وأشار بيده فوق أنفه.

هذا هو شأن المؤمنين، لا يستصغرون ذنبًا، بل كانوا يُحَذِّرون من استصغار الذنوب، والاستهانة بالمعاصي.

كان بعض السلف يقول: إنَّ الذنب الَّذي يُخشى ألا يُغفر، هو الَّذي يقول فيه صاحبه: ليت كلَّ ذنب فعلته مثل هذا[٢]. يعني هذا ذنبٌ بسيط، هذا هو الخطأ.

ولما زار بعض الصالحين أخًا لهم، ووجدوه يبكي وهو مريض، فقالوا له: يا فلان، ما الَّذي يجعلك تبكي كلَّ هذا البكاء؟ والله ما رأينا عليك كبيرة اقترفتها، ولا فريضة تركتها.

قال: والله ما أبكي على هذا، ولكن أخشى أنْ أكون قد أتيتُ ذنبًا، أحسبه هيِّنًا، وهو عند الله عظيم[٣]!

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٣٢/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

هكذا قال القرآن في شأن أولئك الَّذين خاضوا في حديث الإفك، وتحدَّثوا عن الصدِّيقة بنت الصديق بسوء، فقال الله تعالى في أمرهم: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

كلمة، أحيانًا كلمة يقولها المرء لا يلقي لها بالًا، كما صحَّ في الحديث: «**يهوي بها في جهنَّم سبعين خريفًا**»(١).

سبعين سنة من أجل كلمةٍ لا يُلقي لها بالًا، ولا يلتفت إليها!

قد ثبت عن عائشة ﵂ أنَّها قالت عن إحدى ضرائرها في حديث مع النَّبي ﷺ: ما يعجبك من فلانة إلَّا أنَّها..

وأشارت بيدها: تعني أنَّها قصيرة. ولم تكمل الجملة، ذكرت اسم «أنَّ» بدون خبرها، فقال: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»(٢). كلمة جديرة أنْ تكدِّر بحرًا.

الخطر في هذه المعاصي الَّتي يستهين بها الإنسان، ويقول: هذه لا تستحقُّ التوبة. لا، يجب أنْ يتوب الإنسان من هذا كلِّه.

هناك من يتوب من الكبائر، وهناك من يتوب من الصغائر، وهناك من يتوب من الشبهات؛ فإنَّ الشبهات مؤدية إلى الحرام:

---

(١) رواه أحمد (٧٢١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠)، والحاكم في الأهوال (٥٩٧/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٧/٤): في إسناده محمد بن إسحق وهو مدلس. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

QaradawiBooks.com

«ومن وقع في الشُّبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أنْ يرتع فيه»[١].

وهناك من يتوب من المكروهات، حتَّى المكروه لا يريد أنْ يقع فيه.

وهناك من يتوب عن بعض المباحات.

النّاس درجات، وحسنات الأبرار سيِّئات المُقَرَّبين[٢].

وهناك من يتوب عن مُجَرَّد الغفلة عن الله؛ أنَّ وقتًا مرَّ من حياته لم يذكر الله تعالى فيه، فهو يتوب ويستغفر من هذا، وهذا ما نبَّه عليه النَّبيُّ ﷺ حين قال: **«يا أيُّها النّاس، توبوا إلى الله؛ فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة»**[٣].

محمد ﷺ الَّذي كان يراقب ربَّه في غدواته وروحاته، وحركاته وسكناته، وليله ونهاره، وخلوته وجلوته، ولم يكن يَغْفُل عن ربِّه طَرْفَةَ عين، تنام عيناه وقلبُه لا ينام، مع هذا كُلِّه يقول: **«توبوا إلى الله؛ فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة»**.

بل حدَّث بعض أصحابه فقال: كُنَّا نعدُّ للنَّبيِّ ﷺ في مجلس واحد سبعين مرَّة أو مائة مرَّة: **«ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ؛ إنَّك أنت التَّوَّاب الغفور»**[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٤. وفيه: «إنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»، وهو أحد الأحاديث الأربعين النووية، وأفاض في شرحه ابن رجب في جامع العلوم والحكم؛ لما اشتمل عليه من أحكام وتوجيهات.

(٢) هو من كلام أبي سعيد الخراز ـ وهو من كبار الصوفية ـ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٧/٥)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م. وعدَّه بعضهم حديثًا وليس كذلك. انظر: كشف الخفاء للشيخ إسماعيل العجلوني برقم (١١٣٧).

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغرِّ بن يسار المزني.

(٤) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وقد رُويت عنه صيغٌ من صيغ الاستغفار، في قمَّة الصيغ، يستغفر الله في صباحه ومسائه، وسحَره وسجوده، هكذا كان ﷺ.

كان يقول: «**سيِّدُ الاستغفار: اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلٰه إلَّا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعتَ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتِكَ عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفرْ لي؛ إنَّه لا يغفرُ الذنوب إلَّا أنت**»(١). هذه سيِّدة صيغ الاستغفار.

إنَّما كان سيِّد الاستغفار؛ لأنَّه يتضمَّن جملة من المعاني الربَّانيَّة العميقة: تضمَّن توحيد الرُّبُوبيَّة «**اللهمَّ أنت ربِّي**»، وتوحيد الإلٰهيَّة «**لا إلٰه إلَّا أنت**»، والإقرار بالخالقيَّة والعبوديَّة «**خلقْتَني وأنا عبدك**»، والمبايعة لله على الوفاء «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت**»، والبراءة من المعصية والاستعاذة بالله منها «**أعوذ بك من شرِّ ما صنعت**»، والإقرار لله بالنعمة، وعلى النفس بالذنب «**أبوء لك بنعمتِكَ عليَّ وأبوء بذنبي**»، وطلب المغفرة ممَّن لا غافر غيره «**فاغفرْ لي فإنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت**»، وما أحوج المسلم أنْ يُوَدِّع بها مساءه، ويستقبل بها صباحه.

وكان من أدعيته واستغفاراته ﷺ: «**اللهمَّ اغفرْ لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مِنِّي.**

اللهمَّ اغفرْ لي جِدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي.

اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به مِنِّي، أنت المُقَدِّم وأنت المُؤَخِّر، وأنت على كلِّ شيءٍ قدير»(٢).

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس. ومعنى «أبوء»: أقرُّ وأعترف.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

هذا هو الشعور بعظمة الله تعالى، وأنَّه يستحقُّ من الإنسان الكثير والكثير، وخاصَّة من عظُمت نعم الله تعالى عليه، مثل مُحمَّد ﷺ؛ فهو يشعر بأنَّه مقصر في حقِّ ربه تعالى.

وهناك من يتوب من مُجرَّد أنْ يمرَّ وقت لا يذكر الله تعالى فيه.

والتوبة درجات، والقرآن الكريم يذكِّر أهل عرفات وأهل الحج، ويأمرهم بعد هذا الموقف العظيم أنْ يستغفروا الله، فشأن المؤمنين دائمًا بعد الطاعات أن يستغفروا، انظروا: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۞ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

بعد عرفات، بعد هذا الموقف العظيم، يطلب منهم أنْ يستغفروا الله.

كما وصف الله المؤمنين المحسنين المتقين بقوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

يقول الحسن البصري رضي الله عنه: مدُّوا صلاتهم إلى السَّحَر، ثمَّ جلسوا يستغفرون الله تعالى[(١)]!

ممَّ يستغفرون؟!

الَّذين أحيَوْا الليل ولم يهجعوا فيه إلَّا قليلًا، عند السَّحَر يستغفرون الله، إنَّ هؤلاء هم أهل الكمال، يستشعرون النقص دائمًا، ولا يظنُّون أبدًا أنَّهم وفُّوا لله حقَّه.

---

(١) رواه أحمد في الزهد (١٤٨٢)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

إنَّ التوبة على درجات، كلٌّ يتوبُ بحسَــب درجتـــه، أمَّا نحن فإنَّنا نتوب من الكبائر والصغائر والمُحَرَّمات، نتوب ممَّا فَرَّطنا فيه من حقوق الله وحقوق العباد، وما أكثر تقصيرنا وتفريطنا!

وجوب المبادرة بالتوبة:

لا ينبغي أبدًا أن نؤخِّر التوبة؛ فإنَّنا لا ندري ماذا يُصنع بنا غدًا ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤].

البِدارَ البِدارَ بالتوبة، البِدَار البِدَار بالتوبة قبل أنْ يفْجأ أحدُنا الموت، ويطلب التأخير ولا تأخير، والإمهــال ولا إمهال فـ ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله لي ولكم، فاســتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِبْ لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلَّا استُجِيب له[١]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهمَّ اجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، واجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أكرِمْنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنَّا وأَرْضِنا.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصرْ إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وأيِّد كلمة الإخوة المجاهدين العاملين للحقِّ في لبنان.

اللهمَّ كنْ للمسلمين في كلِّ مكان.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ رُدَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذهبْ عن أرضِكَ سلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ آمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٣

أركان التوبة النصوح وشروطها

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدَّثْنا في الجمعة الماضية عن التوبة، ووجوب التوبة على جميع النَّاس ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

نعم، التوبة، وضرورة المبادرة بها؛ فإنَّ الأعمار تنقضي سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وأسبوعًا بعد أسبوع، ويومًا بعد يوم، وساعة بعد ساعة، ولحظة بعد لحظة، فلا بدَّ من المبادرة بالتوبة حتَّى لا يفجأك المرض، أو يفجأك الموت، وأنت لم تُعِدَّ العُدَّة، ولم تُهيِّئ الزاد.

فالحازم الكيِّس من تأهب للموت قبل نزوله، كما في الحديث: «**الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**»(١).

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٤/٢٨٠)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

وأوَّل ما ينبغي أنْ يعمل به العبد لمـا بعد الموت: أنْ يتوب إلى الله توبة نصوحًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

ما التوبة النصوح؟

النصوح: الخالصة من الشوائب، الَّتي لا غشَّ فيها ولا دَخَل.

فما حقيقة هذه التوبة؟ وما شروطها؟ وما علائمها؟

حقيقة هذه التوبة تبدأ بالنَّدم، ثمَّ بالعزم، وتنتهي بالإقلاع عن المعصية.

أوَّل أركان التوبة وأعظمها: النَّدم، وهو عمل من أعمال القلوب، وليس من أعمال اللسان، ولا من أعمال الجوارح.

وبعض النَّاس يحسب التوبة أنْ يقول بلسانه: تبتُ إلى الله، وندمتُ على معصية الله، وعزمتُ على طاعة الله، وألا أعود إلى المعاصي أبدًا، وبرئت من كلِّ دين يخالف دين الإسلام.

يقول هذا بلسانه، وربَّما جاء إلى بعض الشيوخ فقال له: يا سيِّدنا الشيخ توِّبْني، يريد بتتويبه أنْ يقول هذا الكلام.

هذا الكلام لا يغني.

لا يكفي أنْ تقول: نويتُ التوبة، وقلبك مصرٌّ على المعصية، بل لا يكفي أنْ تقول: أستغفر الله، وأنت عازم على المعصية.

وقد قالوا: الاستغفار من غير إقلاع هو توبة الكذابين.

فتوبة الكذَّابين على أطراف ألسنتهم، وتوبة الصادقين من أعماق قلوبهم.

وإنَّما تبدأ التوبة بذلك الندم، بهذه الحسرة، بهذا الحزن والأسى، بهذه المشاعر الَّتي تكوي الإنسان كيًّا.

QaradawiBooks.com

هذا الاحتراق الداخلي هو أوَّل التوبة، أنْ يشعر بالندم على ما فات، على ما فـرط منه في جنب الله، علـى تضييعه لفرائـض الله، على أكْلِه لحقوق النّاس، على... على...

هذا هو أوَّل التوبة، وقد جاء في الحديـث: «**النَّدَم تَوْبَة**»[1]. أي: هو الركن الأعظم، كما ورد: «**الحجُّ عرفـة**»[2]. أي: الركن الأعظم في الحجِّ هو الوقوف بعرفـة، وإن كان هناك أركان أخرى، كذلـك للتوبة أركان أخرى، ولكن أولها وأعظمها: الندم، أنْ يستشعر الإنسان مرارة المعصية، ويستحضر ذلك في قلبه، ويجعله نُصب عينيه.

يقظة القلب سبيل الندم:

وهذا الندم يأتي من صحوة، من يقظـة يجدُها في قلبه، وهذا فضلٌ من الله يهبه لمن يشاء من عباده، يأتي بأدنى ملابسة، كما قيل: من لَمْحَةٍ تقع الصُّلحة. من كلمةٍ يسـمعها، من موعظةٍ مؤثِّـرة، من آية يتلوها، أو يستمع إليها، من موقف يشـاهده، من رؤيا يراها، من موتٍ لعزيز عليه، من حادثةٍ تقع له، أو كارثةٍ تنزل به أو بأحدٍ يعزُّ عليه، فيحدث من وراء ذلك: النُّدم فيتوب إلى الله.

قالوا: إنَّ أحد كبار الوزراء في العصر العبَّاسـي مرَّ بموكبه العظيم في طريق، فكان النَّاس يسألون: من صاحب هذا الموكب؟ من هذا؟ من هذا؟

---

(١) رواه أحمد (٤٠١٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢)، وابن حبان في الرقائق (٦١٤)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٣/٤)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمـد (١٨٧٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. وأبو داود في المناسـك (١٩٤٩)، والترمذي في الحج (٨٨٩)، والنسـائي في مناسك الحج (٣٠١٦)، وابن ماجه في المناسك (٣٠١٥)، عن عبد الرحمن بن يعمر.

QaradawiBooks.com

فكانت امرأة في الطريــق قالت لهم: أقصروا من هذا؟ من هذا؟ هذا رجل سقط من عين الله، فابتلاه الله تعالى بما ترون، تظنُّون أنَّ هذا علامة مجد وعظمة، هذا رجل ســقط من عين الله. فبلغ ذلك الوزير قولة هذه المرأة، فرجع بعد ذلك إلى بيته، واستغنى عن الوزارة، وغيَّر من حياته كلِّها بكلمة[1].

كلمة يمكن أنْ تغيِّر الحياة.

منظر، لــو رأيت منظر جنــازة أمامك، لو رأيت أحــد أصدقائك أو أقربائك وقد كان ملء الســمع والبصر، فإذا هو جثــة أمامك لا يحرِّك ساكنًا، ولا يســتطيع شــيئًا، لو رأيت القبور وذهبت إلى وادي الموتى، ورأيــت هناك الأمــراء والكبــراء والــوزراء وأصحــاب الملايين، أين وزاراتهم؟ وأين رئاساتهم؟ وأين إماراتهم؟ وأين ملايينهم؟

منظر واحد يراه الإنســان بقلبه لا بعينه، يمكــن أنْ يغيِّر من حياته، كلمة يســمعها وقد فتح لها قلبه، فإذا هي تغيِّر مجرى حياته كلِّها فينتقل من حال إلى حال.

رؤيا يراها بعض النّاس، كثير من الصالحين تاب بسبب رؤيا رآها في نومــه، فغيَّرت من ســلوكه، وغيَّــرت من حياته، كمــا حكوا عن مالك بن دينار.

وعلى كلِّ حال، إنَّ الإنســان عليه أنْ يعين نفســه، يعين نفسه على حدوث هذا الندم.

---

(١) الرسالة القشيرية (٢١٥/١)، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الأسباب التي تعين على الندم:

كيف يعين نفسه؟

١ ـ يتذكر حق الله عليه:

يتذكر حقَّ الله تعالى عليه، وفضل الله تعالى عليه، وهو فضلٌ عظيم لا يحصيه عدٌّ، ولا يحيط به حدٌّ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النَّحل: ١٨].

يتذكر آلاء الله الَّتي تغمره من قرنه إلى قدمه، منذ كان في المهد صبيًّا، بل منذ كان جنينًا في بطن أمه، وإحسان الله إليه، وفضله عليه، لم يفارقه لحظة من الزمن.

٢ ـ يتذكر المعصية وشؤمها:

يتذكر هذا، ويتذكر بجوار ذلك، ما يصدر منه من معصية.

خيرُ الله تعالى إليه نازل، وشرُّه إلى الله صاعد!

يتحبَّب تعالى إليه بنعمه وهو الغني عنه، ويتبغَّض هو إلى الله سبحانه بمعصيته، وهو أفقر شيء إليه!

يتذكر المعصية، وشؤم المعصية، وآثار المعصية في الدُّنْيا والآخرة؛ فهي مجلبة الخسران، هي البضاعة الكاسدة الَّتي ليس من ورائها إلَّا البوار والخَسار في الدُّنْيا قبل الآخرة.

ذكر الإمام ابن القيِّم رضي الله عنه للمعصية أكثر من مائة ضرر من الأضرار والآثار في الأولى قبل الآخرة، في كتابه: «**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**».

QaradawiBooks.com

كلُّ ما ترى من شرورٍ في نفسك أو أهلك أو مالك أو ولدك أو أصدقائك أو المجتمع من حولك، كلُّ ما أصاب النَّاس من فسادٍ وانحلال، سببه المعصية.

إنَّ الله لا يُنزل البلاء على النَّاس انتقامًا منهم، بل إنَّما يُنزل عليهم العقوبة تأديبًا لهم بما فعلوا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

انظروا إلى التعبير القرآني:

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ لا يعاقبهم بكل شيء عملوه.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

تذكَّر شؤم المعصية، شؤم المعصية في الدُّنْيا وفي الآخرة، إذا صبرت على آثارها في الدُّنْيا، فانظر إلى آثارها في الآخرة، هل تتحمَّل عذاب القبر؟ هل تتحمَّل ما في الموقف يوم القيامة؟ هل تتحمَّل ما في جهنَّم والعياذ بالله؟

٣ ـ تذكر الموت وما بعده:

تذكَّر الموت وسكرته، وتذكَّر القبر وضمته، وتذكَّر الحساب ودقَّته، وتذكَّر الموقف وزحمته، وتذكَّر الربَّ وغضبته، وتذكَّر الجنَّة وما فيها من نعيم، وتذكَّر النَّار وما فيها من ألوان العذاب والخزي، تذكَّر هذا كلَّه.

تذكَّر أنَّكَ لا تستطيع أنْ تحتمل حرَّ الشمس في يوم صائف.

تذكَّر أنَّكَ لا تستطيع أنْ تحتمل لدغة مصباح تضع أصبعك عليه، فكيف تقوى على جحيم وقودها النَّاس والحجارة؟

QaradawiBooks.com

تذكَّر هذا كلَّه ليعينك على أنْ تندم.

الإنسان العاقل إذا عرف أنَّ شيئًا ما يضرُّه، ويهدِّده بالخطر، فلا بدَّ من أنْ يُقلع عنه، ألا ترون الإنسان الَّذي عاش عمره مدخنًا، المبتلى بهذه الآفة الَّتي تأكل المال والصحة والأعصاب، إذا قال له الطبيب وقد أصيب بقلبه: إما أنْ تُقلع عن التدخين، وإما أصبحتْ حياتك في خطر، ماذا يفعل هذا الإنسان؟

إنَّه لا يخاطر بحياته إذا كان عنده ذرَّة من عقل، إنَّه يقلع عن التدخين الَّذي عاش وهو إلفه، وعادته الَّتي استمسك بها عشرات من السنين في عمره، وكم رأينا من هؤلاء ممَّن عاش أربعين سنة أو أكثر أو أقلَّ، أقلع عن التدخين؛ لأنَّ الطبيب قال له: التدخين مُهَدِّد لصحَّتك، وخطر على حياتك.

فإذا قال طبيبك الأعظم، إذا قال لك رسول الله ﷺ، بل إذا قال الله تعالى لك: إنَّ المعاصي خطر على دنياك وآخرتك، خطر عليك في الحال، وخطر عليك في الاستقبال، أفلا تُصَدِّق هذا الطبيب؟ أفلا تقلع عمَّا أنت فيه من إضاعة حقِّ الله، ومن التقصير في جنب الله، ومن إضاعة حقوق النَّاس؟

هذا هو الَّذي ينبغي أنْ يستحضره الإنسان: الندم، الاحتراق، التحسر على ما مضى منك، هذا هو حقيقة الندم.

حقيقة الندم:

وقد قال بعض الصالحين: حقيقة الندم أنْ تضيق عليك الأرض بما رحبت، حتَّى تظن أن لا قرار لك، وتضيق عليك نفسك، كما وصف الله

QaradawiBooks.com

تعالى نفسية أولئك التائبين في سورة «التوبة» ـ الَّتي سميت بوصفهم ـ فقال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، على سعتها كأنَّ الدُّنْيا أصبحت أضيق من حلقة خاتم، ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، فوقفوا على بابه مستغفرين تائبين نادمين، هذه هي نفسية التائب الحقيقي.

ثم يأتي الركن الثاني وهو: العزم المصمم.

أنْ يعزم الإنسان الَّذي ابتلي بالمعصية، وكلُّ النَّاس مبتلون بالمعاصي، كما في الحديث عن النَّبي ﷺ: «**كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون**»(١).

لا يخلو أحد من الخطأ، ولا يخلو من الذنب؛ لأنَّ الله تعالى خلقه هكذا، لم يخلقْه ملكًا مطهرًا، ولم يجعله نبيًّا معصومًا، فسيدنا آدم عليه السلام نفسه أخطأ، فلا عجب أن يخطئ أبناؤه.

وهنا يأتي العزم على ترك الذنب، على اجتناب المعصية، على أنْ يبدِّل حياته، ويستبدل بصفحته صفحة جديدة، الصحائف الَّتي سودَّتها المعاصي، يريد أنْ يملأها بأعمال صالحة، فيترك ويقلِع عن الذنب، ويبدأ هذا بعزم، عزم جازم، عزم أكيد، عزم مصمم، إرادة قويَّة: ألَّا يعود إلى المعصية كما لا يعود اللبن إلى الضَّرْع، هكذا يقول العلماء، هل إذا خرج اللبن من ضرع الناقة، أو البقرة، أو الشاة، يمكن أن تعيده إليها؟

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسَّنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وهكذا ينبغي أنْ يكون عزمه ساعة التوبة، طلاقٌ باتٌّ بينه وبين المعصية.

أمَّا إذا ظلَّ مترددًا، يقدِّم رجلًا ويؤخِّر أخرى، يريد أنْ يتوب ولكنَّه يحنُّ إلى المعصية، ما زال يشعر بحلاوة المعصية، وبلذائذ المغامرات الماضية والأيام الخالية، لا زال هناك نوع من التعلُّق بتلك الأيام السود، فهذه ليست توبة، التوبة عزم مصمم ألَّا يعود إلى المعصية أبدًا.

ربَّما يعزم عزمًا أكيدًا ومصممًا، ولكن الإنسان ضعيف، يحدث بعد ذلك أنْ يضعف وتزلَّ قدمه، لا يضرُّ هذا في التوبة.

المهمُّ ساعة التوبة أنْ يكون عنده هذا التصميم المؤكَّد، فإنْ ضعُف بعد ذلك، وأغرته نفسه، وغرَّه شيطانه، وسقط في هُوَّة المعصية، فلا بدَّ من أنْ يستحدث توبة جديدة، وأنْ يقول ما قال أبوه آدم وأمه حواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهكذا، كلَّما أحدث ذنبًا سارع إلى التوبة والاستغفار، والله غفور رحيم.

روى أبو هُرَيْرة أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ عبدًا أصاب ذنبًا فقال: يا ربِّ، إنِّي أذنبتُ ذنبًا فاغفرْه، فقال له ربُّه: علم عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثمَّ مكث ما شاء الله، ثمَّ أصاب ذنبًا آخر** - وربَّما قال: ثمَّ أذنب ذنبًا آخر - **فقال: يا ربِّ، إنِّي أذنبتُ ذنبًا آخر فاغفرْ لي. قال ربُّه: عَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثمَّ مكث ما شاء الله، ثمَّ أصاب ذنبًا آخر** - وربَّما قال: ثمَّ أذنب ذنبًا آخر - **فقال: يا ربِّ، إنِّي أذنبتُ ذنبًا فاغفرْه لي. قال ربُّه: عَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فقال ربُّه: غفرتُ لعبدي، فلْيعملْ ما شاء**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٠٧)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٨).

QaradawiBooks.com

فهو يسارع إلى التوبة، ولن يُغلق الله بابه عنه، لقد قيل لسعيد بن المُسيّب عن ذلك فقال: في ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

قال: «الأوَّاب» الرجل يذنب ثمَّ يتوب، ثمَّ يذنب ثمَّ يتوب[١]. لأنَّ هذه الصيغة: صيغة «أوَّاب» تدلُّ على الكثرة، أي: أنَّه كثير الأوبة إلى الله، فيمكن أنْ يعثر ثمَّ ينهض، ويخطئ ثمَّ يحاول التصويب وهكذا، فهو لا ييئس من رَوْح الله، ولكن المهمَّ كلَّ الأهميَّة أنْ يكون عند التوبة عازمًا ومُصَمِّمًا على عدم العودة، هذا ركنٌ ثانٍ ومهمٌّ، وضروري للتوبة النصوح.

ثم يأتي الركن الثالث وهو: الإقلاع عن الذنب.

وهو أمر يتعلَّق بالجوارح، وهو أنْ يقلع بالفعل عن المعصية الَّتي كان يقترفها من قبل، هذا الندم وذلك العزم لا بدَّ من أنْ يكون لهما أثر، أثرهما هو الإقلاع عن المعصية، والبُعد عنها، وكراهيتها، وكلَّما ذكرها سأل الله المغفرة، ورجاه الجنَّة، وخاف النَّار، هذا هو شأن الإنسان المؤمن التائب: أنْ يقلِع بالفعل عن المعصية.

فعل الصالحات في مقابل السيئات:

بل لا يكتفي بالإقلاع، ولكنَّه يعمل الصالحات في مقابل السيِّئات الَّتي اقترفها؛ حتَّى يبدِّل الله سيئاته حسنات، وقد جاء في الحديث: «**وأتبع السَّيِّئة الحسنة تمحها**»[٢]. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (٤١٦)، من قول سعيد بن المسيب.

(٢) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

وليحاول أنْ يمحوَ السيِّئات بأضدادها من الحسنات، إذا كان قد أكلَ مالًا من حرام، يحاول أنْ يتصدق بمال من حلال، إذا كان كثير الغيبة للنّاس، يذكرهم بسوء، يجعل لسانه يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ويذكر أهل الخير في كلِّ مجلس بما يستحقون، إذا كان قد فعل معصية معينة يحاول أنْ يعمل طاعة بضدها، إذا كان يقرأ كتبًا رديئة يحاول أنْ يقرأ كتبًا دينيَّة وكتبًا صالحة، إذا كان ينشر الفاحشة يحاول أن ينشر الفضيلة، وهكذا يحاول أن يجدِّد إيمانه من جديد، القرآن الكريم يقول: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. دائمًا تقترن التوبة بالإيمان والعمل الصالح.

المعاصي تخدش الإيمان:

لماذا قال: ﴿تَابَ وَءَامَنَ﴾؟

لأنَّ المعاصي ـ وخصوصًا الكبائر ـ تخدش الإيمان، وتنال منه، على قدر المعصية وكبرها، وإذا تاب الإنسان يحاول أنْ يجدِّد إيمانه، وأنْ يبنيَ هذا الإيمان من جديد، ولذلك جاء في الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[1]. أي: ليس مؤمنًا الإيمان الحقيقي، الكامل، الصادق.

هذه الكبائر خدشت من إيمانه وجرحته، فهو لا بدَّ أنْ يداويَ هذه الجراح وهذه الكُلوم بالتوبة وبالإيمان.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، يعمل الأعمال الصالحات بعد أنْ كان يعمل الأعمال السيِّئات، فهذا هو الأمر الإيجابي، أنْ يبدأ فيعمل الأعمال الصالحة يملأ بها صحائفه من جديد.

هذه هي التوبة النصوح: ندم، وعزم، وإقلاع.

إذا فعل ذلك، فإنَّ الله تعالى أهلٌ لأنْ يتوب عليه، وأنْ يجعله من أهل محبَّته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال بعض الصالحين: سألت الله عدة سنين أمرًا سهلًا ولم أره استجاب لي! فقال له بعضهم: وماذا سألته؟

قال: سألته أنْ يتوب عليَّ، أنْ يرزقني توبة نصوحًا.

قال: أتظنُّ هذا الأمر سهلًا أو هينًا؟ أتدري ماذا تسأل الله؟ إنَّك تسأله أنْ يحبَّك، إنَّك تطلب محبَّة الله؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، فأنت تطلب درجة من الدرجات العلى، منزلة من المنازل الَّتي تتطاول إليها الأعناق: أنْ يحبَّك الله، وإذا أحبك الله كان سمعك الَّذي تسمع به، وبصرك الَّذي تبصر به، أصبحت ربانيًّا.

شروط التوبة:

التوبة: ندمٌ، وعزمٌ، وإقلاعٌ، هذه أركان التوبة.

أمَّا شروطها فهي، أنْ تردَّ المظالم إلى أهلها، والحقوق إلى أصحابها.

وتنقسم الذنوب إلى أقسام: صغائر، وكبائر.

الصغائر تُكَفِّرها الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، بل الصغائر يُكَفِّرها مجرد اجتناب الكبائر، كما قاله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

أمَّا الكبائر، فلا تكفِّرها إلَّا التوبة.

أنواع الكبائر:

ولكنَّ الكبائر نوعان: حقوق لله، وحقوق للعباد.

هناك حقوق لله عليك تتعلَّق بترك المأمورات، مثل أنْ تكون قد تركت الصلاة، أو تكون قد تركت الصيام، أو نحو ذلك.

وهناك حقوق لله تتعلَّق بفعل المحظورات، إذا تركت المحظورات تائبًا إلى الله، فقد ابيضت صفحتك.

أمَّا ترك المأمورات، ففيه كلام وكلام، السنوات الَّتي مرَّت من عمرك دون أنْ تصلي، أو دون أنْ تصوم، ماذا تصنع فيها؟

هنالك اختلف العلماء: هل يُؤدِّي كلَّ ما فاته، ولو كانت عشرات السنين؟ وكيف يستطيع؟

وهناك رأي يقول: إنَّ ما فات قد انتهى، ولا أمل في أنْ يقضيَ ما فات.

معركة جدليَّة بين المذاهب المختلفة في قضاء الفوائت من الصلاة والصيام، ولعلَّ الرأي الَّذي أرجِّحه، هو الرأي الَّذي يقول: إذا كان قد مضت عليه سنوات وسنوات، فالأولى أنْ يكْثِر من الطاعات ومن النوافل، ويحرص بقيَّة عمره على أداء الفرائض على أكمل وجهٍ، ويستغفر الله على ما مضى، لعلَّ هذا هو الأولى وخصوصًا في قضاء الصلوات.

QaradawiBooks.com

كيفية التوبة من حقوق العباد:

وأمَّا حقوق العباد، فهي المشكلة، كيف تتوب وفي رقبتك حقوق للعبـاد؟ ولا يمكن أنْ تُقبـل التوبـة والعباد يطالبونـك بحقوقهم، وخصوصًا الحقوق الماليَّة، ومنها حقُّ الزكاة؛ لأنَّ الزكاة حقٌّ لله وحقٌّ للفئات الَّتي جعلهـا الله أهلًا لها، من الفقراء والمسـاكين والغارمين وأبناء السبيل.

لكي تصحَّ توبتك، لا بدَّ أنْ تحسب ما مضى من السنين من زكاة لم تؤدِّها، أمْسِـكْ قلمًا ودفترًا، أو هاتِ آلةً من الآلات الحاسبة، واحسبْ أموالك بالتقريب، كم عليك فيما مضى من السنين؟

هل صحَّت توبتك فتخـرج ما عليك أيًّا كان المبلـغ؟ أم أنَّ الدُّنْيا تصبح أكبر عندك من الآخرة؟ فإذا وجدت المبلغ كبيرًا تركت التوبة، إذا كان المال أعزَّ عنـدك من الجنَّة، فافعـل ذلك، وإذا كانـت الجنَّة أعزَّ وأغلى، فأخرج من مالك ما وجب عليك ولو عشت فقيرًا.

حقوق النَّـاس، إذا كنت تعـرف أصحاب هذه الحقوق فـردّ إليهم حقوقهم، وإذا كانوا قد ماتوا فردّ إلى ورثتهم.

الحقوق المالية لا تسقط بالتقادم:

الحقوق الماليَّة في الإسـلام لا تسـقط بالتقادم، لا تسـقط بمضي السـنين، ليس بعد عشر سـنين، ولا عشـرين، ولا ثلاثين، تقول: هذا انتهى، لا، سيظل في رقبتك، ابحث عن أصحابه، فإذا أعياك أمرهم ولم تعرفهم، أو كانوا غير محصورين، كالتاجر الَّذي يغش، أو يبيع ويطفف، أو... أو...، ظلم ألوف النَّاس في عمره، ما يصنع في هذا؟

QaradawiBooks.com

إنَّه يحسب هذه المظالم بالتقريب، ويتصدَّق بذلك عن أصحابها لا يتصدَّق عن نفسه؛ لأنَّه ليس هو مالك المال الحرام، هذا المال الحرام ملك أهله وأصحابه، ولكن يتصدَّق عنهم، كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه، حيث اشترى جارية من رجل، ودخل يزن له ـ وكانت النقود الفِضِّيَّة توزن في ذلك الوقت ـ فلمَّا خرج بحث عن الرجل فلم يجدْه، ونادى: يا صاحب الجارية، يا رجل، وظلَّ يبحث عنه سنين حتَّى يئس منه، ثمَّ قال: اللهمَّ إنِّي أتصدَّق بثمن الجارية عن هذا الرجل، فإنْ رضي يوم القيامة فله أجر هذه الصدقة، وإن لم يرضَ فأجرها لي، وليأخذ من حسناتي بقدر ماله[1]. هكذا فعل ابن مسعود رضي الله عنه.

يوم القيامة يتعامل النَّاس بعملة واحدة، ليس هناك درهم ولا دينار، ولا ريال، ولا دولار، العملة الوحيدة في ذلك اليوم هي الحسنات والسيِّئات، ولا بدَّ لكلِّ إنسان أنْ يأخذ حقَّه، لا تسامح ولا تنازل، فهو يوم الأنانيَّة والفرديَّة ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]. كلّ امرئ يقول: نَفْسي نَفْسي. لا يتنازل عن الحسنة فلعلَّ ميزانه ينقصها.

ولذلك فكلُّ واحدٍ يطلب حقَّه، وممَّ يأخذ الحقَّ ولا نقود ولا فلوس، إلَّا هذه الحسنات والسيِّئات؟ فإمَّا أنْ يأخذوا من حسناتك حتَّى يستوفوا حقوقهم، وإما أنْ يُحَمِّلوك من سيِّئاتهم إذا عجزَتْ حسناتك عن الوفاء بالحقوق.

لا بدَّ من ردِّ الحقوق إلى أهلها، جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يُغفَر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن**»[2].

(١) إحياء علوم الدين (١٣١/٢).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشهيد الَّذي يُقتل في سـبيل الله تُكفَّر عنه خطاياه، الشهادة مُكَفِّرة للذنوب، الشهادة في سبيل الله أعلى ما يتمنَّاه المؤمنون ويحرصون عليه، ولكنَّها تُكَفِّر الذنوب إلَّا شيئًا واحدًا، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**إلَّا الدَّيْن**».

وفي الحديث: إنَّ رسـولَ الله ﷺ قام فيهم فذكر أنَّ الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسـولَ الله، أرأيتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيل الله تُكَفَّر عَنِّي خطاياي؟

فقال رسـولُ الله ﷺ: «**نعـم، إن قُتلـتَ في سـبيل الله وأنت صابرٌ مُحْتَسِب، مُقْبِلٌ غير مُدْبِر**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلتَ؟**»

قال: أرأيت إنْ قُتلتُ في سبيل الله أتكفَّر عني خطاياي؟

فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، إنْ قُتلتَ وأنت صابر مُحْتَسِب، مقبل غير مُدَبِّر، إلَّا الدَّين، فإنَّ جبرائيل قال لي ذلك**»(١).

جبريل اسـتدرك على النَّبي ﷺ وصحَّح له: إنَّ الشهادة في سبيل الله تُكَفِّر كلَّ الذنوب وتمحوها إلَّا الدُّيون.

حقوق العباد الماليَّة هذه خطيرة، في غايـة الخطورة، الحقوق الَّتي للعباد ينبغي أنْ تُرَدَّ.

الحقوق الأدبيَّة يمكن للإنسـان أنْ يعوضها بالاستغفار لهم، والثناء عليهم، والدعاء لهم، أمَّا الحقـوق الماليَّة، فإما أنْ يدفعها إليهم، أو إلى ورثتهم، أو يستحلَّهم، أو يتصدق بمثلها إنْ بحث عنهم فلم يجدهم.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٨٠٧٥)، عن أبي قتادة.

QaradawiBooks.com

ما معنى: يَسْتَحِلُّهم؟

يذهب ويقول له: يا أبا فلان، في أيَّام طَيْشي وغروري وبُعدي عن الله أخذتُ منك شيئًا، أو نلتُ منكَ كذا، وأنا أرجو أنْ تسامحني، فإذا سامحه فقد تنازل عن حقِّه، وله أجره عند الله، وإلَّا فلا بدَّ من الوفاء، وإنْ عجز وصدقت نيَّتُه وتوبته، فإنَّ الله أهـلٌ أنْ يُرضيَ عنه خصومَه يوم القيامة.

التوبة من الذنوب المستمرة بعد الموت:

هناك ذنوب لها أهميَّة خاصَّة: الَّذين يُذنبون ولا تموت معهم ذنوبهم، يا لخسران هؤلاء، طوبى لمن إذا مات، ماتت معه ذنوبه ومعاصيه، وويل لمن يموت وتظلُّ ذنوبه مستمرة.

انظروا إلى أصحاب الأفلام والمسلسلات والأغاني والكتب المليئة بالكفريات والضلالات، مات أصحابها، ولكنَّها لا تزال تعمل على إفساد النّاس، أفرادًا وجماعات، هــذا هو الخطر، ولذلك على هؤلاء أنْ يتوبوا مسارعين مبادرين، قبل أنْ يصبح الأمر خطيرًا.

كم يصعب عليَّ أولئك الَّذين ينتسبون إلى الفن، من الرجال والنساء، ثمَّ تدركهم الصحوة في يوم من الأيام فيتوبون إلى الله، ما موقفهم وهم ينظرون في التلفازات وفي الســينمات أنفسهم شبه عرايا، وفي المجون والخلاعة والفجور، ماذا يفعلون؟

كيف تكون هذه التوبة؟

إنَّه لا بدَّ لها من عمل صالح مقابل هذه الأعمال السيِّئة.

QaradawiBooks.com

أو يفعل كما فعل بعض الفنانين والفنانات حينما حاولوا أنْ يشتروا الأشرطة الَّتي فيها الفساد القديم.

وأحيانًا لا يستطيعون ذلك؛ لأنَّها بيعت طيلة العمر، ولم تعد ملك أيديهم، فيعجزون عن عمل شيء، والله أعلم بمدى صدقهم ومدى عجزهم، وهو أهل المغفرة.

والذي أضلَّ النَّاس بكفره، بقلمه، بكتبه، بمقالاته، هذا إذا أراد أنْ يتوب، يتوب ولكن فكره المضلل المفسد المدمر ما زال يعمل عمله، ومن هنا لا يكفي أنْ يتوب حتَّى يخطِّئ نفسه، ويتبرأ من تلك الكتب، ويحاول منعها ما استطاع.

الله تعالى قال في توبة الكاتمين للعلم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، لا تُقبل توبتهم ما لم يُصلحوا ويبينوا، أمَّا أنْ يقول أحدهم: تبتُ، ولا يزال ما فات كما فات، فهذه ليست توبة.

لا بدَّ من إصلاح وتبيين، يبين فيه ضلال نفسه أمام النّاس، ويعتذر على الملأ، وقد فعل ذلك بعض الكُتَّاب الشجعان.

التوبة ليست كلامًا يُقال:

التوبة ليست كلمةً تُقال، ولا دعوى تُدعى، التوبة عملٌ عظيمٌ، تغييرٌ في حياة الإنسان، تغييرٌ يتغير كلُّ شيء فيه: فكره، وقلبه، وعمله، وسلوكه، وحياته كلُّها، هذه هي التوبة.

QaradawiBooks.com

ولذلك علامة في التائب: أنْ تجده قد غيّر أصحابه، «الشلة» القديمة، إخوان السوء، شياطين الإنس، الَّذين يشوّشون عليه عزمه، ويصدُّونه عن سبيل الله، ويزيّنون له المعاصي.

لا بدَّ له أنْ يغيّر هؤلاء، ويغيّر مجلسه، ويغيّر بيئته، حتَّى يسلك في عداد التائبين.

لقد قال الله تعالى عن التائبين: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

نسأل الله تعالى أنْ يتوب علينا توبة نصوحًا، وأنْ يجعلنا من التائبين المتطهرين، إنَّه عليم قدير.

وصلى الله على سيِّدنا مُحَمَّد، وادعوا ربكم يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زالت إسرائيل الدولة المُغْتَصِبة المُعْتَدِية، تعبث بحقوقنا ومقدساتنا، رغم ما يُدعى إليه ممَّا يسمى «السلام»، كيف يكون السلام وإسرائيل لا زالت متشبثة بمواقفها؟! لا زالت تشنُّ عدوانها في جنوب لبنان، وما زالت متشبثة بالجُولان، ولا زالت تعمل عملها في أبناء الحجارة، وفي الضفة الغربيَّة وغزَّة، لا زالت تفعل الأفاعيل، تسفك الدماء، وتكسر العظام، وتهتك الحرمات، لا زالت إسرائيل تفعل هذا.

وآخر ما فعلت هو الاعتداء على المحكمة الشرعيَّة الإسلاميَّة في القدس، والاستيلاء على الوثائق المُهِمَّة، الَّتي تثبت ممتلكات المسلمين، وممتلكات الأوقاف الإسلاميَّة، الممتلكات العامَّة، والممتلكات الخاصَّة، تريد ألَّا يبقى عند المسلمين أيُّ شيء يدلُّ على مِلْكِيَّتهم، ومع هذا ما زلنا نلهث وراء السلام.

هذه إسرائيل، إسرائيل لا يمكن أنْ تؤدَّب إلَّا بالقوَّة، وفلسطين لا يمكن أنْ تردَّ إلَّا بالقوَّة، إلَّا بالجهاد، هذا ما أعتقده.

هؤلاء المعتدون الظالمون لا يمكن أنْ يسكتهم إلَّا منطق القوَّة، لا قوَّة المنطق.

الله تعالى ذكر هؤلاء النَّاس في كتابه في مئات الآيات، لم يُحَدِّثْنا عن فارس والروم إلَّا في آيات معدودات، أمَّا بنو إسرائيل واليهود، فقد حدَّثنا عنهم في سورٍ وسور، وآيات وآيات؛ لنكون على بصيرة

QaradawiBooks.com

من أمرهم، وعلى بَيِّنة من مواقفهم؛ حتَّى نعدَّ أنفسنا للقائهم في يوم من الأيام.

نسـأل الله تعالى أنْ ينير بصائر هذه الأُمَّـة، وأنْ يُهَيِّئ لها من أمرها رشـدًا، وأنْ يجعل يومها خيرًا من أمسـها، وأنْ يجعـل غدها خيرًا من يومها، وأنْ يحسن عاقبتها في الأمور كلِّها.

اللهمَّ انصُرْنا على أعدائنا أعداء الإسلام، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانهم، ولا تدَعْ لهم سبيلًا على أحد من عبادك المسلمين.

اللهمَّ اجمـع كلمة هذه الأُمَّة علـى الهدى، وقلوبهـم على التقى، ونيَّاتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

هاذم اللذَّات الموت

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كنَّا نتحدث عن التوبة، ووجدنا من عوائق التوبة طول الأمل، التسويف، استبعاد الموت.

لا بد من ذكر الموت:

وهذه آفة قلَّ من سلِم منها من النّاس، ولهذا كان العلاج لهذا أنْ يذكر النَّاس الموت، وقد أوصانا رسول الله ﷺ بذلك حينما قال: «**أكثروا ذكر هاذم اللذَّات: الموت**»(١). وهو الَّذي يهذم اللذَّات ويقطعها، ويُفَرِّق النَّاس عنها.

لا بدَّ من ذكر الموت، هذه حقيقة يهرب النَّاس منها، ويحاولون أنْ يبعدوها عن أذهانهم وقلوبهم، وأنْ يعيشوا ليومهم دون أنْ يتفكَّروا في غدهم، ولحياتهم دون أنْ يذكروا موتهم، ولدنياهم دونْ أن يذكروا آخرتهم، حتَّى إنَّ أكثر الوعَّاظ والخطباء أصبحوا اليوم لا يذكِّرون النَّاس بهذه الحقائق، بمعاني الآخرة، بالموت وما بعده، ومعظم أحاديثهم عن مشكلات المجتمع، عما يعانيه النَّاس.

(١) رواه أحمد (٧٩٢٥)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٠٧)، وقال: حسن غريب. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولا بأس بذلك، ولكن لا يعني هذا أنْ تغفل هذه الحقائق الروحية، وأولاها: أنَّ النَّاس ولدوا ليموتوا.

لِـدُوا لِلْمَـوْتِ وابنُـوا لِلخَرَابِ فكلُّكـم يصيـرُ إلى التُّـرَابِ[١]!

لهذا كان لا بدَّ من التذكير بالموت، وقد عقد الإمام الغزالي كتابًا في «إحيائه»، في آخر «ربع المنجيات» مـن الإحياء[٢]، كتاب: «ذكر الموت وما بعده» قال في مطلعه: «جدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقرُّه، وبطن الأرض مستقرُّه، والقيامة موعده، والجنَّة أو النَّار مورده، ألَّا يكون له فكر إلَّا في الموت، ولا ذكر إلَّا له، ولا استعداد إلَّا لأجله، ولا تدبير إلَّا فيه، ولا تطلُّع إلَّا إليه، ولا تعريج إلَّا عليه، ولا اهتمام إلَّا به، ولا حول إلَّا حوله، ولا انتظار وتربُّص إلَّا له»[٣].

جدير بالإنسان ـ وهذا مصيره، وتلك عاقبته ـ أنْ يتفكَّر في هذا المُغِير، الَّذي يغير عليه فجأة، ويهاجمه بغتة، وأنْ يجعل من ذكره جلاء لقلبه من صدأ الغفلة والقسوة، كما جاء في الحديث عن النَّبي ﷺ أنَّه كان يقول: «**إنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**».

فقيل: يا رسولَ الله، وما جلاؤها؟ فقال: «**تلاوة القرآنِ وذِكْرُ الموت**»[٤].

---

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر: الحماسة البصرية (٤٢٧/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر دار الكتب العلمية.

(٢) أسَّس الإمام الغزالي كتابه إحياء علوم الدين على أربعة أقسام، وهي: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات.

(٣) إحياء علوم الدين (٤٤٨/٤).

(٤) رواه أبو نُعيم في الحلية (١٩٧/٨)، والقضاعي في مسنده (١١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٥٩)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٠٩٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الموت الواعظ الصامت:

لقد ترك فينا النَّبيُّ ﷺ واعظَيْن بليغَيْـن: ناطقًا وصامتًا؛ فالناطق هو القرآن، والصامت هو الموت!

لا يدري أحد متى يأتيه الموت:

لا يعرف أحد متى يأتـي الموت، ولا أين يكـون الموت ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وكذلك لا تدري أي زمن تموت: أتموت شـابًّا، أم تموت كهلًا، أم تموت شيخًا؟ قد تبقى إلى السبعين، وقد تبقى إلى المائة، وقد تتجاوز المائة، وقد تُختطف في ريعان شبابك ومقتبل عمرك، قد تكون هذا وقد تكون ذاك، المهم أنَّه ليس عندك صـك بموعد الموت، ولا تعرف متى يزورك «عزرائيل».

كم اختطف الموت أبًا من بنيه، وابنًا من أبيه، وأخًا من أخيه، وقريبًا من قريبه، وحبيبًا من حبيبه، وقائدًا من جنده، وأستاذًا من تلاميذه، فلم يستطع أحد أنْ يدفع عنه بنفس ولا مال ولا جاه.

إنَّ الحَبِيبَ من الأحباب مُخْتَلَسُ ... لا يمنع الموتَ بَوَّابٌ ولا حَرَسُ
فكيـف تفـرح بالدُّنْيـا ولَذَّتها ... يا من يُعَدُّ عليه اللَّفْـظُ والنَّفَسُ
أصبحت يا غافلًا في النقص منغمسًا ... وأنت دَهْرَكَ في اللَّذَّات مُنْغَمِسُ
لا يرحمُ المَوْتُ ذا جهـلٍ لِغرَّتِهِ ... ولا الَّذي كان منه العلم يَقْتَبِسُ[١]

(١) قال الإمام الغزالي في الإحياء (٤٨٨/٤): وجد على قبر مكتوبًا.. فذكر هذه الأبيات.

QaradawiBooks.com

فالموت بابٌ وكلُّ النَّاس داخله، وكأس وكلُّ النَّاس شاربه، وحوض وكلُّ النَّاس وارده، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قد تموت شابًّا، وقد تموت شيخًا، ولكن النتيجة واحدة، «**عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميِّت، وأحبِبْ من شئتَ فإنَّك مفارقه، واعملْ ما شئتَ فإنَّك مجزيٌّ به**»(١). ومسؤول عنه، عش مائة سنة، أو عش ألف سنة، أليس آخرها الموت؟

وإذا كان آخرُ العُمْرِ موتًا فسواءٌ قصيرُه والطويلُ

التمني عند الموت:

وكلُّ من يموت سيأتي ساعة الموت، ويقول: لو أنِّي أُبقيت قليلًا لأزيد من عمل الصالحات، إن كان من أهل الصالحات! أو أعمل صالحًا إن كان من المفرِّطين! وهيهات هيهات، هيهات هيهات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

إذا جاء الأجلُ فلا تأخير ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

والساعة هنا ليست الساعة الفلكيَّة، سِتِّين دقيقة، الساعة هي اللحظة من الزمن، لا يستأخر لحظةً من الزمن ولا يستقدم.

العمر أيَّام معدودةٌ وأنفاسٌ محدودة، لا بدَّ أنْ تنتهي بالموت.

مولد الإنسان علامة موته:

علامة الموت: الميلاد، إذا وُلد الإنسان كان ذلك علامة على أنَّه سيموت، وكلُّ يوم ينقضي من عمره، فقد طُويت صفحة من كتابه، ولهذا نعجب من الَّذين يحتفلون بأعياد ميلادهم، وكان الأولى أنْ يتفكروا في يوم الميلاد، قرب آجالهم، ونقص أعمارهم، فكلُّ سنة تنقضي جدار يتهدم من بنيان العمر.

ونفرح بالأيَّامِ إمَّا تصرَّمَتْ على أنَّها من عمرنا تَتَصَرَّمُ[1]
إنَّا لنفرحُ بالأيَّام نقطعُها وكلُّ يومٍ مضى جزءٌ من العُمْرِ[2]

كان الحسن البصري يقول: يا ابنَ آدم، إنَّما أنت أيَّام مجتمعة، كلَّما ذهب يوم ذهب بعضك[3]. أنت مجموعة أيَّام، كلَّما ذهب يوم ذهب جزء منك، حتَّى يذهب كلُّك.

لا ينجو أحد من الموت:

الموت حوضٌ مورود لكلِّ النّاس، لم ينجُ منه نبيٌّ، ولا وليٌّ، ولا ملك، ولا أمير، لا أهل الدِّين، ولا أهل الدُّنْيا.

---

(١) البيت للشاعر علي محمود الضاني من قصيدته العام الجديد.
(٢) ذكر المزي أن يزيد الرقاشي كان يتمثل به، انظر: تهذيب الكمال (٣٢/٧٤)، تحقيق د. بشار عواد، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
(٣) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (٢/١٤٨)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

الأنبياء ذاقوا مرارة الموت، على ما لهم عند الله من عظيم المنزلة، قالوا: إنَّ نوحًا عليه السلام، وهو أطـول الأنبياء عمرًا، عُمِّر في الدُّنْيا أكثر من ألف سـنة، لبث في قومه يدعوهم ألف سـنة إلَّا خمسـين عامًا، عدا السـنين الَّتي قبل النبوة، والسنين الَّتي عاشها بعد الطوفان، وقد حكوا أنَّ ملك الموت حينما جاءه ليتوفَّاه، سأله: يا أطولَ الأنبياء عمرًا، كيف وجدت الدنيا؟ قـال: وجدتها كـدار لها بابان، دخلـت من أحدهما، وخرجت من الآخر[1].

هكذا الدُّنْيا، الأنبياء ذاقوا كأس الموت.

يوسف عليه السلام لقي في الدُّنْيا ما لقي من محن ومنح، ثمَّ آتاه الله الملك، وجعله على خزائن الأرض، ثمَّ كان مصيره ما حكاه الله عنه بقوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا ما ينبغي أنْ يفكر فيه المؤمن، أنْ يتوفاه الله مسلمًا، وأنْ يُلحقَه بالصالحيـن، وهكذا كان المؤمنون يدعـون: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، هكذا كان همهم.

وخير الأنبياء وخاتمهـم وخيرة الله من خلقـه مُحَمَّد ﷺ خاطبه الله بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥].

وقال مخاطبًا له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٠٤/٣).

QaradawiBooks.com

كان رسول الله ﷺ يعاني سَكَرات الموت، وكان عنده قدح من ماء، فكان يأخذ منه، يمسح بهذا الماء وجهه ويقول: «**اللهمَّ أعِنِّي على سكرات الموت**»(١).

محمد ﷺ يدعو الله بهذا ويقول: «**إنِّي أُوعَكُ كما يُوْعَك رجلان منكم**»(٢).

وبجواره ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي وتقول: واكرب أباه، فيقول لها النبي: «**ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم**»(٣).

مات رسول الله ﷺ، ومات أصحابه.

أبو بكر رضي الله عنه حضرته الوفاة، فجلست بجواره عائشة رضي الله عنها فأنشدت قول القائل:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوَجْهِهِ ... ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

فقال لها أبو بكر مُصَحِّحًا لها: ذاك رسول الله ﷺ(٤)، ثمَّ أنشدت قول الشاعر، وكانت ممَّن يحفظ من الشعر الكثير:

لَعَمْرُكَ ما يغني الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ(٥)

---

(١) رواه أحمد (٢٤٣٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الجنائز (٩٧٨)، واستغربه. وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٣)، والحاكم في التفسير (٤٦٥/٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٧٦)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧١)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه البخاري في المغازي (٤٤٦٢)، عن أنس.

(٤) رواه أحمد (٢٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الأدب من مصنفه (٢٦٥٩١)، والبزار (٥٨)، وقال: إسناده حسن.

(٥) ديوان حاتم الطائي صـ٢٣، شرح أحمد رشاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

أي: الروح إذا بلغت الحلقوم، فقال لها: بل قولي ما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩][(١)].

وهو في هذا الوقت يصحِّح المفاهيم، ويقول لها: بدل أنْ تذكري الشعر اذكري القرآن.

الخوف والرجاء عند الموت:

هكذا ينبغي أنْ يكون الإنسان ذاكرًا لربِّه في هذا الوقت، ذاكرًا لكتابه، خائفًا من ذنبه، راجيًا رحمة ربِّه.

دخل النَّبي ﷺ على شاب يحتضر فقال له: «**كيف تجدك؟**».

قال: أرجو الله يا رسولَ الله، وإنِّي أخاف ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلَّا أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنه ممَّا يخاف**»[(٢)].

ما دام الإنسان في مثل هذا الموطن يرجو ويخاف، يرجو المغفرة، ويخاف عاقبة الذنوب، فإنَّ الله سبحانه وتعالى سيكون عند حسن ظنِّ عبده به، سيؤمِّنه ممَّا يخاف، ويعطيه ما يرجو.

اشتكى أبو الدَّرْدَاء رضي الله عنه، فدخل عليه أصحابه، فقالوا: ما تشتكي

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١٠٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. والبيت لأبي طالب بن عبد المطلب كما في سيرة ابن هشام (٢٧٦/١)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٢) رواه الترمذي في الجنائز (٩٨٣)، وقال: غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٨٣٤)، وجوَّد النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٩٠٢/٢). عن أنس.

QaradawiBooks.com

يا أبا الدَّرْدَاء؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنَّة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: هو الَّذي أضجعني[١].

هكذا كانت قلوب مُعَلَّقة بالله تعالى، فكلُّ ما يشغلها هو لقاء الله، وذنوبها الَّتي خلَّفت، ومغفرة الله الَّتي ترجوها.

الموت لم يدَع نبيًّا، ولم يدَع وليًّا، ولم يدَع خليفة، ولم يدَع ملكًا، ولم يدَع أميرًا، ولم يدَع غنيًّا، ولم يدَع فقيرًا، كلُّهم ورد حوض الموت.

قالوا: إنَّ هارون الرشيد أصابه المرض، فعُرِض بوله على أحد الأطبَّاء، وهو لا يعرف أنَّ هذا للرشيد، فقال: صاحب هذا البول ميئوس منه، وبلغ ذلك الرشيد، فقال:

إنَّ الطَّبِيبَ له عِلْمٌ يُدِلُّ به ... ما دام في أَجَلِ الإنسان تأخيرُ
حتَّى إذا ما انقضت أيَّام مُهْلَتِه ... حار الطبيبُ وخانته العقاقيرُ[٢]!

الطبيب إنَّما ينفع طبُّه ما دام هناك في الأجل متسع، ولكن إذا حان الأجل، إذا كان الداء من السماء، بطل الدواء، وحار الأطبَّاء، وكان لا بدَّ من اللقاء.

أُعطي الشاعر ابن الرومي دواء غلطًا، فكان سببًا في موته، ولمَّا لام النَّاس الطبيب الَّذي وصف له الدواء قال:

غلط الطبيبُ عليَّ غلطةَ مُوردٍ ... عَجَزَتْ مواردُه عن الإصدارِ
والناس يَلْحُون الطبيب، وإنَّما ... غلطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدارِ[٣]

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١٨/١).

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي (١١٨/١)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر عالم الكتب، بيروت.

(٣) المنتحل للثعالبي (١٠٢/١)، نشر المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م.

QaradawiBooks.com

الطبيب غلط، ولكن القدر لم يغلط، كان لا بدَّ من أن يموت.

إذا جاء الموت لم ينفع طبٌّ، ولم ينفع دواء، ليس معنى هذا أن نترك الدواء، لا بأس أن نتداوى؛ فإنَّ الَّذي أنزل الداء أنزل الشفاء، علِمَه من علمه، وجَهِله من جَهِله، ولكن الدواء ينفع ما دام في الأجل بقيَّة، فإذا جاء الموت لم ينفع شيء.

نظر الرشيد إلى أكفانه فقال: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩][1].

وابنه المأمون حينما جاءه الموت، كان يدعو الله ويقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه[2]!

وقالوا عن عبد الملك بن مروان: إنَّه حينما مرِض مرَض الموت، نظر إلى غسَّال كان يغسل الثياب بيده في دمشق فقال: ليتني كنت غسالًا، آكلُ من كسب يدي يومًا بيوم، ولم ألِ من أمر الدُّنْيا شيئًا!

فبلغ ذلك الإمام أبا حازم فقال: الحمد لله الَّذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنَّون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنَّ ما هم فيه[3]!

يتمنَّى هؤلاء عند الموت أنْ يكونوا غسَّالين أو عمَّالين، ولم يلوا أمر هذه الدُّنْيا، ولا مُلكها.

---

(١) العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي صـ١٢٨، تحقيق خضر محمد خضر، نشر دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٤٨١).

(٣) المحتضرين لابن أبي الدنيا صـ٧٣، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نظرَ سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي يومًا إلى المرآة، فأعجبته صورته، وأعجبته نفسه، وقال في غرور: أنا الملك الفتى، الملك الشابُّ، ونظر إلى جارية له يبدو أنَّها من الصالحات، فقال: ما تقولين فيَّ؟

فأنشدتْ تقول:

أنت نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى ... غير أن لا بقاءَ للإنسانِ!
ليس فيما رأيتُه فيك عيبٌ ... كان في النَّاس غير أنَّكَ فانِ[1]!

هكذا الملوك، هكذا الخلفاء، هكذا الأغنياء[2].

هل رأيتم أحدًا استطاع أنْ يؤخِّر الموت يومًا، أو ساعة، أو بعض ساعة؟ هل استطاع ذو سلطان أنْ يُرهِب ملك الموت بسلطانه؟ هل استطاع غني أنْ يرشو «عزرائيل» بشيء من ماله؟

لا والله، أخذهم الموت أخْذًا، لم يدَع كبيرًا ولا صغيرًا، ولا غنيًّا ولا فقيرًا، ولا نبيًّا ولا وليًّا، ولا ذا سلطان، أو ذا ثروة، كلُّهم أكَلَهم الموت.

اذهب إلى المقابر، ماذا تجد فيها؟

اذهب إلى وادي الموتى، ستجد الكلَّ متساوين في ظاهر الأمر، الكلُّ قد ضمَّتهم القبور، تركوا القصور إلى القبور، تركوا النعيم إلى أعمالهم، إلى مجازاة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) البيان والتبيين (٩٩/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ، والبداية والنهاية (١٨١/٩) نشر دار الفكر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) من أراد معرفة المزيد من أخبار المحتضرين من الخلفاء والصالحين، فليرجع إلى كتاب: ذكر الموت وما بعده، من إحياء علوم الدين للغزالي.

نسخة مبدئية

QaradawiBooks.com

هل يتذكر النَّاس ذلك؟ هل يتَّعظ النَّاس بالموت؟ هل يتَّعظ النَّاس بمن مات من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأقربائهم وأحبائهم؟ كم ودَّعنا من النَّاس؟ كم ودَّعنا من أحبَّة؟ كم ودَّعنا من أقرباء؟

ولكن النَّاس لا يذكرون الموت، كأنهم يظنُّون أنَّهم في الدُّنْيا مخلَّدون، إنَّها الغفلة، إنَّه طول الأمل، وطول الأمل هو الآفة.

الموت قريب:

الموت قريب، وأقرب ممَّا يتصوَّر النّاس، وكلُّ آتٍ قريب، قد يكون كلمح البصر أو هو أقرب، قد يأتي عليك الصباح ولا يأتي عليك المساء، وقد تُمسي ولا تُصبح، وقد تلبس الثوب ولا تستطيع أن تخلَعه، وإنَّما تخلعُه يد غاسلك، وقد تخرج من البيت حاملًا ولا تعود إليه إلَّا محمولًا.

هل نعرف هذا كلَّه؟ هل نذكر الموت؟ هل يذكِّر بعضنا بعضًا بالموت؟ إنَّ الموت هاذم اللذات، ولكن النَّاس لا يذكرونه.

الموت قريب وقريب جدًّا، وخاصَّة في عصرنا الَّذي يختطف فيه الموت النَّاس وهم أصحَّاء، بالسكتة، بالذبحة، بآفة من الآفات المرضية الَّتي أصبحت من آفات هذا العصر، بحادثة من حوادث الطرق، بهذا أو بغيره.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد[1]

الموت آتٍ لا يستطيع أحد أن يفرَّ منه، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الجمعة: ٨]،

(١) البيت لأبي نصر بن نباتة، انظر: المحاضرات والمحاورات للسيوطي صـ٣٧٩، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ما دام الأجل قد انتهى فالموت آتٍ.

كان هناك وباء في بلد، فخرج ابن الأعرابي من هذا البلد فرارًا من الموت الَّذي فيه، وذهب إلى بلد آخر، وفي الطريق أوى إلى ظل شجرة، فلدغته أفعى فمات، فقال أبوه:

راح يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلاكٍ فَهَلَكْ
وَالْمَنَايَا رَاصِدَاتٌ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكْ
كُلُّ شَيءٍ قاتلٌ حينَ تلقى أَجَلَكْ[1]

أجلْ، كلُّ شيء قاتل حين ينتهي الأجل، بعثرة طريق، بضربة شمس، بأدنى شيء.

المهم أنْ تستعدَّ للموت، كما جاء في الحديث: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»[2].

الكيِّس: العاقل، من حاسبها، وعمل لما بعد الموت: أعدَّ للأمر عُدَّته، وأخذ له أُهْبَته؛ حتَّى لا يسير بغير زاد.

تزوَّدْ لِلَّذي لا بدَّ منه فإنَّ الموتَ ميقاتُ العِبَادِ
أترضى أنْ تكونَ رفيقَ قَوْمٍ لهم زادٌ وأنت بغَيْرِ زادِ[3]

(١) العقد الفريد (١٤٣/٣).

(٢) سبق تخريجه صـ ٦١.

(٣) ذكرهما ابن الجوزي في بستان الواعظين صـ١٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

أترضى أنْ تسـافر بغير زاد، وخصوصًا إذا كان رفقاؤك في السـفر لا يعطونك من زادهم شيئًا؟

يوم القيامة لا يُعْطِي أحدٌ لأحد، ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣].

فهل أعددتَ زاد الآخرة؟ هل أعددتَ الزاد لما بعد الموت؟

لا بدَّ من أن نتذكَّر الموت، لا بدَّ من أن نجعله نصبَ أعيننا: «اعملْ لدُنْيَاك كأنَّكَ تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتِكَ كأنَّك تموتُ غدًا»[1].

بل من يدري لعلَّك تموت اليوم قبل الغد.

فلا بدَّ من أنْ تـوازن بين الدُّنْيـا والآخرة، وأنْ تأخـذ من حياتك لموتك، ومن شـبابك لِهَرَمَكِ، ومن صحَّتك لسـقمك، هذا هو شـأن الإنسان المؤمن.

أكثروا من ذكر هاذم اللذات، أكثروا من ذكر الموت.

أصناف الناس أمام الموت:

والناس صنفان:

صنف يعيشون غافلين، لا يفكِّرون إلَّا في دنياهم، إلَّا في شهواتهم، إلَّا في مصالحهم العاجلة، لا ينظـرون إلى الغد، ولا يفكِّرون فيما يأتي

---

(١) رواه الحارث في مسـنده (١٠٩٣)، موقوفًـا على عبد الله بن عمرو. وقد شـاع بين جمهور المسلمين حتى حسبوه حديثًا، وذلك لموافقته ضمنًا للأصول الإسلامية. وللمحدث السيد أحمد بن الصدِّيق الغماري رسالة أسماها: سبل الهدى في إبطال حديث اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، أبطل فيه الحديث سـندًا ومتنًا، وإن كان الشـطر الثاني فيه، تؤيِّده الأحاديث الكثيرة الصحيحة.

QaradawiBooks.com

بعد، هؤلاء هم الغافلون، هؤلاء هم الَّذين لم تستيقن قلوبهم بالآخرة، لو كانوا موقنين بالآخرة لغيَّروا طريقة تفكيرهم.

وهناك صنف آخر، يعلمون أنَّ مع اليوم غدًا، وأنَّ غدًا لناظره قريب، وأنَّ كلَّ امرئ مصبح في أهله، والموت أقرب من شِراك نعله، وأنَّ الموت آتٍ لا بدَّ منه، لهذا يستعدون للموت، فإذا جاءهم لم يخافوا، ولم يحزنوا؛ لأنَّهم تهيؤوا له، وأعدُّوا له الزاد، ولأنهم يعلمون أنَّ الموت ليس عدمًا صِرفًا، ولا فناء محضًا، ولو كان الموت عدمًا لم يخلقه الله، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، لو كان الموت عدمًا ما خلقه الله.

الموت ليس فناء محضًا:

الموت مرحلة، مرحلة انتقال، كما جاء عن عمر بن عبد العزيز: إنَّما خُلِقتم للأبد (أي: للخلود الأبدي)، وإنَّما تُنقلون بالموت من دارٍ إلى دار[1]. من دار الغرور إلى دار السرور، أو الحزن، هي سرور لأناس، وحزن على آخرين، من دار الفناء إلى دار البقاء، من دار المفرِّ إلى دار المقرِّ.

وما الموتُ إلَّا رحلةٌ غير أنَّها ... من المَنْزِلِ الفاني إلى المَنْزِلِ الباقي[2]

هؤلاء لا يخافون الموت، إنهم يعلمون أنَّهم خُلِقوا للآخرة، خُلِقوا للخلود، وإلا ما كان لهذه الدُّنْيا معنى، ولا كان لها طعم، لو كانت هي المقر، لو كان لا شيء بعد الموت، كما قال الدهريون: إنْ هي إلَّا أرحام

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة. تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) من شعر أبي العتاهية، انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

تدْفع، وأرض تبْلع، ولا شيء بعد ذلك، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، لو كان الأمر كذلك، لكانت الحياة كلُّها باطلًا، والله تعالى قد نفى ذلك وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]، هيهات، لا يستوي المُتَّقون والفُجّار، ولا يستوي المؤمنون والكُفَّار، ولا يستوي الأخيار والأشرار، كلٌّ سيُجزَى بعمله.

فَكِّروا في الموت، اذكروا هاذم اللذات، اذكروه عسى أنْ تترطب قلوبنا، وتلين من قسوتها.

كان بعض السلف قد حفر في بيته حفرة أشبه بالقبر، كلَّما قسا قلبه نزل فرقد فيها، وأغمض عينيه، وخيَّل إلى نفسه أنَّه مات، ثمَّ يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، ثمَّ يفتح عينيه ويقول: ها يا نفس، ها أنت في الدُّنْيا الآن فما لكِ لا تعملين؟

أنتم في الدُّنْيا مُمَكَّنون من العمل!

أكثر من يغبطهم أهلُ القبور أهلَ المساجد، يقولون: ليتنا نسبِّح كما يسبِّحون، ونذكر الله كما يذكرون، ونصلِّي كما يصلُّون.

اغتنموا العمر، اغتنموا الوقت، قبل أنْ يفوت الأوان.

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا ممَّن خشعت قلوبهم، ولانت أفئدتهم، وتذكَّروا آخرتهم، اللهمَّ آمين.

اذكروا الله تعالى، واستغفروه يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبدٌ مسلمٌ يدعو الله بخير إلَّا استجيب له(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلِحْ لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلِحْ لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهمَّ أعِنَّا على شهوات أنفسنا، وأصلحْ فساد قلوبنا.

اللهمَّ لا تكِلْنا إلى أنفسنا طرفةَ عين، ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلْنا من الراشدين فضلًا منك ونعمة.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإسلام، وارفعْ بنا راية القرآن، واجعلْ كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أقم الصلاة.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

٥
شـؤم المعصية

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

المؤمن يُرجع الفضل لله والشرَّ إلى نفسه:

كان السلف الصالح ﵃، إذا نزل بأحدهم بلاء أو شكا من أمرٍ من أمور الدُّنْيا حلَّ به، رجع في ذلك إلى نفسه، وعاد باللائمة عليها، وقال: لا بدَّ أنِّي قد أذنبتُ ذنبًا، لا بدَّ أنِّي قد قصَّرت في حقّ الله تعالى، لا بدَّ أنِّي فرَّطت في جنب الله، ظلمت عبدًا من عباد الله، ضيَّعت فريضة من فرائض الله، انتهكت حُرمة من حُرمات الله، فسرعان ما يرجع إلى ربِّه ويقرع بابه تائبًا مستغفرًا، ويقول ما قاله أبوه آدم وأمه حواء، حينما أُخرجا من الجنَّة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذا شأن الإنسان المؤمن، إذا أصابه خيرٌ ردَّ الفضل إلى الله، وقال: الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وإذا أصابه شرٌّ لم يلُم إلَّا نفسه، ولم يتهم إلَّا نفسه، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

QaradawiBooks.com

هكذا كان شعارهم، وهكذا كان ديدنهم، هذا هو شأن المؤمن، أنْ يرجع كلَّ فضل إلى الله تعالى؛ فهو صاحب الفضل والنعمة، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: ٥٣]، وأنْ يرجِع كلَّ شرٍّ إلى نفسه.

كان بعض السلف رضوان الله عليهم يقول: إنِّي لأرى شؤم معصيتي في سوء خُلُق امرأتي ودابتي[١]. يعني: إذا نكَّدت عليه امرأته، أو حرَنت عليه دابته، يقول: لا بدَّ أنِّي قد ارتكبتُ معصية من المعاصي.

عقوبة المعاصي معجلة في الدنيا قبل الآخرة:

كلُّ شيء كانوا يعودون به إلى شؤم المعصية؛ فللمعاصي آثارها الوخيمة في الدُّنْيا والآخرة، يقول ابن عبَّاس ﵄: إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبَّة في قلوب الخلق، وإنَّ للسيئة سوادًا في الوجه، وظُلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبُغضًا في قلوب الخلق[٢].

بعض النَّاس يظنُّون أنَّ شؤم المعاصي وعقوبتها مؤجَّل إلى الآخرة، إلى حساب الله يوم القيامة.

لا، هناك حساب في الآخرة، وهناك حساب في الدُّنْيا، يعجِّل الله للنّاس بعض العقوبة في الدُّنْيا، وخاصَّة إذا لم يعاقَبوا العقوبات الشرعيَّة فإنَّ العقوبات القدَرية لهم بالمرصاد.

---

(١) من كلام الفضيل بن عياض. ولفظه في الحلية (١٠٩/٨): «فأعرف ذلك في خُلُق حماري وخادمي».

(٢) ذكره ابن القيم في روضة المحبين صـ٤٤١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

إقامة الحدود الشرعية تخفف من العقوبات القدرية:

هناك عقوبات شـرعيَّة على بعض المعاصي، هناك حدود وتعازير، هناك الجلْدُ للزاني، الجلد للسكِّير، القطع للسارق، الإعدام لقاتل العمد، إلى آخر ما جاء به القرآن، وجاءت به السُّنَّة، وأجمعت عليه الأُمَّة.

فإذا نُفِّذت هذه العقوبات الشرعيَّة، وأقيمت حدود الله في أرضه، كان ذلك أخفَّ على النَّاس من العقوبـات القدَرية، ولذلك ورد في الحديث: «**حدٌّ يُعمَل في الأرض خير لأهل الأرض من أنْ يُمطروا أربعين صباحًا**»[(١)].

حدٌّ لله يُقام بحقِّه على من يستحقُّه، وبعد استيفاء شرطه، أزكى وأبرك على الأرض من مطر أربعين صباحًا؛ لأنَّه لا خير في أنْ تمطِر السـماء، وتنبِـت الأرض، ويُثمـر الثمر، ثمَّ يـأكل هذا كلَّـه بعد ذلـك: الزُّناة والسكيرون والعربيدون والفجرة الَّذين يظلمون النّاس، ويُهلكون الحرث والنسل، ويطغون في البلاد، فيكثِرون فيها الفساد.

فإذا لم تُقم الحدود، وإذا لـم يُعاقب المفسـدون، إذا ضيَّع النَّاس العقوبة الشرعيَّة، فإنَّ السماء تُنزل عقابَها على النَّاس.

العقوبات القدرية تعم الصالح والطالح:

إنَّ العقوبات السـماوية، العقوبات القدَرية، العقوبات الكونية، لهم بالمرصاد، وإذا نزلت فإنَّها تنزل على الجميع، العقوبات الشرعيَّة تخصُّ فلا تصيب إلَّا من يسـتحقُّها، أمَّا العقوبات القدَرية السماوية فإنَّها تعمُّ؛ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

---

(١) رواه أحمد (٨٧٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في قطع السارق (٤٩٠٤)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٣٨)، وابن حبَّان في الحدود (٤٣٩٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات. وحسَّنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٥٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

حينما ينزل البلاء، حينما ينزل شـؤم المعصية على النَّاس، يصيب الجميـع، الصالح والطالـح، الطالح لطلاحه، والصالح لسـكوته على المنكر، وعدم تغييره له، فإذا اشـترك النَّاس في تـرك المنكر، فإنَّ الله يوشك أن يعمهم بعقاب من عنده.

المعصية شؤم على الفرد في حياته.

المعصية شؤم على النّاس، شؤم على الفرد في حياته، تصيبه بالقلق، تصيبه بالرعب، تصيبه بالأمـراض، تصيبه بكلِّ ما يُعكِّـر عليه صفوه، وما ينغِّص عليه عيشـه، إنَّها «المعيشة الضنك» كما قال الله تعالى حينما أنزل آدم وزوجه إلى الأرض: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

المعصية تفقد النعمة الموجودة:

وقد يعيش الإنسان هذه المعيشة الضنك، وعنده الآلاف والملايين، إنَّ الضنك في نفسـه، إنَّ الضنـك في صدره، إنَّ هذا كلَّـه في داخله، يشكو منه رغم أنَّ معه الآلاف والملايين، الرُّعب يملأ قلبه، يخاف من كلِّ شيء، يخاف من الأمراض، يخاف من الموت، يخاف من المستقبل المجهول، يخاف من فقدان النعمة، يخـاف من نزول النقمة، وهذا كلُّه من شؤم المعصية.

QaradawiBooks.com

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإنَّ المعاصي تزيل النعم
وحُطْها بطاعة ربِّ العباد ... فربُّ العباد سريع النِّقم(١)

إنَّ النَّاس عندما يشكرون نعمة الله ويستخدمونها في طاعته، فإنَّ الله تعالى يحفظها عليهم، ويزيدهم منها.

أمَّا إذا كفروا نعمته، إذا بطروا بها، إذا لم يُؤَدُّوا حقَّها، إذا أصبحت النعمة في أيديهم مصدرًا للمعصية، وسببًا للإعراض عن الله، فإنَّ الله سرعان ما يعاقبهم، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

إنَّ النِّعم إنَّما أُعطيت للنّاس ليستعينوا بها على طاعة الله، لتكون أداتهم للوفاء بحقِّ الله وشكره.

أمَّا إذا استخدموها في المعصية، إذا آتى الله الإنسان المال فجعله سببًا في الفساد، إذا آتاه الصحَّة فاستمتع بصحته في الشهوات المحرمة، إذا آتاه العقل فلم يفكِّر به إلَّا في الشرِّ، إذا أصبحت نعمُ الله على النَّاس وسائل لمعصيته، فإنهم لا يستحقُّونها، لا يستحقُّون أن تبقى هذه النعم عندهم، يجب أن تُسلب منهم، وقد لا تُسلب منهم فجأة، وإنَّما تُسلب منهم رُويدًا رُويدًا، يذكَّرون بالنذُر شيئًا فشيئًا، فإذا تذكَّروا، وإذا اتَّعظوا، وإذا انتبهوا من غفلتهم، وصحوا من سكرتهم، فإنَّ الله جدير أن يقبل منهم، أمَّا إذا سدروا في غلوائهم، وظلُّوا على كفرانهم، فإنَّ النعمة جديرة أنْ تُسلب منهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٣/٥١) أنَّ عمر بن عبد العزيز كان يتمثل بهما، وهما في ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ١٣٠.

QaradawiBooks.com

التقوى والاستقامة تمنح الحياة الطيبة:

إنَّ الطاعة والاستقامة والتقوى لله تعالى، هي الَّتي تمنح النَّاس الحياة الطيبة في الدُّنْيا، والأجر الحسن في الآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وليست الحياة الطيبة بكثرة المال ولا بالرفاهية؛ فقد كان النَّاس في هذه البلاد قبل عصر «البترول»، وقبل الملايين الَّتي يَعبث النَّاس بها اليوم، كانوا يعيشون عيشة طيبة، كانوا متعاونين في السرَّاء والضرَّاء، كانوا قانعين بالقليل، راضين به، كانوا مطمئنين إلى حياتهم، كانوا يحبُّ بعضهم بعضًا، كان يأمن كلُّ واحد منهم أخاه على نفسه وماله وعرضه، كانت حياة طيبة، فماذا صنع النَّاس حينما تدفَّقت عليهم الثروات، ووسَّع الله عليهم في الرزق، وأفاء عليهم من فضله، وفجَّر الأرض تحت أقدامهم بالذهب الأسود، ماذا فعل النَّاس إزاء هذه النعمة؟ هل حفظوها؟ هل بقوا كما كانوا من قبل؟ أم أصبحنا نسمع ونرى ونقرأ ما يصنعه أصحاب الثروات، الَّذين يلعبون بالملايين في بلاد الكفر، وينفقونها في الخمر والميسر والنساء؟ ضيعوا الأموال، وضيعوا الحقوق: حقَّ الله، وحقَّ عباده، فضاع كلُّ شيء بعد هذا.

المعصية شؤم على الكون كله:

إنَّ المعصية شؤم على الفرد، شؤم على الجماعة، شؤم على النَّاس جميعًا، شؤم على البهائم والكائنات الحية جمعاء، حتَّى قال أبو هُرَيْرة: إنَّ الحُبَارى لتموت في وكْرها من ظلم الظالم(١)!

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٦٩)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وقال مجاهد: إنَّ البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتد القحط وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم[(١)]!

وللإمام ابن القيِّم كتاب عن «الداء والدواء» ذكر فيه من الآثار السيِّئة للمعاصي ما يزيد على المائة، وهو كتاب ينبغي أنْ يُقرأ، حذرًا من عواقب المعصية وشؤمها في الدُّنْيا قبل الآخرة.

وجوب الرجوع إلى الله:

ومن هنا ينبغي أنْ يرجع النَّاس إلى الله، وأنْ يقولوا كما قال الربَّانيون: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، حينما أصاب الربَّانيون في القتال، وقتل منهم من قتل، لم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله، ولم يضعفوا، ولم يستكينوا، ولكنَّهم حينما دعوا الله ماذا قالوا؟

قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾، اتهموا أنفسهم، فيجب على النَّاس أنْ يتهموا أنفسهم، وأنْ يعلموا أنَّ الله تعالى لا يغيِّر ما بقوم حتَّى يغيروا ما بأنفسهم، سُنة من سنن الله لا تتبدَّل، وقانون من قوانينه لا يتغير، اسمعوا قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

بالإيمان والاستقامة تحصل البركات:

لو آمن النَّاس واتقوا واستقاموا لتنزَّلت عليهم البركات من السماء ومن الأرض، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، هذا هو قانون الله الَّذي سجَّله في كتابه.

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٥/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

اسمعوا معي هذه الآيات: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

هذا هو قانون الله: لو آمن النَّاس واستقاموا واتقوا لتفتحت عليهم بركات السماء والأرض، ولازدادوا كلَّ يوم من نعم الله، ولكن كذَّبوا، ولكن فجروا، ولكن كفروا بالنعمة، وبطروها، وانحرفوا عن الصراط المستقيم، فجاءتهم النذر، نذُرٌ بعد نذرٍ، تنبِّههم أن مالك الملك، وخالق الخلْق، ومدبر الأمر، يمكن أنْ يغيّر حالهم، لا تظنُّوا أنَّ الأمور تجري كما تشاؤون، لا، هناك قدرٌ أعلى، هناك من ينظِّم هذا الكون، هناك إلٰه عظيم، يحكم لكلٍّ بما يستحق، وعلى كلٍّ بما يستحق.

فينبغي أنْ يتنبه النَّاس لهذه النُّذر، ينبغي أنْ يربط النَّاس بين ما يصيبهم وبين ما يصنعون، هذا هو شأن الإنسان المسلم، الإنسان الصادق مع نفسه، الصادق مع ربِّه.

المعصية تجلب اللعنات:

إذا آمن النَّاس واتقوا، تنَّزلت عليهم البركات، أمَّا إذا لم يؤمنوا ولم يتقوا، فلن تتنزل عليهم البركات، وإنَّما تتنزل عليهم اللعنات؛ فالمعصية ليس وراءها إلَّا اللعنات.

QaradawiBooks.com

لقد لعن الله في كتابه أناسًا من النَّاس؛ لعن الَّذين يفسدون في الأرض، ويقطِّعون أرحامهم، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

لعن الَّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولعن الَّذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

ولعن كثيرين من أهل المعاصي، لعن الظالمين: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ولعن الكاذبين: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

ولعن رسول الله ﷺ فيما صحَّ عنه من الأحاديث كثيرين: لعن شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، لعن فيها عشرة(١).

ولعن آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه(٢).

---

(١) رواه أحمد (٥٧١٦)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، كلاهما في الأشربة، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولعن الواصلة والمستوصلة[١]، والواشـــمة والمستوشمة[٢] والنامصة والمتنمصة[٣]، والمغيّرات خلْق الله[٤].

لعن الراشي والمرتشي والرائش[٥].

ولعن عشرات من النّاس، تنظر إليهم فنراهم حولنا، بل لو نظرنا إلى أنفسنا، لو نظر كلٌّ منَّا إلى نفسه، لوجدها بوجهٍ من الوجوه، تستحقُّ شيئًا من هذه اللعنات والعياذ بالله.

فما الحال في أُمَّة ملعونة، مجتمع تتنزل عليه لعنات الله، ويُحرَم من بركات السماء؟

الله تعالى يمهل ولا يهمل:

إنَّ على النَّاس أنْ يعلموا أنَّ الله ﷻ يُمهل ولا يُهمل، وأنَّ الله لا يغفل

---

(١) الواصلة: التي تصل شعر النساء بشعر آخر، والمستوصلة: المعمول بها ذلك.

(٢) الواشـمة: التي تغرز اليـد أو الوجه بالإبر، ثم تحشـي ذلـك المكان بكحـل أو نحوه، والمستوشمة: المعمول بها ذلك.

(٣) النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها، والمتنمصة: المعمول بها ذلك.

وقـد ورد ذكر هؤلاء في أحاديـث منها: عن ابن عمـر: «لعن الله الواصلة والمسـتوصلة، والواشمة والمستوشمة». متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٩٣٧)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢٤). وحديث ابن مسـعود: «لعن الله الواشـمات والموتشـمات، والمتنمصات والمتفلجات، للحسن المُغَيِّرات خلق الله». متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٦)، ومسلم في اللباس والزينة. (٢١٢٥).

(٤) سبق تخريجه في الهامش السابق.

(٥) الراشي: هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى الباطل، والمرتشي: آخذ الرشوة، والرائش: هو الذي يسعى بينهما. والحديث رواه أحمد (٢٢٣٩٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «والرائش» وهذا إسناد ضعيف. وابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٥٢٩)، والبزار (٤١٦٠)، وقال: قوله: «الرائش» لا نعلمه يروى عن رسول الله إلَّا من هذا الوجه. وليَّن سنده، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مبدئية

عما يفعل الظالمون، وعما يقترفه العاصون، ولكنَّه يمهلهم، ثمَّ يذكِّرهم، يذكِّرهم ببعض العقوبات كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، في كلِّ مكان، في القرى والمدن، في الشرق والغرب، في الداخل وعلى السواحل، الفساد هو العقوبات الإلٰهيَّة: الغلاء، البلاء، المرض، القحط، الخوف، الرعب.

بماذا؟ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، أي: أن هذا إنَّما ينزل بسبب معاصي النَّاس وذنوبهم: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، إنَّه لا يجازيهم بكلِّ ما عملوا، وإلا لزلزل بهم الأرض، أو أنزل عليهم كِسفًا من السماء، أو أغرقهم بطوفان، إنَّ الله لا يؤاخذ بكلِّ الأعمال، ولا بكلِّ الذنوب، بل ببعضها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، حتَّى الشوكة تشاكونها، هي بسبب ما كسبت أيديكم، ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾: لا يحاسب على كلِّ شيء، ولا يؤاخذ بكلِّ شيء.

لا بدَّ أنْ يسأل الإنسان نفسه: لماذا أصابني ما أصابني؟ كما سأل الصحابة أنفسهم بعد غزوة أُحد، حينما خالفوا ما أمرهم به النَّبي ﷺ، وتركوا ظهرهم للمشركين، فكان أن قُتِل سبعون من خيارهم، فلمَّا سألوا أنفسهم ردَّ عليهم القرآن: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

هكذا ينبغي أن نحاسب أنفسنا، أيُّها الإخوة المسلمون.

QaradawiBooks.com

ينبغي أن ننظر فيما حولنا، وفيما جدَّ من أمورنا، فنقول: ماذا حدث؟ ما الَّذي جرى؟ ما هذه المقادير السريعة التقلب؟ أي شيء صنعناه؟ هل نحن ملائكة مقربون وعاقبنا القدر بما لا نستحق؟ أم فرطنا وقصَّرنا وخالفنا؟ وهل تكفينا هذه النُّذر لنرجع ونصطلح مع الله، ونضع أيدينا في يد الله؟ أم سنظلُّ في الطريق الشيطاني سادرين؟

إنَّها فرصة للتوبة، وقد قال الصحابة ﷺ: ما نزل بلاء إلَّا بذنب، ولا رُفِع إلَّا بتوبة(١).

أثر الانحراف والمعاصي على العالم اليوم:

إنَّ العالم كلَّه الآن يشكو الثمر المرَّ من جرَّاء الانحراف عن القيم الدينيَّة والخُلُقية الَّتي جاء بها الأنبياء، وعلى رأسهم خاتمهم مُحمَّد ﷺ.

نشرت الصحف في الآونة الأخيرة: ما يشكوه النَّاس في أوربا وأمريكا من أمراض جنسية تناسلية تهدِّد البشر، نتيجة الفوضى الجنسية، أو ما سموه: «الثورة الجنسية» الَّتي ظهرت في الستينيات، واستباح بها النَّاس كلَّ شيء، واعتبروا العلاقة بين الرجل والمرأة كلأً مباحًا، فكانت النتيجة ما يشكونه اليوم: مرض يسمى «الإيدز» يهدِّد الجميع، الملايين من البشر رجالًا ونساءً في أمريكا مصابون أو مهدَّدون بهذا المرض الَّذي يُفقِد النَّاس المناعة، وأمراض أخرى تجعلهم معرضين للسرطان، سرطان المرأة في عنق الرحم، والرجل في البروستاتا، وأمراض أخرى كثيرة

(١) طريق الهجرتين صـ٢٧٦، نشر دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ. من قول علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

تهدِّد هؤلاء، وتنتقل بالعدوى، وهذا المرض الَّذي يسمى «الإيدز» يمكن أنْ ينتقل عن طريق نقل الدم، ولم يجدوا له ـ حتَّى الآن ـ أي دواء.

أمراض معضلة أصابت النَّاس نتيجة انحرافهم، وهذا يؤكِّد لنا قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقول النَّبي ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتَّى يعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع الَّتي لم تكن مضت في أسلافهم الَّذين مضوا**»(١).

الطاعون يشير إلى الأوبئة العامَّة، والأوجاع الَّتي لم تكن في أسلافهم، أمراض لم يعرفها من قبلهم، إنَّما هي أمراض نتيجة الإباحة.

ومن العجب أنَّ هذه الإباحة الَّتي يشكو منها الغرب اليوم، تنتقل إلى بلادنا، لا ننقل عن القوم العلم، ولا التكنولوجيا، ولا حسن التنظيم، إنَّما ننقل عنهم أسوأ ما عندهم، ندعُ خير ما عند القوم، وننقل شرَّ ما عندهم، أرأيتم أين نحن ـ أيُّها المسلمون؟

إلى متى نظلُّ على هذه الحال؟ قد جاءتنا النُّذر فهل نفيق؟ هل نرجع؟ هل نتوب؟ هل نقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]. نرجو أن نكون كذلك.

اللهمَّ اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين، واستغفروا ربكم، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حضور النساء المساجد وأدب ذلك:

أحبُّ أنْ أنبِّه أخواتنا المصليات تنبيهًا لا بدَّ منه: إنَّه ليسرُّنا أنْ تحرص المرأة المسلمة على الصلاة، ولا بأس أنْ تحضر المساجد لتشارك في العبادة، وتستمع إلى الموعظة؛ فالمرأة نصف المجتمع، ومن حقِّها أنْ تتفقه في دينها، وأنْ تتذكَّر ما يجب عليها، والذكرى تنفع المؤمنين، ولقد قال النَّبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[١].

وإنِّي من الَّذين يدعون أنْ يكون في كلِّ جامع من الجوامع، مكان للمرأة المسلمة تصلي فيه، وتنتفع فيه بالعلم كما ينتفع الرجال، وبخاصَّة أنَّ فقهاءنا قالوا: إنَّ المرأة الَّتي لا تذهب إلى المسجد يجب على زوجها أنْ يعلِّمها، ويجب على أبيها أنْ يفقِّهها؛ حتَّى يمكنها أنْ تستغني بالبيت عن المسجد، ولكن إذا كان الزوج غير قادر على التعليم، وكان الأب غير قادر على التفقيه، فمن أين تتعلم المرأة وتتفقه في دينها؟ فقد مضى زمن كان الرجل في حاجة إلى من يعلمه ويفقهه، وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه!

وهناك تنبيه خاص بالأخوات المصليات، ففي الحديث الصحيح: «**إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت ـ والإمام يخطب ـ فقد لغوت**»[٢].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، (١٣٦)، عن ابن عمر.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أذهب أجره، وأبطل ثوابه، حتَّى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجوز؛ لأنَّ كلَّ إنسان إذا أعطى نفسه الحقَّ في أنْ يأمر وينهى، لم يكن من وراء ذلك إلَّا الضجيج والتشويش، فأولى بكل إنسان أنْ يسكت.

فلا يجوز لأخواتنا المؤمنات اللاتي يحضرن إلى هذا المسجد أنْ يشوشن على أخواتهن.

إنَّ للمساجد آدابًا، وإنَّ للجمعة آدابًا، وإنَّ لهذه الأماكن حرمات، فينبغي أن نصونَها، ونسعى إليها.

التبكير إلى صلاة الجمعة:

شيء آخر أريد أنْ أنبِّه عليه: وهو أنَّ المسلم كلَّما ذهب مبكرًا إلى صلاة الجمعة، كان ذلك أفضل له عند الله، وفي الحديث: «**إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأوَّل فالأول، ومثل المُهجِّر كمثل الَّذي يُهدي بدَنة، ثمَّ كالذي يُهدي بقرة، ثمَّ كبشًا، ثمَّ دجاجة، ثمَّ بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر**»(١). أي: طووا سجل الدوام، ومن جاء بعد ذلك جاء متأخرًا.

الصلاة والإمام يخطب:

ومن جاء متأخرًا والإمام يخطب، فعليه أنْ يصلي ركعتين خفيفتين، صحيح أنَّه سيُحرم من الخطبة، أو من بعضها، ولكن هو الَّذي أساء إلى نفسه بالتأخير، وقد قال النَّبي ﷺ لمن جاء متأخرًا وهو يخطب: «**أصليت؟**». قال: لا. قال: «**فصلِّ ركعتين**»(٢).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩٣١)، ومسلم (٨٧٥)، كلاهما في الجمعة، عن جابر.

QaradawiBooks.com

قال ذلك لسُلَيْكٍ الغَطَفاني، وأمره أنْ يتجوَّز فيهما، أي: لا يطيلهما.

هذه بعض آداب الجمعة، نســأل الله تعالى أنْ يُفَقِّهنا في دِيننا، وأنْ يُهَيِّئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسِــن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اغفر لنا ما مضى، وأصلِح لنا ما بقيَ، ولا تكلنا إلى أنفســنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ حَبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلًا منك ونعمة.

اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السـفلى، واجعلنا مــن حزبك الغالبيــن، وجندك الصادقيــن، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإســلام، وارفع بنا راية القرآن، وانصر إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان، وخذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين في سائر البلاد يا ربّ العالمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

QaradawiBooks.com

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٦
زلزال مصر(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مررتُ وأنا عائد من فرنسا لافتتاح الكُلِّيَّة الأوربيَّة للدراسات الإسلاميَّة، بالقاهرة، بعد أن حدث ذلك الزلزال الرهيب الرعيب، الَّذي زلزل العمران والمباني، وزلزل معها القلوب والأنفس.

زُلزِل النَّاس زلزالًا شديدًا أمام هذا الحدث الغريب الَّذي لم يعهدوا مثله، ووقف النَّاس يتساءلون: ما بال هذا الزلزال؟ أهناك علاقة بين ما يُحدِثه النَّاس وبين الأحداث الَّتي تحدث بهم؟ أهناك علاقة سببية بين المعاصي والمفاسد الَّتي تقع من البشر، وبين ما ينزل بهم من كوارث يسميها الناس: كوارث طبيعية؟

موقف الناس من الكوارث الطبيعية:

وقف النَّاس يتساءلون، فمنهم من قال: هذه كوارث طبيعية، تحدث في كلِّ بلاد الدُّنْيا، تنزل بالمؤمنين والكفار، والمتقين والفجار،

(١) هو الزلزال الذي وقع في مصر في ١٢ من أكتوبر عام ١٩٩٢م، وقد صغت في تلك الحادثة شعرًا، نشر في ديواننا: المسلمون قادمون صـ١٥٨ ـ ١٦٣، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

ولا علاقة لها بطاعة ولا معصية، ولا باستقامة ولا انحراف، ما بالكم تربطون كلَّ شيء بالدين، وتريدون أنْ تدخلوه في هذه المسألة؟

وهناك من يقول: لا، إنَّ هذه الكوارث الَّتي تنزل، لا تنزل اعتباطًا، ولا تقع جزافًا، إنَّ هذا الكون في قبضة الله تعالى، يدبِّر أمره ويعلم كلَّ صغيرة وكبيرة فيه، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

هذا الكون لا يسير عبثًا، إنَّ الله هو الَّذي يُسيِّره، إنَّ الله هو الَّذي يقدِّر كلَّ ما فيه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

كلُّ ما يجري في العالم العلوي، أو في العالم السفلي، كلُّ ما تمور به الأرض، وكلُّ ما يتحرك في السماء، كلُّ نبتة تنبت، كلُّ نجم يطلع، وكلُّ ذرة في هذا الوجود، كلُّها بإذن الله تعالى وتقديره.

هذا الكون من الذرَّة إلى المجرَّة في يد الله تعالى، فإذا أَخرج بعض الأحداث من حيِّز العدم إلى حيِّز الوجود، فلا بدَّ من أنَّ وراء ذلك حكمة.

الله هو الَّذي يُزلزل الأرض، الله هو الَّذي يُجري الأنهار، الله هو الَّذي يُرسل الرياح، ولكن لماذا يُظهر الزلزال في وقت دون وقت، وفي مكان دون مكان، وبمقدار معين دون آخر، لماذا ظهر هنا في هذا المكان وظهر في هذا الزمان، وظهر بقوة «خمسة وكذا من عشرة»، واستمر كذا وكذا ثانية.

الله الَّذي يقدِّر ذلك، ولا يفعل الله شيئًا عبثًا، لا يفعل شيئًا إلَّا لحكمة ارتضاها، هذا ما يعتقده المؤمنون.

QaradawiBooks.com

الله تعالى هو الذي يسير الكون كله:

الغربيُّون وتلاميذهم يعتقدون أنَّ الله بمعزل عما يجري في الكون، حتَّى الَّذين يعتقدون أنَّ الله هو خالق الكون قالوا: إنَّ الله خلق الكون وتركه، كهذه الساعة في يدنا، صنعتها مصانع سويسرا ولا تدري ماذا حدث بعد ذلك، هي تقف وحدها، تتحرك، لا يعلم صانعها عنها شيئًا، هكذا يقولون عن العلاقة بين الله والعالم.

ولكن هذا مناف كلِّ المنافاة للعقيدة الإسلاميَّة، نحن نعتقد أنَّ الكون في قبضة خالقه ومُدَبِّره، الصغيرة والكبيرة فيه تجري بأمره، وهو بهذا إذا حدث فيه شيء، فلا بدَّ أنَّ الله تعالى أحدثه لسبب، لحكمة.

هذه الزلازل الَّتي نراها في أماكن شتَّى، تكون أحيانًا ضعيفة، وتكون أحيانًا قوية، تكون أحيانًا خفيفة، وأحيانًا عنيفة، أحيانًا تأتي وتدمِّر، وأحيانًا تكون هزَّة لا تؤثر.

هذه الفيضانات الَّتي تغرق النّاس، وتغرق المساكن، وتهدم البيوت.

هذه الرياح الهوج، الَّتي لم يسلَم منها بلد مثل أمريكا وغيرها.

هذه البراكين تنفجر وتثور، دون أنْ يستطيع أحد إيقافها.

هذه الكوارث الَّتي يقول النَّاس عنها: طبيعية، وبعضهم يقول: إنَّ هذا من غضب الطبيعة، الطبيعة غضبت، وما هذه الطبيعة الصمّاء الخرساء؟ إنَّ الطبيعة لا تغضب، الطبيعة لا تُسيِّر نفسها.

الذي يُسيِّر الطبيعة ويسيِّر الكون كلَّه هو الله تعالى، وهو سبحانه حينما يُجري هذه الأحداث يُجريها بأقدار.

QaradawiBooks.com

الاعتبار والاتعاظ بما يقع في الكون من أحداث:

وهنا يقف المؤمنون أمام هذه الأحداث وقفة تأمُّل وتدبُّر وعظة واعتبار؛ فالمؤمن يعتبر بكل شيء، ويتَّعظ من كلِّ حدث، ويأخذ منه درسه، ولا يمرُّ عليه بأذن صمَّاء، ولا بعين عمياء، ولا بقلب أغلف، إنَّما يفتح له أذنه، ويفتح له عينه، ويفتح لهذا الحدث قلبه؛ ليعتبر ويتعظ.

حكمة الكوارث الطبيعية:

أولًا: الابتلاء والاختبار:

إنَّ الله تعالى أراد أن يلقِّنا دروسًا بمثل هذا الحديث، أراد أنْ يُعلِّمَنا أنَّ هذا ابتلاء؛ فحياة الإنسان قائمة على الابتلاء، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

يُبتلى الإنسان بالشرِّ، ويُبتلى بالخير، وقد يأتي الشرُّ بالخير، وربَّ ضارَّة نافعة، وكم من منحة في طي محنة، قد تأتي بعض الكوارث بأشياء طيبة ينتفع منها النَّاس إذا أحسنوا الانتفاع وتلقَّنوا الدرس جيدًا.

هو ابتلاء، والله يبتلي النَّاس جميعًا، كافرَهم ومؤمنَهم، وقد يبتلي المؤمنين بأكثر ممَّا يبتلي الكافرين ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، هذه واحدة.

ثانيًا: تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين:

حكمة ثانية هنا: أنَّ في هذا الحدث تنبيهًا للنَّاس، تنبيهًا للغافلين، وإيقاظًا للنائمين، أراد الله أنْ ينبِّههم إلى أشياء:

QaradawiBooks.com

١ ـ طلاقة القدرة الإلٰهية:

أنْ يُنبِّههم على طلاقة القدرة الإلٰهيَّة، ونفوذ المشيئة الإلٰهيَّة، أنَّ الله تعالى إذا أراد أمرًا فإنَّه يقول له: كن، فيكون، تتزلزل الأرض، وتهيج الرياح، وتفيض المياه، وتغرق الأنهار والبحار، ويتحرك كلُّ شيء أراده الله تعالى أنْ يتحرك، ويسكن كلُّ شيء أراد الله تعالى أنْ يسكن.

لا بدَّ للنّاس أنْ يعرفوا مدى طلاقة القدرة الإلٰهيَّة الَّتي لا يُعجِزها شيء.

٢ ـ معرفة الإنسان حجمه في الكون:

ومن ناحية أخرى تنبيه للإنسان على أنْ يعرف حجمه في هذا الكون.

أيُّها الإنسان، ما أنت؟ أيُّها المغرور بنفسك، أيُّها الثاني لعِطفك، أيُّها المصعِّر لخدِّك، أيُّها المتمطي برأسك، ما أنت في هذا الكون؟ أنت لست شيئًا مذكورًا، لا تعرف ماذا يحدث لك بعد لحظة.

الإنسان الَّذي استطاع أن يفعلَ ما يفعل، الإنسان في الغرب، في أمريكا، في غيرها، صنع الكمبيوتر، وغزا الفضاء، وصل إلى القمر ووقف على سطحه، ويحاول أنْ يصعد إلى كواكب أخرى، ولكن أمام هذه الأحداث لا يستطيع أنْ يفعل شيئًا، يمكنه أن يقول: هناك احتمال لزلزال يقع، ولكن متى يحدث بالضبط؟ وفي أي مكان بالضبط؟ وما مقدار قوته بالضبط؟ لا يستطيع أن يعلم ذلك ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ينبغي أنْ يعرف الإنسان حجمه، ويعرف مدى قوته، الإنسان المغرور، المختال الفخور، ينبغي أنْ يعلم هذا هو شأنه في هذا الوجود، إنَّه لا يملك هذا الكون.

QaradawiBooks.com

كان الغربيُّون يقولون: استطاع الإنسان بالعلم أنْ يقهر الطبيعة، ويقهر الكون المادي من حوله، وكذبوا، ما استطاع الإنسان أنْ يقهر الطبيعة.

استطاع أنْ يذلِّل كثيرًا حسب قوانين التسخير الإلٰهي لهذا الكون؛ لأنَّه سخَّر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، ولكن تظلُّ هذه الطبيعة وهذا الكون أقوى منه، يقف أمامها عاجزًا مشلولًا لا يستطيع أنْ يصنع شيئًا، هذا هو الإنسان.

كان الإمام علي رضي الله عنه يقول: مسكين ابن آدم، تؤلمه البقَّة، وتقتله الشرْقة، وتنتنه العرقة[1].

البقَّة: حشرة صغيرة تؤلمه، والآن عرفنا أنَّ ميكروبًا، فيروسًا صغيرًا يستطيع أنْ يُمرِض الإنسان وأنْ يقتلَه، وهو شيء لا يُرى إلَّا بتكبيره ملايين المرات.

وتقتله الشرقة إذا شرق، يُقتل بالذبحة، يُقتل بالسكتة، يموت في لحظة.

وتنتنه العرقة: إذا عرق أنتن جسده، وساءت رائحته.

هذا هو الإنسان ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١].

أراد الله تعالى أنْ يعرف الإنسان حجم نفسه، وقُدرة نفسه، وعِلم نفسه، وأنْ يعلمَ أنَّ القُدرة كلَّها من الله، وأنَّ العلم كلَّه منه، وأنَّ الحكمة كلَّها لله.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٠/٦٢)، نشر دار إحياء الكتب العربية.

QaradawiBooks.com

٣ ـ معرفة قيمة الدنيا:

أراد الله تعالى أنْ يُنبِّهنا أيضًا على قيمة هذه الدُّنْيا الَّتي يتشبث النَّاس بها، ويحرصون عليها، ويلهثون وراءها، ويتهافتون عليها تهافتَ الذباب على الشراب، أو يتقاتلون عليها تقاتل الكلاب على الجِيَف.

هذه الدُّنْيا لا تساوي شيئًا؛ الإنسان يكون في بيته ولا يدري أنَّه بعد قليل سينهدم به بيته، وتُزلزل الأرض من حوله، فإذا البنيان الشاهق ينهار، وإذا هذا الإنسان لا شيء، وترى النَّاس بعد لحظات قد ماتوا، والعمران قد خرِب، هذه هي الدنيا:

جُبِلت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الآلام والأكدار
ومكلِّف الأيام ضد طباعها متطلِّب في الماء جذوة نار[1]

النَّاس يستبعدون الموت، ويظنُّون أنَّ الموت شيء بعيد، والموت أقرب إلى أحدهم من شِراك نعله.

كُلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ في أهله والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ[2]

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل: ٧٧]

٤ ـ لفت الأنظار إلى زلزلة الساعة الكبرى:

أراد الله تعالى أنْ ينبِّه النَّاس على هذا كلِّه، وأنْ يُنبِّههم على شيء عظيم، أراد أنْ يُذكِّرهم بأمر عظيم: بزلزلة الساعة، الله تعالى يقول:

---

(١) من شعر أبي الحسن التهامي، يرثي ولده. انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب (٣٥/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٨.

QaradawiBooks.com

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١، ٢].

زلزلة في أقل من دقيقة، بخمس درجات وبعض الكسور بمقياس «ريختر»! ما بالكم إذا كانت هذه الزلزلة بمقدار عشر درجات، أو عشرين، أو ثلاثين؟! ما بالكم إذا استمرت دقيقتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا، أو عشرًا، أو أكثر من ذلك؟! ماذا تكون هذه الزلزلة؟!

تلك زلزلة يوم القيامة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ١ ـ ٦].

الجبال الراسيات الشامخات تُبس بسًّا، وتُفتت تفتيتًا حتَّى تصبح كالهباء: الذرَّات الَّتي نراها في شعاع الشمس، ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، هذه الجبال تصير كالصوف المندوف ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

هذه زلزلة يوم القيامة ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٤، ١٥].

هذه زلزلة الساعة، لذلك يقول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾: زلزالها المترقَّب المنتظَر، الَّذي هو الزلزال الحقيقي، ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾: نفضت كلَّ ما فيها نفضًا، ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾: ما الَّذي حدث لها؟ ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٥]، الله هو الَّذي أمرها أن تفعل ذلك، فلم تملِك إلَّا أنْ تطيع الأمر.

QaradawiBooks.com

هذه زلزلة القيامة: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ...﴾ [الحج: ١، ٢]، أهناك أكثر حرصًا من الأمِّ على طفلها، خصوصًا إذا كان فمه في ثديها، التقم الثديَ ليرضع؟!

إنَّ الله لم يقل: تذهل كلُّ مرضع، بل قال: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾، المرضع: المرأة في وقت الرضاع، ولكن المرضعة: الَّتي ترضع بالفعل، أي أنَّ طفلها كان ملتقِمًا ثديها، هنالك نسيت طفلها.

فكلُّ إنسان لا يذكُر إلَّا نفسه عند ذلك الهول العظيم، كلٌّ يقول: نفسي نفسي. حتَّى الولد وفلذة الكبد تنساه الأم، الأم الرؤوم، الأم الحانية.

رأينا في هذا الزلزال البسيط البسيط، واليسير اليسير بالنسبة لزلزال الآخرة، رأينا المرأة تنزل من بيتها وتنسى أنَّ لها أطفالًا، وحين تنزل تقول: أين أولادي؟ ومن النَّاس من نزل بالملابس الداخلية، حتَّى إنَّ بعض المحلات الَّتي تبيع الملابس كانت تلقي بها على النساء ليتسترن، ومنهم من خرج من الحمام والصابون على جسمه، هكذا الحياة عزيزة عند النَّاس.

هذا يذكرنا بيوم القيامة، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

حينما قال النَّبي ﷺ: «**يُحشر النَّاس حفاة عراة غُرلًا**». قالت عائشة: الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: «**الأمر أشدُّ من أنْ يهمَّهم ذلك**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٢٧)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

من عنده ـ في ذلك اليوم ـ عقل يفكر في الغريزة أو في الشهوة أو في المرأة؟ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

أراد الله تعالى أنْ يذكِّرنا بمثل هذه الأحداث، فقد نسي النَّاس القيامة.

مشكلة النَّاس أنَّ القيامة بمعزلٍ عن عقولهم، كأنهم مخلَّدون، وكأنَّ الموت على غيرهم قد كُتب.

العقدة عند النَّاس أنَّهم لا يفكِّرون في الآخرة، ولا يرجون لقاء الله، وهذا هو الخطر.

ما أحوج النَّاس أنْ يتذكروا الآخرة، لو تذكَّروا الآخرة ووضعوها نُصب أعينهم لحُلَّت مشكلات كثيرة، بل لحُلَّت المشاكل كلُّها.

٥ ـ تنبيه العصاة ليتوبوا:

وشيء مهم وراء هذا كلِّه وهو الثمرة: هو تنبيه العصاة ليتوبوا، والضالين ليهتدوا، والمنحرفين ليستقيموا. تنبيه النَّاس ليرجعوا إلى الله ليقرعوا بابه ويقولوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذه المواقف لا بدَّ من أن تردَّ النَّاس إلى فطرتهم ليقولوا: يا رب، فمن يدري لعلهم في هذه اللحظة يقضون نحبهم، وينتهي أجلُهم.

الدرس المهم: أنْ يتعلَّم النَّاس التوبة من العصيان، أنْ يتطهَّروا ويغتسلوا من ذنوبهم، من أدرانهم، من أطماعهم، من شهواتهم، أنْ يولدوا من جديد.

QaradawiBooks.com

النّاس أمام الشدائد والبلاء أصناف وأنواع:

هناك صنف عرف الله، ووضع يده في يد الله، واستقام على منهج الله، أحلَّ الحلال وحرَّم الحرام، وعرف أنَّ الخيـر كلَّ الخير في اتباع منهج الله، والسير خلف رسول الله ﷺ، هؤلاء هم المؤمنون الصادقون، عرفوا الله في الرخاء ليعرفهم في الشـدة، كما جاء في وصيـة النَّبي ﷺ لابن عباس: «**احفَظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظ الله تجِـدْه أمامَكَ، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْكَ في الشِّدَّة**»(١).

هذا هو الصنف الأوَّل، يشـعر أنَّـه دائمًا بحاجة إلى الله في اليُسـر والعُسر، في الفقر والغنى، في النعماء والبأساء، في الصحَّة والسقَم، في كلِّ حال، يعلم أنَّه فقير إلى الله تعالى، ولا حـول ولا قوَّة إلَّا بالله، فهو دائمًا مع الله.

هناك صنف ثان: إذا كان في عافية ورخاء استرخى، ونسي ربه، ولم يذكر إلَّا نفسـه، ولكن إذا جاءت الشـدة، إذا أحاط به البلاء، سـرعان ما يرجع إلى ربِّه، ويعلم أنَّ هذه المصيبـة إنَّما جاءت لتردَّه إلى الله ردًّا جميلًا، لتأخذ بيده إلى الله، ليقف بين يدي ربِّه متضرعًا مبتهلًا، ليتوب إلى الله توبة نصوحًا.

والله تعالى ليس على بابه حاجب ولا بوَّاب، من رجَع إليه تلقاه من بعيـد، ومن أعرض عنـه ناداه مـن قريـب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) رواه أحمـد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والطبرانـي (١١/٢٢٣)، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث الأربعون النووية، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

هذا هو الصنف الثاني، ينسى ساعة الرخاء، ولكن ساعة الشدَّة يعرف الله، ويرجع إليه رجوعًا صادقًا، ويستقيم على أمره ويثبت عليه.

وصنف ثالث: وهو الَّذي ينسى الله في الرخاء، ويذكره ساعة الشدة، حتَّى إذا ما انفرجت الأزمة، وحتى إذا ما ذهبت الغُمَّة، عاد إلى طريق الضلال ثانيًا، ونسي ما كان يدعو إليه من قبل، وهذا شأن المشركين الَّذين حدَّث الله عنهم فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

ولأنَّهم دعوا الله مخلصين له الدين استجاب الله لهم؛ لأنَّهم في هذه اللحظات رجعوا إلى الفطرة السوية، ونسوا هُبَل واللات والعُزَّى والأوثان، والأصنام، ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣].

هكذا شأن هؤلاء يعرفون الله ساعة الشدَّة، وبعد ذلك يرجع كلُّ شيء إلى ما كان عليه، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وهناك صنف أسوأ من هذا الصنف: صنف قسا قلبه حتَّى أصبح كالحجارة أو أشدّ قسوة، تنزل به البلايا، وتحيط به المصائب والكوارث، ولكنَّه لا يقول: يا ربِّ يا ربِّ، كأولئك الملاحدة والجاحدين الَّذين أنكروا على من ربط هذا الحادث بالدين، وأنَّه وقع بسبب المعاصي، فقالوا: ما هذا الفكر الخرافي؟ ما هذا الضلال؟!

QaradawiBooks.com

هؤلاء النَّاس لم يستطيعوا أن يفهموا الدرس، ولذلك يقول الله في أمثالهم:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣].

ما يصيب الناس هو من كسب أيديهم:

من فضل الله تعالى أنَّه حينما ينزل بالنَّاس البأساء والضرَّاء لا يريد أن ينتقم منهم، ولكن ليعلِّمهم، لينبِّههم، ليذكِّرهم، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الفساد هنا يعني: اختلال أمر الحياة، المصائب، الكوارث، الغلاء، البلاء، الأمراض، الأوجاع، التلوث.

وهذا الفساد بماذا يقع؟ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، بمعاصيهم، بذنوبهم.

ولماذا يقع؟ ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، أي أنَّ الله لا يجزيهم بكلِّ ما عملوا، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] إنَّما يؤاخذهم ببعض ما عملوا.

ولماذا يؤاخذهم ببعض ما عملوا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عسى أن يفهموا الدرس، لعلَّهم يرجعون، لعلَّهم يتوبون.

QaradawiBooks.com

كان بعض السلف إذا أصابه أدنى شيء، يقول، هذا بشؤم معصيتي، حتَّى إذا عبست امرأته في وجهه، أو تشاكسا في أمر من أمور البيت، قال: ما الَّذي جعل المرأة تفعل معي كذا وكذا هذا اليوم، لا بدَّ أنِّي قد ارتكبت معصية.

إذا حرنت عليه دابته يقول: لا بدَّ أنِّي ارتكبت مخالفة.

قال بعضهم: إنِّي لأعرف شؤم معصيتي في سوء خُلُق دابتي[١].

هكذا أصحاب القلوب، أصحاب البصائر، أصحاب الحِس المرهف، يردُّون الأمر إلى أنفسهم، كما قال الله تعالى عن الربَّانيين حينما هُزموا في المعركة: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

قبل أن يسألوا النصر والتثبيت، سألوا الله أن يغفرَ لهم ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم، فلا بدَّ أنَّهم فرَّطوا أو قصَّروا، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، يرجع باللائمة على نفسه.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، ولكن صنفًا من النَّاس تنزل بهم الشدائد ولا يرجعون، ولا يتوبون، ولا يتضرَّعون، لا يقولون: يا ربّ، يقولون كلَّ شيء إلَّا الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

أصحاب القلوب القاسية الحجريَّة هذه، لا تنفع فيها الشدائد ولا غير الشدائد والعياذ بالله.

(١) سبق تخريجه صـ ١٠١.

QaradawiBooks.com

يا أيُّها الإخوة، هذه المصائب والأحـداث الَّتي يُجريها علينا العزيز الجبار، الواحد القهَّار، جديرة بأن تُوقظ النَّاس من سُـباتهم، أنْ تنبِّههم إلى ما فيها من دروس وعبر؛ حتَّى يفيقوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

أدعية الكرب:

حينما مررتُ بمصر سألني بعض الأقارب فقالوا: كُنَّا في ذلك الوقت لا نعرف ماذا نقول: أليس هناك أذكار أو أدعية نقولها عند الشدَّة؟

قلت: هناك الكثير الكثير جـدًّا، هناك أدعية وأذكار تُسَـمَّى «أذكار الكرب» و«أدعيـة الكرب»، يلجأ الإنسـان إليها حينما ينـزل به كرْب خاصٌّ، أو ينـزل بالأُمَّة كرْب عـامٌّ، منها مـا رواه الشـيخان عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إلٰه إلَّا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلَّا الله ربُّ العرش العظيم، لا إلٰه إلَّا الله ربُّ السـماوات السبع، وربُّ الأرض، وربُّ العرش الكريم**»[(١)].

وفي «جامع الترمذي»، عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمره قال: «**يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتك أستغيث**»[(٢)].

وعن أبي هُرَيْرة، أنَّ النَّبـيَّ ﷺ، كان إذا أهمَّه الأمر، رفع طرفه إلى السماء فقال: «**سـبحان الله العظيم**». وإذا اجتهد في الدعاء قال: «**يا حي يا قيوم**»[(٣)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٦)، ومسلم في الذكر (٢٧٣٠).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٤)، وقال: غريب. وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٣٧)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٧٧).

(٣) رواه الترمذي في الدعـوات (٣٤٣٦)، وقال: غريب. وضعَّفه الألبانـي في ضعيف الجامع (٤٣٥٦).

QaradawiBooks.com

روى سعد بن أبي وقاص، عن النَّبي ﷺ قال: «**دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت:** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **فإنَّه لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلَّا استجاب الله له**»(١). حينما التقمه الحوت نادى في الظلمات: ظُلمة بطن الحوت، وظُلمة الليل، وظُلمة البحر، في وسط هذه الظلمات لم يطلب النجاة لنفسه، ولكنَّه قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فنجَّاه الله ولفِظه الحوت.

سأل رجل النَّبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، هل كانت ليونس خاصَّة، أم للمؤمنين عامَّة؟

فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تسمع قول الله تعالى:** ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]»(٢).

المؤمنون إذا لجؤوا إلى الله موحِّدين: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾، مسبِّحين منزِّهين ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾، معترفين بالتقصير، ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فإنَّ الله يفرِّج عنهم.

أدعية الكرب كثيرة: لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، الاستغفار، ويكفي الإنسان إذا لم يتذكر شيئًا أنْ يقول: يا ربِّ، يا ربِّ، يا حي يا قيوم، يا الله يا الله، سبحان الله، الحمد لله، لا إلٰه إلَّا الله، الله أكبر.

هذا ما ينبغي أنْ يشغلَ به المؤمنُ نفسه في ساعة الشدَّة، أمَّا أنْ يفعل ما يفعله بعض النَّاس، صراخ وولولة، فهذا ليس من شأن المؤمنين.

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، وسكت الترمذي عنه إلَّا أنَّه قال: ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد فلم يقل فيه عن أبيه. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٤١٧)، والحاكم في التفسير (٣٨٢/٢، ٣٨٣)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم في الدعاء (٥٠٥/١، ٥٠٦)، عن سعد بن مالك.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من أنْ يتربَّى الإنسان التربية الَّتي يواجه بها الشدائد برباطة جأش، وباللجوء إلى الله تعالى، وليس هناك إلَّا الله في مثل هذه المواقف.

غير مرخصة للطباعة

المتاجرون بأرواح الناس:

هذه دروس تعلَّمناها من هذه الكارثة، وتعلمنا أنَّ هناك أناسًا ـ للأسف ـ يتاجرون في أرواح النَّاس؛ فمعظم الَّذين ماتوا إنَّما ماتوا بأولئك الطامعين من المهندسين والمقاولين، الَّذين يبنون بنايات لا يراعون فيها ما ينبغي أنْ تكون عليه؛ ليكسبوا من وراء ذلك، وإنْ مات النَّاس وهلكوا، هؤلاء الَّذين يتقاتلون على جيفة الدُّنْيا، ولا يُبالون بما يصيب الخلق، ينبغي أنْ يراجعوا أنفسهم.

يا أيُّها الإخوة، هذه الأُمَّة لا يُصلحها إلَّا الدين، الدين هو الَّذي يصنع أخلاقها، ويحيي ضمائرها، ويربطها بالله تعالى وبالآخرة، هذا الدين هو الَّذي يستطيع وحده أنْ يحيي الأُمَّة، ويجعل منها خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس.

نسأل الله تعالى أنْ يلطف بنا في قضائه وقدره، وأنْ يُذهب عنَّا شرَّ الزلازل والنوازل، وأنْ يقينا ما ظهر منها وما بطن، وألا يُهلكنا بما فعل السفهاء منّا، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، إنَّه سميع قريب، فاستغفروه يغفرْ لكم.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة[(١)]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية، في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ استُرْ عوْراتنا، وآمِنْ روْعاتنا، واحفظْنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ اجمعْ كلمتنا على الهدى، وقلوبَنا على التقى، وأنفسَنا على الحبِّ فيك، وعزائمَنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ لا تجعل للشيطان على أنفسنا سبيلًا.

اللهمَّ أعِنَّا على شهوات أنفسنا، وأصلِح فساد قلوبنا، وتبْ علينا توبة نصوحًا.

اللهمَّ اجعل يومَنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ لا تُهلكنا بما فعل السفهاءُ منَّا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنَّا، وآمِنَّا في أوطاننا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهمَّ انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في البوسنة والهرسك، وانصر إخواننا في جامو وكشمير، وانصر إخواننا في كلِّ مكان يقاتلون فيه، وانصر إخواننا المضطهدين المعذَّبين.

اللهمَّ فكَّ بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولَّ بعنايتك أمرهم.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ورسولك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

مرض الإيدز[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حضرت في الأسبوع الماضي مؤتمرًا للطبِّ الإسلامي في القاهرة، عقدته المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطبية في الكويت، بالتعاون مع الأزهر الشريف، ومع نقابة الأطباء في مصر.

ما هو مرض الإيدز وما هي خطورته؟

وكان ممَّا لفت النظر في هذا المؤتمر موضوع شغل العالم اليوم، وهو ما يسمى بـ«الإيدز»، والإيدز حروف لكلمات تدلُّ على مرض هو: «نقص المناعة الطبيعية والمكتسبة لدى الإنسان».

فإنَّ الله تعالى زوَّد الجسم الإنساني بجند من جنده: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، هذه الجنود المجندة الخفية الَّتي لا تُرى إلَّا بالمجاهر ـ وقد لا ترى ـ تقاوم كلَّ ميكروب غريب يزحف على هذا الجسم، وإلا تعرض للهلاك من أقلِّ ميكروب أو فيروس.

نسخة مجانية

(١) ألقيت بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٩هـ ـ ٢ ديسمبر ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

يأتي هذا المرض ليحطِّم هذا الجند المجند المرابط من قِبل القدرة الإلٰهيَّة، وليقبض عليه، فيصبح الإنسان فريسة لأي مرض، يمكنه أن يهاجمه ويقضي عليه.

هذا هو المرض الَّذي أشير إليه باسم «الإيدز»، وهو الَّذي يرعب العالم كلَّه الآن.

وقد عرض الإخوة الأطباء الَّذين جاؤوا من أوربا وأمريكا، والذين يعيشون هناك في أعلى الاختصاصات، وفي أرقى المراكز، وعرضوا بالصور، وعرضوا بالأفلام، وبلغة الإحصاءات، ما يُهَدِّد العالم من وراء هذا الداء الخطير، وهذا الوباء الوبيل، وهذا المرض العضال.

إنَّها إحصاءات مرعبة؛ فآلافٌ مُؤَلَّفة تعاني من هذا المرض، وآلاف وآلاف تحمل الميكروب، وآلاف وآلاف، بل ملايين وملايين، مُهَدَّدة أنْ يصلَ إليها هذا المرض بوسيلة من الوسائل.

فما سبب ذلك كلِّه؟

سبب ذلك كلِّه هو الشرود عن فطرة الله الَّتي فطَر النَّاس عليها، هو الشرود عن السنن الإلٰهيَّة الَّتي أقام الله عليها هذا الكون، هو الشرود عن أحكام الله تعالى.

لقد أصيب بهذا المرض الغربيُّون في أرقى البلاد الَّتي وصلت إلى القمر، وتحاول الصعود إلى الكواكب الأخرى.

أصيب به أبناؤها، وأصيبت به بناتها، وحتى الأطفال أصيبوا بهذا المرض الوبيل الَّذي وقف الأطباء عاجزين عنه، لا يستطيعون أنْ يفعلوا شيئًا.

QaradawiBooks.com

من أجل ذلك تنادي العالم كلُّه للوقوف أمام هذا الوباء الَّذي يسمونه «الطاعون الأبيض»، يتنادى العالم للوقوف ضـــده، للوقاية منه؛ فالوقاية خير من العلاج، ودِرهم وقاية خيرٌ من قنطار من العلاج.

لقد أصابهم هذا المرض نتيجة انتشار الفاحشة، نتيجة انتشار الشذوذ الجنسي، نتيجة انتشار الزنى واللواط والاتصال غير المشروع بين الرجل والرجل، والاتصال المحرم بين الرجل والمرأة، ونتيجة الإعلان به جهارًا نهـــارًا، حتَّى إنَّ الشـــواذ أصبح لهم أنديـــة خاصَّة، وأصبحوا يُسـيِّرون مسيرات ومظاهرات في شوارعهم الكبرى، تجوب الطرقات، وتنادي أنْ يكون لهم حقُّ الاتصال الشاذ.

لا حرية مطلقة في هذا الكون:

بلغ الأمر عند هـؤلاء النَّاس إلى هذا الحدِّ، يقولـــون: نحن أحرار، دعونا نفعل ما نشـــاء، يتَّصل الرجل بالرجل، والرجـــل بالمرأة، والمرأة بالمرأة.

هذه هـــي الحُرِّيَّة عندهم، حرية الفســـوق لا حُرِّيَّة الحقـــوق، حُرِّيَّة البهيمة لا حُرِّيَّة الإنسان، إنَّ الحُرِّيَّة ليست أنْ تفعل كلَّ ما تشتهي، ولكن الحُرِّيَّة الحقيقية أنْ تفعل ما ينبغي.

ليس هناك حريـــة مطلقة في هذا الكون، كلُّ شـــيء له حدود، حتَّى الكواكـــب الســـيارة لهـــا مســـاراتها ومداراتهـــا، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، حتَّى الطائرات لها مســـابحها في الجـــو، حتَّى البواخر في المحيطات لها مساراتها، كلُّ شيء لا يمكن أنْ يكون حرًّا بإطلاق، لا بدَّ من قيود وحدود، وإلا اصطدمت الأشياء بعضها مع بعض.

QaradawiBooks.com

الحُرِّيَّة المطلقة بهيميَّة حيوانيَّة وليست من الإنسانيَّة في شيء، هؤلاء يطالبون بالحرية المطلقة، حرية أنْ يتصل الرجل بالرجل، أي قذارة، وأي حقارة، وأي أذى؟!

إنَّ النَّاس سألوا - في عهد النَّبي ﷺ - عن اتصال الرجل بامرأته في وقت الحيض، فجاء قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إتيان في موضع الحرث، ورجل مع امرأته في الحلال، ولكن إذا وُجِد الأذى، وُجِد الدم، فعلى الإنسان أنْ يتنزه، ويتنظف، ويضبط نفسه، حتَّى يأتي وقت الطهر، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

أمَّا هذا فهو يأتي مكانًا هو موضع القذر، لم يخلقه الله لهذا الأمر، ما خلق الله الذكر ليُركَب، ما خلقَ الله الشرَج ليؤتى، إنَّما خلقه لمهمة أخرى قذرة ينبغي للإنسان أنْ يتنظف منها ويتطهَّر، فكيف قلبَ هؤلاء فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها؟!

قوم لوط أول من ابتكر فاحشة اللواط:

إنَّ قومًا في التاريخ فعلوا ذلك، وهم قوم لوط، كانوا أوَّل من ابتكر هذه الفاحشة، ما سبقهم بها أحد من العالمين، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

أرسل الله إليهم نبيَّه لوطًا عليه السلام يدعوهم إلى الله، وإلى التنزه عن هذه الفاحشة، ودمغهم بأسوأ الأوصاف، فقال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]،

QaradawiBooks.com

﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وصفهم بكل الأوصاف الهازئة، ثمَّ سأل الله تعالى أنْ يخلِّصه منهم، فنجَّاه من هذه القرية الَّتي كانت تعمل الخبائث والَّتي كانت تأتي في ناديها المنكر، والَّتي كانت تتربص حتَّى بالضيوف، ولا يسلم منها ضيف، إنَّها آفة، إنَّها مصيبة، من أصيب بها فقدَ عقله، وفقد ضميره، وفقد وعيه، ولم يرعَ أي قيمة من القيم حتَّى الضيوف.

هؤلاء استحقُّوا العقوبة من الله تعالى، عوقبوا بما لم يعاقبْه أحد في العالمين، جزاء فاحشتهم الَّتي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، وجعل عالي بلدانهم سافلها، قلبها عليهم كما قلبوا فطرة الله تعالى، وأرسل عليهم حجارة مسوَّمة، كلُّ حجر مُصوَّب لصاحبه لا يخطئه، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] عقوبة الله ليست ببعيدة عن كلِّ من سلك مسلكهم، أو اتَّبع منهاجهم.

مباركة الكنيسة لهذا المنكر:

الغربيُّون أعادوا الفاحشة الَّتي ابتدعها قوم لوط، ولكنَّهم زادوا على قوم لوط، فباهوا بها، وأعلنوا عنها، وأصبحت لهم أنديتهم، وأصبحوا يُسيِّرون المظاهرات، ويكتبون في الصحف، بل أصبح هناك من يدعو إلى قانون يتيح لهم هذا الأمر: أنْ يُقَنن هذا الخروج عن الفطرة، وأنْ يُقَنن هذا الإجرام.

وللأسف كلُّ الأسف، وجد من الكنائس المسيحية الَّتي تنتسب إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، الَّذي كان يقول: لقد كان من قبلكم

QaradawiBooks.com

يقولون: لا تزن، وأنا أقول: من نظر بعينيه فقد زنى[1]. هكذا يروون عنه في الإنجيل، إنَّه يحرم النظرة غير البريئة، فكيف بهؤلاء الَّذين يستحلُّون ما حرَّم الله في كلِّ جيل؟

للأسف تقوم بعض الكنائس لتبارك هذا المنكر، ويقوم بعض القسس بكتابة عقود يزوِّج فيها الرجل من الرجل!!

أيُّ حضارة هذه الحضارة؟ وأيُّ مدنيَّة هذه المدنيَّة؟

الحضارة الحقيقية ترقى بإنسانية الإنسان:

ليست الحضارة أنْ تلعب بالأزرار لتأتيك بالأشياء في أسرع وقت، وأنْ تختصر لك المسافات، وأنْ تُقرِّب إليك البعيد، وأنْ تُنطِق لك الحديد.

الحضارة أنْ ترقى باعتبارك إنسانًا، أنْ يكون لك عقل وخُلُق وضمير، أنْ تضبط نفسك أمام الشهوات، أن تقول: لا، بملء فيك إذا وجدت ما يصادم إنسانيتك، أنْ تركُلَ الشهوات بقدميك، وتقول ما قاله الصديق ابن الصديق ابن الصديق ابن الصديق، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، حينما عُرضت عليه الفتنة، هكذا ينبغي أنْ يكون الإنسان.

التقليد الأعمى للحضارة الغربية:

وللأسف الشديد أيُّها الإخوة بدأ رذاذٌ من هذه الحضارة ينتقل إلينا نحن المسلمين، بدأنا ـ نحن المسلمين ـ نقلِّدهم تقليدًا أعمى، تقليد القردة، ونحاكيهم محاكاة الببغاوات، نريد أن نسير سيرتهم، نستنَّ

(١) إنجيل متَّى (٥/٢٧ ـ ٢٩).

QaradawiBooks.com

بسُنتهم، ونمشي وراءهم «**شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه**». كما قال النَّبي ﷺ(١).

يريد بعضُ النَّاس منَّا أن نسير وراء الغرب، أن نُطلِق الحرية، أن ندعَ للشباب والشابّات الحبلَ على الغارب؛ ليجرب كلٌّ منهم صاحبه، يتعلم بعض شبابنا هذا الأمر عن طريق الفكر المضلل، وعن طريق المخالطة والاتصال بأولئك القوم في بلدانهم، حين يذهب من يذهب إلى أوربا وأمريكا، وحينما يذهب من يذهب إلى بلاد الشرق الأقصى، إلى «بانكوك» وما وراءها، فيأتون وقد تلوَّثوا بالأمراض، وقد أصيبوا بالأدواء، في أبدانهم وفي عقولهم!

هكذا بدأنا نذهب إليهم لنأخذ عنهم البلاء والوباء، أو يأتون إلينا في صور شتَّى.

تحصين الإسلام للمجتمع المسلم:

إنَّ الله حصَّننا ـ نحن المسلمين ـ بتعاليم دينه، حصَّننا بأحكام شرعه، حصَّننا بالعقيدة الَّتي تجعل المؤمن يقف شامخًا كالجبل الأشمِّ أمام الأهواء والمغريات والشهوات، لا يرضى أنْ يلوِّث نفسه، إنَّ الإسلام قد ربَّاه منذ نعومة أظفاره على غض البصر وحفظ الفرج ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

إنَّ الله أراد للإنسان المسلم أنْ يتربى على العفاف والإحصان وخُلُق الحياء، فلا يرضى أنْ يتلوَّث بالشهوات، وأنْ يقع في بؤرة المعاصي، حتَّى لو جاءت الشهوة إليه ساعية فإنَّه يرفضها ويقول: معاذ الله، ويقول كما قال أحد السبعة الَّذين يظلِّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، حينما عرضت له امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنِّي أخاف الله ربّ العالمين(١). هذا هو شأن الإنسان المسلم.

علَّم الإسلام المسلم منذ صباه أنْ يتعفف، ويتنظَّف، ويتطَّهر، ويتنزَّه، ويرفض أنْ يتلوَّث بهذه الكبائر، علَّمه ألَّا يتصل بالجنس الآخر إلَّا في الحلال.

من أوصاف المؤمنين في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧، المعارج: ٢٩ ـ ٣١]، أولئك هم المعتدون على حدود الله، الظالمون لأنفسهم وللنّاس.

أغلق الإسلام أبواب الحرام أمام المسلم، وفتح له أبوب الحلال، ودعا النَّاس إلى أنْ يتزوجوا ويُزوّجوا، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

إنَّ الإسلام يعمل على إيجاد الفرد النظيف والمجتمع النظيف، فدعا المجتمعَ أن يُعينِ كلَّ من يرغب في الإحصان، كما دعاه إلى أنْ يُطهِّر نفسه من أسباب الفتنة، ودواعي الإغراء والإفساد، فلا يجوز لمجتمع مسلم أنْ يوجد فيه ما يُحرِّض على الفواحش ما ظهر منها وما بطن، لا يجوز لمجتمع مسلم أن توجد فيه الصورة العارية أو شبه العارية، أو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الغناء الماجن، أو القصة الخليعة، أو المرأة المكشوفة الَّتي تباع لحمًا رخيصًا في الطرقات والأسواق وعلى الشواطئ، لا يجوز هذا في حال من الأحوال، وبهذا يحصِّن المسلم نفسه من كلِّ وباء، ومن كلِّ مرض.

عقاب الله بالمرصاد:

أمَّا إذا شرد النَّاس عن هذا، وارتكبوا ما حرَّم الله، وتورَّطوا في الموبقات، وأعلنوا بها كما فعل الغربيُّون، فإنَّ عقاب الله تعالى بالمرصاد.

إنَّ لله عقوبات شتَّى، منها عقوبات شرعيَّة يُنَفِّذها وليُّ الأمر المسلم، ومنها عقوبات كونيَّة قدريَّة، يتولاها القدر الأعلى، وفقًا لما ربط الله به هذا الكون من شبكة الأسباب والمُسَبَّبات.

الإيدز من العقوبات القدرية:

ومرض «الإيدز» هو نوع من العقوبة القدريَّة الإلٰهيَّة كما نبأنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث الَّذي رواه ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي عن ابن عمر، أنَّ النَّبي ﷺ قال لأصحابه: «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن** [وكانت أولى هذه الخصال الخمس] **لم تظهر الفاحشة**[1] **في قوم قط حتَّى يعلنوا بها إلَّا فشا فيهم الطاعون والأوجاع الَّتي لم تكن مضت في أسلافهم الَّذين مضوا**»[2].

انظروا إلى هذا الحديث الشريف العجيب، انظروا إلى هذا الإعجاز النبوي: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتَّى يعلنوا بها**»: وجود الفاحشة

(١) الفاحشة تشمل الزنى، وعمل قوم لوط، الذي يعرف في عصرنا باسم «الشذوذ الجنسي» أو «المثلية».

(٢) سبق تخريجه صـ ١١٢.

QaradawiBooks.com

عند فرد أو أفراد قد يعفوَ الله تعالى عنــه، أو يؤجِّل العقوبة عليه، ولكن حينما تظهر في قوم، في جماعة، في مجتمع، وتظهر إلى حدٍّ أنْ يُعلنوا بها، ويجاهروا بهــا، ويتباهوا بها، ويقيموا النوادي من أجلها «**إلَّا فشــا فيهم الطاعون**»: لقد كان الطاعون يأتــي قديمًا ويأكل الأخضر واليابس، ويفني النَّاس بالجملة، ولا يجد النَّاس له مقاومة ولا علاجًا، والغربيُّون يطلقون على «الإيدز» لفظ: «الطاعــون»، كما جاء في حديث النَّبي ﷺ، فهذا هو طاعون هذا العصر: «**إلَّا فشــا فيهم الطاعون والأوجاع الَّتي لم تكن مضت في أسلافهم الَّذين مضوا**».

وهذا المرض فعلًا ما كان النَّاس يعرفون عنه شيئًا قبل عدة سنوات، فهو مرض جديد، كلَّما أحــدث النَّاس معصية أحــدث الله لهم عقوبة، هكذا سُنة الله تعالى.

نذر الله رحمة بعباده:

إنَّ هناك رقابــة على هذا الكون، رقابة إلهيَّة لا تــدع النَّاس دون أنْ تأتيهم النذُر، وهذه النُّذر أيضًا من رحمة الله تعالى؛ ليُنبِّه الغافلين، ويذكِّر الناســين، ويوقظ النائمين، ويقــول: يا أيُّها الضالُّون، عــودوا، ويا أيُّها العُصاة، توبوا.

يقــول الله تعالــى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، ظهرت المصائب من كلِّ نوع: مصائــب في الفرد، ومصائب في الأســرة، ومصائب في الجماعة، مصائب في الأجســام، ومصائب فــي الأنفس، ومصائب فــي العقول، ومصائب في الأموال، ومصائب من كلِّ ناحية، فساد شامل، لماذا؟

QaradawiBooks.com

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ لا يذيقهم كلَّ ما عملوا، لو أخذ الله النَّاس بكلِّ ما عملوا لأفنى هذا الكون، لأباد خضراءهم، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي أنَّه ينبِّههم بهذه العقوبات ليتذكروا، ليذكر الإنسان ضعفه أمام القدرة الإلٰهيَّة، ليذكر الإنسان مصيره، ليذكر مبدأه ومنتهاه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فهل يرجع الشاردون؟ فهل يتوب العاصون؟ فهل يهتدي الضالُّون؟ فهل يستيقظ النائمون؟ هيهات، هيهات!

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي[1]

لقد جاءتهم النُّذر من كلِّ ناحية، جاءتهم النذُر وهم في غيِّهم سادرون، في غفلتهم لاهون، في غمرتهم ساهون، فعلينا نحن المسلمين أن نأخذ العبرة، أن نستفيد من غيرنا؛ فالسعيد من وُعِظ بغيره.

تميز الأمة الإسلامية عن غيرها:

نحن مسلمون أكرمنا الله بالإسلام، وحصننا بهذا الدين، فلا يجوز لنا أن نكون نسخة من غيرنا، أن نمسخ أنفسنا، ونصير أذنابًا لغيرنا، إن كان

(١) من شعر عبد الرحمن بن الحكم، انظر: الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار صـ٩٥، تحقيق سامي مكي العاني، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ولا بدَّ أن نأخذ من الغرب، فلنأخذ منه العلم والتكنولوجيا، والعلم هو بضاعتنا في الحقيقة تردُّ إلينا.

لقد أخذوا المنهج العلمي التجريبي منّا، فعلينا أن نستعيده ونستفيد منه و«**الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها**»(١).

أمَّا أن نأخذ عنهم كلَّ شيء كما ينادي من ينادي من النّاس، فهذا هو المسخ.

لا يجوز لهذه الأُمَّة بحال أنْ تنماع شخصيَّتها، وأنْ تسير وراء غيرها من المغضوب عليهم ومن الضالين، وقد علَّم الله المسلم أنْ يقول في كلِّ يوم ما لا يقلُّ عن سبع عشرة مرَّة مناجيًا ربه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

علينا نحن المسلمين أن نتميَّز عن غيرنا، فنُحلُّ ما أحلَّ الله، ونحرِّم ما حرَّم الله، وللأسف لا زالت بعض القوانين في بلاد المسلمين تُحلُّ الحرام، تُحلُّ الزنى الصريح، تُحلُّ الاتصال غير المشروع، ما دام ذلك يتم برضا الطرفين، فالقانون لا سبيل له عليهما، وكما يقول المثل: «أنا راضي، وأبوها راضي، وأنت ما لك يا قاضي؟!».

وفي بعض البلاد حرَّموا الزواج بامرأة ثانية، وأباحوا اتخاذ الخليلات والعشيقات، وهكذا فعلوا: أحلُّوا الحرام وحرَّموا الحلال، وعارضوا شرع الله جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا.

---

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، واستغربه، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعفه الألباني جدًّا في ضعيف الترمذي (٥٠٦). ولكن معناه صحيح.

QaradawiBooks.com

نحن المسلمين علينا أن نتمسك بشرع الله تعالى؛ فهو سفينة الإنقاذ، وطَوْق النَّجاة في الدُّنْيا والآخرة.

إنَّ الدين ليس سبيلًا للسعادة في الآخرة فقط، بل هو سبيل السعادة في الدُّنْيا قبل الآخرة، لا نجاة إلَّا بــه، ولا وحدة إلَّا به، ولا قوَّة إلَّا به، ولا نصر إلَّا به، من أراد الدُّنْيا فليتمســك بالإســلام، ومن أراد الآخرة فليتمسك بالإسلام، ومن أرادهما معًا فليتمسك بالإسلام.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه من كلِّ ذنب، إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

❋ ❋ ❋

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ورد أنَّه في يوم الجمعة ساعةَ إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجيب له(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلِحْ لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلِحْ لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسِنْ عاقبتنا في الأمور كلها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذابِ الآخرة.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في لبنان، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين في كلِّ شبر من أرض الإسلام.

اللهمَّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذِلْ دولتهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المسلمين.

اللهمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقوى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ونياتهم على الجهاد في سبيلك.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ونبيك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

٨

عقبات في طريق الزواج

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ما زلنا نتحدَّث في محيط الشباب والفتيات، ومشكلات هذا الجيل، الَّذي منَّ الله عليه بنعمٍ كثيرة، ومع هذا يعاني مشكلات كثيرة.

ما زلنا في مشكلات هذا الجيل من الشباب والفتيات، ومن هذه المشكلات ما يتعلَّق بالزواج، الَّذي أصبح الآن ـ بما أدخله النَّاس من تعقيدات في حياته ـ عبئًا على الظهور، يسَّره الله تعالى فعسَّره النَّاس، وبسَّطه الشرع فعقَّده المجتمع، ووسَّعه الخالق فحجَّره الخلق.

الزواج في نظر الإسلام عبادة وقربة:

الزواج في نظر الإسلام قُربة وشريعة، وسُنَّة ربَّما وصلت إلى الفريضة:

شرع الله الزواج ولم يشرع في الإسلام الرَّهْبانيَّة، لا رهبانيَّةَ في هذا الدين، ليس في هذا الدين اعتزال للحياة، وانصراف عن المرأة، واعتبارها وسيلة الشيطان كما كان في أديان أخرى، حيث كان الرجل

QaradawiBooks.com

يعتبر المرأة نجسًا، ويفرُّ منها، حتَّى لو كانت أخته أو أمه، كما كان يصنع الرهبان في أوربا في العصور الوسطى[1]، ليس في الإسلام هذا.

لقد تزوَّج رسـول الله ﷺ، وتزوَّج أصحابه، حتَّـى قال من قال منهم: لو لم يبقَ من عمري إلَّا عشرة أيَّام، لتزوَّجت فيها حتَّى لا ألقى الله عزبًا[2].

الزواج فطرة إنسانية وفطرة كونية:

الزواج فطرة إنسانية: لا يستطيع الإنسان أنْ يعيش وحده، لمّا خلق الله آدم خلقَ له زوجة، وقال له: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩].

فلا معنى إذا عاش الرجل فيهـا بغير أنيس، بغير من يسـكن إليه، ولهذا خلق الله لآدم زوجة ليسكن إليها.

بل الزواج فطرة من فِطَر الكون كلِّه، ليس هناك شيء إلَّا وله زوج، إلَّا وله مكمِّل، سواء كان هذا في الحيوانات أم في النباتات أم حتَّى في الجمادات، في الكهرباء، نرى الموجب والسـالب، بل في الذرة، العلم الحديث يقول لنـا: إنَّ في الذرة الَّتـي هي الوحدة الصغيـرة لبناء هذا الكون، فيها شـحنة موجبة وشحنة سـالبة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

---

(١) انظر في ذلك ما نقله العلَّامة أبو الحسـن النـدوي في كتابه: ماذا خسـر العالم بانحطاط المسـلمين؟ عن عجائب الرهبان في العصور الوسطى صـ١٨٧، نشـر إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط١، ١٩٨٦م.

(٢) القائل عبد الله بن مسعود. رواه سـعيد بن منصور في النكاح (٤٩٣)، والطبراني (٢٣٩/٩)، وقـال الهيثمي في مجمع الزوائـد (٧٣٠٠): رواه الطبراني، وفيـه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، وهو ثقة، ولكنَّه اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وإذا كان هذا هو نظام الكون، وفطرة الكون، فلا يبقى للإنسان أن يشذَّ عن النظام الكوني، وعن فطرة الطبيعة، فلا بدَّ أنْ يبحث عن إلفِه، وعن أنيسه، وعن زوجه.

ومن أسرار التعبير في اللغة العربيَّة وفي القرآن الكريم، أن كلًّا من المرأة والرجل إذا تزوجا يسمى كلّ منهما: زوجًا، وكلمة «زوج» تعني «اثنين»، كأنَّ كلًّا منهما يحمل في ضميره الآخر، كأنَّ كلًّا منهما في ظاهره فرد، وفي حقيقته زوج.

الزوجية فطرة إنسانيَّة، وفطرة كونية:

ومن هنا حثَّ الإسلام على الزواج، حتَّى يبقى به هذا النوع، وتستمر عمارة الحياة بهذا النوع المكرَّم كما أراد الله تعالى، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتُّل نهيًا شديدًا، ويقول: «**تزوَّجوا الودود الولود؛ فإنِّي مُكَاثِر بكم الأنبياء يوم القيامة**»(١).

الزواج إبقاء للنوع الإنساني:

الزواج من أسباب التناسل الَّذي يبقى به هذا النوع، لا بقاء للنوع بغير هذا الزواج، ولهذا لا يرى الإسلام تلك النظرة التشاؤمية الَّتي كانت عند بعض الفلاسفة، وبعض الأديان الَّتي تنظر إلى الحياة على أنَّها شرٌّ، وإلى هذا العالم على أنَّه عالم عذاب وويلات، وينبغي أنْ يتخلَّص النَّاس من هذا العالم بقطع النسل فلا يتزوَّجون، وإذا تزوَّجوا لا ينجبون وهكذا.

---

(١) رواه أحمد (١٢٦١٣)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره، وهذا إسناد قوي. وابن حبان في النكاح (٤٠٢٨)، والطبراني في الأوسط (٥٠٩٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧٣٣٩): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

QaradawiBooks.com

الإسلام ضدّ هذه النظرة التشاؤميَّة، ويرى أنَّ هذه الحياة خير، أرادها الله أنْ تعمَّر، وأنْ تستمر، ولهـذا على النَّاس أن يتزوجـوا، ويتزوجوا الودود الولود.

الزواج أساس بناء الأسرة:

الزواج كذلك أساس لتكوين الأسرة، تلك الَّتي تتربَّى فيها المشاعر، المشاعر الطيبة، والعواطف الإنسانيَّة النبيلة، عواطف الأبوَّة والأمومة والبنوَّة والأخـوَّة والرحم، عواطف المحبة والتعاون والإيثار والرحمة والتعاطف، في ظلِّ الأسرة تتكون هذه المشاعر والَّذي يكوِّن الأسرة هو الـزواج، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

في ظلِّ الأسرة يوجد السكون والمودة والرحمة، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] آية من آيـات الله مثل خلق السـماوات والأرض، مثل الآيات الكبرى في هذا الكـون، أنْ ينضم رجل إلى امـرأة، وتنضم امرأة إلى رجل، ويتكون منهما النواة الأولى والخلية الأولى لهذا المجتمع.

ثم بعد ذلك تتسـع الدائرة، دائـرة المودة، ودائـرة المحبة والألفة والتناصر والتعاون بالمصاهـرة، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

الزواج حماية للإنسان:

الزواج كذلك حماية للإنسـان من السـقوط الغريزي، ركَّب الله في الإنسان غريزة، هي سوطٌ يسـوقه إلى بقاء النوع، وهذه الغريزة المركَّبة

QaradawiBooks.com

لحكمة إلهيَّة لم يأت الإسلام بمصادرتها، فلم يأت الإسلام بما يستأصل الفطرة والغرائز، بل بما يهذِّبها ويكمِّلها ويسمو بها.

لهذا لم يسِر مع أولئك الَّذين حرَّموا أي تصريف للغريزة، واعتبروها رجسًا من عمل الشيطان، ونظروا إليها نظرة استقذار، ولم يطلق لها العنان كما فعل أولئك البهيميون، الَّذين يعتبرون الإنسان والحيوان شيئًا واحدًا، وليس عندهم حلال ولا حرام، إنَّما وقف موقفًا وسطًا؛ فحرَّم السفاح وأباح النكاح، جعل هناك مصرفًا شرعيًا لهذه الغريزة بالزواج، لا حرج على الإنسان أن يستمتع بهذه الغريزة في حدود ما أحلَّ الله ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، لا حرج على الإنسان في ذلك.

لم يضق الشرع في هذا، بل أباح ووسَّع، ونادى النَّبي ﷺ الشباب عامَّة، فقال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنَّه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وجاء**»(١).

الزواج أغضُّ للبصر وأحصن للفرج.

كثرة العزوبة والعنوسة:

هكذا دعا الإسلام إلى الزواج، وهكذا استجاب المسلمون الأوائل لهذه الدعوة، فيسَّروا وسهَّلوا، وكانت أمور الزواج من أسهل ما يكون، ولكن النَّاس بعد ذلك، وفي عصرنا خاصَّة، عسَّروا ما يسَّر الله، وضيَّقوا ما وسَّع الله، شدَّدوا على أنفسهم ولم يشدِّد الله عليهم، حتَّى رأينا العزوبة

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

عند الشبان، والعنوسة عند الفتيات، نرى شابًّا بلغ الثلاثين من عمره ولم يتزوج، ونرى فتاة بلغت الثلاثين ولم تتزوج، ولعلَّها لا تتزوج بعد ذلك، حينما يقول الناس: فاتها القطار.

لم هذا كله؟ ما الَّـذي حدث؟ مـا دام هناك رجال ونسـاء، فتيان وفتيات، فلماذا لا يتزوج هؤلاء من هؤلاء؟

رأيتُ في الجامعة ـ وأنا أدرس للطالبات ـ أعدادًا غفيرة من الفتيات غير متزوجـات، ولا ينقصهـن والله الجمـال، ولا ينقصهن النسـب، ولا ينقصهن الأدب، ولا ينقصهـن الدين، ولا تنقصهـن الثقافة، لماذا لا تتزوج هؤلاء الفتيات؟ ما المشكلة؟!

المشكلة نحن الَّذين خلقْناها، نرجع إلى أسباب هذا فنجد النَّاس قد وضعوا عقبات كثيرة في سبيل الزواج.

عقبات في سبيل الزواج:

هناك عقبات مادية، وعقبات اجتماعيَّة، وعقبات نفسية.

هناك عقبات مادية: لا يستطيع الشاب أنْ يتزوج إلَّا أنْ يكون الشاب صاحب مال، ومال وفير، فالشابُّ المتخرج الَّذي يقف على أوَّل السُّلم، لا يسـتطيع أنْ يوفر ما يُطلب منه، وما يُطلب منه كثير، من الَّذي صنع هذا الكثير؟

الشـرع لم يصنعه، إنَّه في حاجة إلى مهر يدفعه، والنَّاس يُغالون في المهور، ويتباهون بها، إنَّهـا المفاخرة والمكاثـرة، والرياء الاجتماعي الزائف، بنت فـلان دُفع إليها كذا، وهذه بُذل لهـا كذا؛ كأن هذا أصبح مقياس القيمة للإنسان، أو الدخول في الجنَّة، ما قيمة هذا كله؟!

QaradawiBooks.com

خير الصداق أيسره:

وفي الحديث الشريف: «**خير الصداق أيسره**»[(١)]، «**من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها**»[(٢)].

وقد خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابةَ يومًا فقال: «ألا لا تُغلوا صُدُق النساء، ألا لا تُغلوا صُدُق النساء؛ فإنَّها لو كانت مكرمة في الدُّنْيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها النَّبي ﷺ ما أصدق رسول الله امرأة من نسائه، ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقيه»[(٣)]. والأوقية: أربعين درهمًا.

أجلْ، لم يزوِّج النَّبي ﷺ بناته على شيء كثير، فاطمة بنت مُحَمَّد ﷺ، سيِّدة نساء العالمين، تزوجت على ماذا؟ على درع قدَّمها إليها علي بن أبي طالب[(٤)]!

وماذا تصنع فاطمة الزهراء بالدرع؟! هل تحارب بها؟ إنَّها شيء رمزي.

سعيد بن المُسَيّب سيِّد التابعين وأفقههم ـ كما يقول أحمد بن حنبل ـ يرفض أن يزوج ابنته من ابن الخليفة[(٥)]، ويزوجها لأحد طلاب

---

(١) رواه الحاكم في النكاح (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٩)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن حبان في الصداق (٤٠٩٥)، والحاكم في النكاح (١٨١/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٨٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣٣٤٩)، ثلاثتهم في النكاح.

(٤) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٣٣٧٦)، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٩).

(٥) هو عبد الملك بن مروان، خطبها لابنه الوليد حين ولاه العهد.

QaradawiBooks.com

العلم فـي حلْقته، قال لـه: يا ابن أبـي وَدَاعة، ماذا عنـدك؟ قال: والله ما عندي إلَّا دِرْهَمَين. قال: قد زوجتك ابنتي بدِرْهَمَيْن[1]!

نعم، زوَّجه ابنتـه بدِرْهَمَيْن؛ لأنَّه كان يريد رجـلًا صالحًا، لم يكن النَّاس يتباهون بما يتباهى به النَّاس الآن، لم هذا؟!

وليت الأمر يقـف عند المهر وغلائه، إنَّه فـي حاجة إلى هدايا، في حاجة إلى ذهب يقدمه.

بعض البلاد هناك «شبكة» أو «تلبيسـة»، وبعض البلاد هناك ذهب، مصوغات تقدم، معظمها أشـياء لا تلبس؛ لأنَّها بأحجام كبيرة، وأوزان ثقيلة، وأشكال قديمة، لا تلائم ذوق هذا العصر، حتَّى إنَّه قد كثرت عليَّ الأسـئلة عن هذا الحلي: هل يزكي أو لا يزكي؟ لأنَّ المرأة لا تلبسه إلَّا للتباهي فقط، هو شيء لا يُلبس، ولكن تتباهى بأنَّ عندها الشيء الكثير قُدِّم لها في عرسها، لم هذا؟ لماذا نضيِّق على أنفسنا ونشدِّد؟

الأحفال والولائم الَّتي تقام للعرس، وقبل العرس، وبعد العرس، وتذبح فيهـا الذبائح، ويـؤكل قليلها، ويُلقى في سـلَّات المهملات و«الدرامات» كثيرها، وبلاد أخرى تتضور من الجوع فلا تجد اللقمة، لِمَ هذا؟

شدَّد النَّاس على أنفسهم، تراهم يقيمون حفلًا للخطبة، وحفلًا لعقد القران، وحفلًا للزفاف، ما هذا كلُّه يا عباد الله؟!

ثم بعد ذلك يأتي البيت، وتأثيث البيـت، لا بدَّ من أنْ تكون هناك شقة مفروشة بأحدث الأثاث، أو «فيلا»، أو ما شابه ذلك.

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نُعيم (١٦٨/٢).

QaradawiBooks.com

ثم بدعة جديدة اخترعها النَّاس بعد الزواج: ما سموه «شهر العسل» والسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل! تكاليف جديدة أضافها النّاس، هي في النهاية آصار وأغلال في أعناقهم، وعقبات في طريقهم.

كلُّ هذا يعقِّد الأمور، ويزيد من صعوبتها، وما طلب الله منَّا ذلك، ولا كلَّفنا الشرع ذلك، نحن الَّذين شدَّدنا على أنفسنا، ولهذا ينتظر الشاب حتَّى يمكنه أنْ يوفر ما يُطلب منه، وربَّما استدان، والدَّيْن همٌّ بالليل، ومذلة بالنهار، أو ربَّما ذهب إلى البنك يستقرض منه بالربا فيأذن من أوَّل زواجه بحرب من الله ورسوله، لم هذا؟

عقبات نحن الَّذين أنشأناها ووضعناها، عقبات مادية لا معنى لها.

عقبات اجتماعيَّة: هناك اعتبارات عند كثير من النَّاس، يتقدم إليهم الشاب فيرفضونه، لم هذا؟ هذا لأنَّه من أسرة دون الأسرة، أو طبقة دون الطبقة؟ أو كذا وكذا، معايير ما أنزل الله بها من سلطان.

إنَّ لكلِّ عصر معاييره، هناك من الفقهاء من قال بالكفاءة في النسب والحسب والحرفة وغير ذلك، ولكن هناك من رفض هذا كلّه وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، المقياس هو الدين والخُلق، والنبي ﷺ يقول: «**إذا أتاكم من ترضَون خُلُقه ودينه فزَوِّجوه، إن لا تفعلوا، تكنْ فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١).

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا ـ وإنَّما يعني بقوله: مرسلًا، انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة ـ وقد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وكانوا يقولون: إذا زوَّجـت ابنتك فزَوِّجْها ذا دِين، إنْ أحبَّها أكرمها، وإنْ أبغضها لم يظلمها[1]. لأنَّه يخاف الله فيها، فهو يعاشرها بمعروف، أو يسرِّحها بإحسان، ولا ينسى الفضل فيما سبق.

هذا هو الإنسان المؤمن، هذا هو الَّذي ينبغي أنْ يُحرص عليه.

والذين قالوا بالكفـاءة من الفقهـاء، قالوا: إنَّ العالـم كفء لبنت السـلطان؛ لأنَّ العلم يرفع صاحبه، ويعلي من قدره؛ لأنَّه إذا وقف الأمر عند الحسب والنسـب، معنى هذا أننا أصبحنا طبقات كطبقات الهنود، لا يستطيع أحد أنْ يرتقي من طبقة إلى طبقة، والإسلام يرفض ذلك.

يسـتطيع الإنسـان بعلمه وعمله أنْ يرتقي إلى أعلى الدرجات في المجتمع المسلم، وهذا ما رأيناه منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم.

كان عطاء بن أبي رباح الفقيـه التابعي رجلًا أسـود اللون، أفطس الأنف، أعـرج الرجل، قصيـر القامة، ولكنَّه جلس بجوار سـليمان بن عبد الملك في الحج، يفتي النَّاس في المناسك، قالوا: إنَّما رفعه العلم، العلم أجلسه بجوار الخلفاء.

والعلـم يرفـع بيتًـا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف[2]

ينبغي أن نُعيد النظر فـي معاييرنا، فالمهم هو سـعادة بناتنا وأبنائنا، لا يجوز أن نتحجر علـى مقاييس قديمة؛ فالزمن يتغيـر، والحياة تتطور،

(١) القائل الحسـن البصري، رواه ابن أبي الدنيا في العيال (١٢٥)، تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) ذكره من غير نسبة الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤٤٨/٤)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر جمعية التربية الإسلامية، البحرين ودار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

والأنظار تختلف، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٢]، ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾، أي: زوِّجوهم.

لا بدَّ لنا من هذه النظرة؛ حتَّى لا تقف هذه المعايير أحجار عثرة في سبيل حياة سعيدة لأبنائنا وبناتنا.

عوامل نفسية عند بعض الشباب والفتيات:

بعض الفتيان يضع أمام عينيه مثالًا يحلِّق في خياله، يرسم امرأة مثاليَّة يريدها زوجة له، موصوفة بكلِّ جمال وكمال، وهذا لا يوجد في واقع الحياة.

الحياة قلَّما نجد فيها الكمال المطلق، فامرأة عندها الجمال، وأخرى عندها المال، وأخرى عندها النسب، أمَّا أنْ يوجد فيها كلُّ شيء، فقلَّما يجتمع فيها هذا.

ولذلك أوصانا النَّبي ﷺ فقال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(1)، «**الدنيا كلُّها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»(2).

صاحبة الدين هي الَّتي تسرُّك إذا نظرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظك إذا غِبت، وتخاف الله في عرضك وولدك ومالك؛ ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة. وقوله: «تربت يداك» معناه: الحث والتحريض، وقيل: هو دعاء له بكثرة المال، أي: اظفر بذات الدين، ولا تلتفت إلى المال، أكثر الله مالك.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

وكثير من الَّذين يُحلِّقون وراء هذه الأحلام والمثاليات، قلَّما يحققون ما ينشدون.

أعرف قريبًا لي، كان يريد فيمن يتزوجها أنْ تكون موصوفة بالحسن والجمال، بل رائعة الحسن والجمال، كثيرة الغنى والمال، ذات حسب ونسب، ذات علم وثقافة، ولكنَّه للأسف حينما تزوج، تزوج امرأة ليس فيها شرط واحد من هذه الشروط، مع أنَّه عاش سنين طويلة يبحث عن مثاله الخيالي.

لا داعي لهذه الخيالات والمبالغات:

على الشاب أنْ يبحث عن ذات الدين، عن المرأة الصالحة الَّتي تحفظه وتصونه، ويستطيع أنْ يعيش معها حياة سعيدة، لا يهمه أنْ تكون فقيرة في المال، إذا كانت غنية بالأخلاق، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «**تزوَّجوا النساء يأتِيَنَّكم بالأموال**»(1).

بعض الشباب يتشددون في أمور لم يشدد فيها الشرع، كأن يقول: إنَّني لا أريد فتاة تعمل، ولا حرج في العمل.

لا حرج أنْ تعمل الفتاة في أمر مباح: أنْ تعمل مُدرِّسة في مدارس البنات، أو تعمل طبيبة في مكان ليس فيه اختلاط ممنوع، مثل هذا لا مانع منه(2).

لماذا يتشدد بعض الشباب أكثر ممَّا يلزم، وقد قص علينا القرآن قصة

---

(1) رواه البزار كما في كشف الأستار (١٤٠٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٣٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا مسلم بن جياد ـ ولعله جنادة ـ وهو ثقة.

(2) راجع كتابنا: فتاوى معاصرة (٣٣٠/٢)، فتوى: عمل المرأة، نشر المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

تلك الفتاتين اللتين رآهما موسى عند ماء مدين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤] كانتا ترعيان الغنم، وتذهبان بها إلى حياض المياه؛ لأنَّ أباهما شيخ كبير، ولا بدَّ للأسرة أنْ تعيش، الحياة تحتاج إلى معاونة.

بعض الشباب يخاف من الفتاة المُثقَّفة، ويقول: لا أتزوَّج فتاة جامعيَّة، لماذا؟

لا يخاف من الجامعيَّة إلَّا أحد اثنين: إما شاب ضعيف الشخصيَّة، يخاف من هذه المُثقَّفة المُتَعَلِّمة أنْ تحدِّثه وتسأله، ولا تكون كمًّا مهملًا في البيت.

وإمَّا شابٌّ يريد أنْ ينحرف، فهو يريد المرأة الَّتي لا تستطيع أنْ تحاسبه، ولا أنْ تقيِّد عليه حركاته وسكناته.

أمَّا الشابُّ المستقيم، الشابُّ القوي، فلا يَضِيره أبدًا أنْ يتزوَّج المُتَعَلِّمة، بل المُتَعَلِّمة تصلح زوجة، وتصلح أمًّا، تكون نعم المُرَبِّي لأولادها وبناتها، تستطيع أنْ تساعدهم في مدارسهم، وفي أداء واجباتهم المدرسيَّة والمنزليَّة.

هناك عقبات نفسية عند الشباب، وعند الفتيات أيضًا:

بعض الفتيات أيضًا يُحلِّقن، يرون فارس أحلام بأوصاف غير معقولة، وقلَّما يأتي هذا، وبعض الفتيات يشترطن أنْ يكون لهنَّ كذا وكذا، وتريد سيارة «مرسيدس»، و«فيلا» موصوفة بكذا وكذا، وأثاث كذا وكذا، وخادم كذا وكذا، ما هذا؟!

إنَّ فاطمة بنت مُحَمَّد ﷺ، تزوجت علي بن أبي طالب، ولم يكن في بيتها موقد كهربائي، ولا غسالة أوتوماتيكية، ولا مكنسة كهربائية، كانت

QaradawiBooks.com

تكنس البيت بيديها، كانت تدير الرَّحا بيديها فما كانت عندهم مطاحن، كانوا يأخذون الشعير ويطحنونه على الرَّحا، حتَّى يصبح دقيقًا خشنًا، فتأخذه وتعجنه وتخبزه، وكانت تحمل قربة الماء على كتفها، حتَّى أثَّر ذلك في يديها، وذهبت هي وزوجها إلى النَّبي ﷺ يشكوان، يريدان خادمًا، فقال النَّبي ﷺ لهما: «**ألا أدلكما على ما هو خير من خادم؟**». قالا: بلى يا رسول الله. قال: «**عندما تأويان إلى النوم تسبحان الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدانه ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرانه أربعًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم**»[1].

نصحهما أنْ يستعينا على هذا التعب والمعاناة بالقوَّة الروحية، بذكر الله تعالى، ولم يعطهما الخادم.

لماذا تريد المسلمة حياة الرفاهية؟ ما أجمل أنْ تكون معوانًا لزوجها، وأنْ تعمل في بيتها، وأنْ تكافح معه حتَّى يرتقي السُّلم إلى أعلى درجاته.

لماذا تريد إنسانًا ـ من أوَّل الأمر ـ غنيًّا ذا مال؟ والله أعلم هذا المال من حلال أو من حرام؟

لتبدأ درجات السُّلم من أوله مع فتى أحلامها، مع زوجها هذا، وتعيش حياة كفاح وعناء، كما عاشت نساء المسلمين في الزمن الأول: فاطمة الزهراء، وأسماء ذات النطاقين، وغيرهما من نساء الصحابة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٧)، عن علي.

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدين جاء بالتيسير:

يا أيُّها الإخوة، ويا أيتها الأخوات:

هذا هو ديننا، ديننا جاء بالتيسير، فما لنا نلجأ إلى التعسير؟ ديننا جاء بالتوسيع، فلماذا نلجأ إلى التضييق؟ ديننا خفَّف عنَّا، فلماذا نشدِّد على أنفسنا؟

علينا أن ندرك هذا، ونعلِّم أبناءنا وبناتنا هذا؛ حتَّى نحلَّ تلك العقدة، وحتى يتزوج الشبان والشابات، بدل أنْ يلجأ الشباب إلى طرق تعرفونها، يجدون الحرام فيها مُيسرًا هنا وهنالك، أو بدل أنْ يلجأ إلى الزواج من أجنبية، ويدع ابنة بلده، وأقرب النَّاس إليه.

هذا هو الإسلام، فإذا أردنا الخير كلَّ الخير، والسعادة كلَّ السعادة، فلا بدَّ أن نرجع إلى هذا الدين، ولا يصلُح آخر هذه الأُمَّة إلَّا بما صلُح به أولها.

نسأل الله تعالى أنْ يوفقنا إلى ما يُحب ويرضى، وأنْ يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأنْ ينفعنا بما علَّمنا، إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصْلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرٍّ.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهمَّ آمين، وأقم الصلاة.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

٩

المسلمون في مواجهة القوى المعادية[1]

الخطبة الأولى

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حديثنا اليوم عن المسـلمين في مواجهة القوى المعادية والتيارات الغازية.

ماضي الأمة الإسلامية:

مرَّ على المسلمين حينٌ من الدهر كانوا فيه سادة العالم، وقادة الدُّنْيا، سادوه بالإيمان والقرآن، وقادوه بالعلم والإحسان، حكموا فعدلوا، وأتمنوا فأدَّوا، وكانوا للدنيا هداة خير، ودعاة رشد.

ذهبت جيوشهم إلى كلِّ مكان، المصحف في يد، والسيف في يد، لا يُكرهون أحدًا على الدخول في دينهم، ولكن ليحقُّوا الحقَّ، ويُبطِلوا الباطل، ويقفوا مع الضعيف ضد القوي، ومع المظلوم ضد ظالمه.

(١) ألقيت في أحد مساجد الكويت الجامعة، وأذيعت في الإذاعة والتليفزيون، وكانت بعد الإعلان ـ في مؤتمر المصارف الإسلامية المنعقد بالكويت ـ عن ضرورة تأسيس صندوق إسلامي أو هيئة إسلامية عالمية؛ للوقوف في وجه الغزو التنصيري الذي يهدد المسلمين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كانت لهم حضارة شامخة الذُّرى، جمعت بين العلم واليقين، ووصلت الأرض بالسماء، وربطت الدُّنْيا بالآخرة، ووفقت بين العقل والقلب، بين المادة والروح، بين حقِّ الفرد ومصلحة المجموع.

كانت كتب المسلمين تُدرَّس في جامعات العالم، كان علماء المسلمين أشهر أسماء أهل العلم في الدُّنْيا، كانت اللغة العربيَّة لغة العلم في كلِّ أقطار العالم.

بلغ من مجدنا أنَّ هارون الرشيد نظر يومًا إلى السحابة في السماء وقال لها: شرِّقي أو غرِّبي، فسيأتي ثمرة خراجك إلى بيت مال المسلمين[1].

حاضر الأمة الإسلامية:

هكذا كنَّا، حتَّى جاء هذا العصر، ودار الفَلك دورته، وإذا بنا نصبح في المؤخرة، بعد أنْ كُنَّا في المقدمة، نصبح وراء الأمم بعد أنْ كُنَّا في مأخذ الزمام من القافلة، أصبحنا نسمَّى العالم الثالث أو البلاد النامية، وهو تعبير مُلطَّف للبلاد المتخلفة.

ولم يكفِ هذا، بل طمعت فينا كلُّ القوى، طمع فينا من لا يدفع عن نفسه، وغُلبنا كلَّ مغلب، وأصبحنا نهب الطامعين والناهبين من الشرق ومن الغرب.

كلُّ القوى وكلُّ الجبهات تألَّبت علينا، وتكالبت علينا، تختلف فيما بينها، ولكن إذا كُنَّا نحن العدو اتفقت كلمتها جميعًا، وهذا ما قاله

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٣/٢٨٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

فقهاؤنا من قبل: «الكفر كلُّه ملَّة واحدة»، بل هذا ما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

جبهات الكفر جميعًا كلّها تألَّبت علينا:

الجبهة الشيوعية:

الجبهة الشيوعية الَّتي لا تؤمن بالله، ولا تؤمن بالوحي، ولا تؤمن بالآخرة، ولا تؤمن بدين من أديان السماء، وتقول: ليس صحيحًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

هذه الجبهة لا تكتفي بأنْ تغزونا من الداخل بواسطة أحزابها وعملائها ودعاتها وأدعيائها، بل غزتنا من الخارج، غزتنا بقوة السلاح، ودخلت جحافلها بلدًا مسلمًا ما زال يعاني من آثار الغزو، ويقاتل بكل ما يستطيع، ذلكم هو أفغانستان.

الجبهة اليهودية:

اليهود الَّذين عاشوا متفرقين في أنحاء العالم، ولم يجدوا لهم صدرًا حنونًا إلَّا في ديار الإسلام، في بلاد المسلمين، وفي ظلِّ دار الإسلام، عاشوا آمنين مطمئنين، يكسبون المال، ويكسبون الغنى، وتكون لهم المكانة، هؤلاء التفُّوا على المسلمين أخيرًا، ولم يرضوا أنْ تكون لهم دولة إلَّا في قلب ديار العروبة والإسلام.

وقامت «إسرائيل» تغتصب أرضنا، وتُخرج أهلها من ديارهم، وتقيم دولة على أساس ديني، ولذلك سمتها: «إسرائيل».

QaradawiBooks.com

جاء اليهود من أنحاء متفرقة، ومن أوطان شتَّى، ولم يجمعهم جامع إلَّا الدين، إلَّا التوراة، وإلا أحلام ونبوءات دينيَّة في أسفارهم المقدَّسة، ولم يكتفوا بهذا، لم يكتفوا بأنْ يقيموا دولة يطردون أهلها من أرضهم؛ ليعيشوا عليها، حتَّى ناوشوا كلَّ من حولهم، واقتطعوا أراض أخرى، وما زالت لهم أطماع وأطماع.

ولعلنا نقرأ في هذه الأيام ما يكتبه المفكر الفرنسي الَّذي هداه الله إلى الإسلام: «رجاء جارودي»[1]، وتنشر صحف القاهرة وصحف الكويت كلام هذا المفكر عن أحلام الصهيونية وأباطيلها، وأنَّ لهم أحلامًا أخرى غير هذه الأحلام، إنهم يقولون: إنَّ مُلك «إسرائيل» من الفرات إلى النيل، إنهم يخطِّطون لتقسيم البلاد العربيَّة حولهم، حتَّى يطمئنوا على وجودهم، فهم يحلمون بتمزيق سوريا، وتمزيق مصر، يريدون أنْ يقيموا فيها دولة للنصارى في الصعيد، كما رأيتم في صحف اليوم، بل حتَّى دول الخليج يحلمون بتمزيقها، ولا تقولوا: هذه أحلام وأماني، فكثيرًا ما رأينا الأحلام والأماني انقلبت إلى واقع ونحن لا نفعل شيئًا.

اليهود الَّذين هم أبخلُ النَّاس، وأجبنُ النّاس، يقاتلون عدة دول وينتصرون، ويبذلون المال بالملايين والبلايين، هذا ما حدث أيُّها الإخوة.

الجبهة النَّصرانيَّة:

والجبهة النَّصرانيَّة تعمل لنشر دينها في أنحاء العالم، في أقطار شتَّى، ومنها أقطار الإسلام، الكاثوليكية تملك ما لا يقلُّ عما تملكه دولة عظمى

(١) كان عضوًا بارزًا في الحزب الشيوعي الفرنسي، وبعد رحلة طويلة ومطالعات مستمرة، ودراسات للحضارات والأديان، شرح الله صدره للإسلام، حيث أعلن إسلامه في رمضان عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م بـ «جنيف».

QaradawiBooks.com

في أنحاء العالم، وتمول به جيشًا جرارًا من المبشرين والمبشرات، والرهبان والراهبات، وتعمل على تنصير المسلمين في العالم.

في إندونيسيا أكبر بلد إسلامي أكثر من خمسين مطارًا للإرساليات التبشيرية، وهم يخطِّطون لتنصير إندونيسيا في خمسين عامًا.

في إفريقيا، في نيجيريا رأينا من المسلمين من تركوا دينهم، وخاصَّة من الفقراء، واليتامى الَّذين لا يجدون راعيًا، في الصومال ثلاثون ألف طفل ممَّن شُرِّدوا، ومات آباؤهم وعائلوهم في الحروب والكوارث، تبنَّاهم مليونير بلجيكي كاثوليكي، هل تبنَّاهم لوجه الله تعالى؟ أم لينشئهم على عقيدته؟ هل منَّا من استجاب للنداء، وقال: أنا أتبنى هؤلاء؟ مسؤولية هؤلاء في عنق من؟ إثم هؤلاء في عنقنا نحن جميعًا!

وليست الجبهة الكاثوليكية هي الَّتي تعمل فقط، بل البروتستانتية تعمل أيضًا، ففي سنة ١٩٧٨م اجتمع مائة وخمسون مبشرًا أمريكيًّا في ولاية «كولورادو»، وبحثوا أحوال المسلمين في أربعين بحثًا قُدِّم لهذا المؤتمر، الَّذي يُطلق عليه البعض: «مؤتمر حكماء كولورادو» تشبيهًا «لمؤتمر حكماء صهيون»، وقرَّروا العمل على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك «ألف مليون دولار»، وهذا أمر ليس خفيًّا، بل هو منشور في كتب يقرؤها المسلمون، وتحدثت عنها المجلات والصحف.

ولا نلوم القوم على حماسهم لنشر دينهم، إنَّما نلوم أنفسنا لأننا تقاعسنا عن نشر ديننا، بل تقاعسنا عن الدفاع عن شخصيتنا، بل تقاعسنا حتَّى أصبح المسلمون يُغلبون من كلّ جانب، وتنتقص أطرافهم، وتُؤخذ أرضهم، وتنتهك حرماتهم، ويُنصَّر أبناؤهم.

QaradawiBooks.com

الجبهة الوثنية:

وهناك الجبهة الوثنية الَّتي تحاربنا أيضًا، ولعلكم سمعتم عن الآلاف الَّذين ذُبحوا في ولاية «آسام» الهندية، ماذا جنى هؤلاء؟ كلّ ذنبهم أنَّهم يقولون: «لا إلٰه إلَّا الله»، ولا يعبدون البقــر، ما ذنب هؤلاء حتَّى يقتلوا ويذبحوا ذبح النِّعاج؟ بل إنَّ الَّذين يذبحونهم لا يذبحون النعاج؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ أي ذي روح حرام قتله، ولا يجوز ذبحه.

إنَّهم يتركون الفئران تأكل القمح، ولا يستعملون المبيدات الحشرية؛ حتَّى لا يقتلوا ذا رُوح، كُنَّا ننزل الفنادق فلا نجد أي مادة يمكن أن نقتل بها البعوض؛ لأنَّ قتل البعوض لا يجــوز، وقتْلُ أي ذي روح لا يجوز، الدم الوحيد الَّذي يجوز سفكه هو دم المسلمين.

الدم الإسلامي أرخص دم في العالم:

لقد أصبح الدم الإسـلامي أرخص دم في العالم، المسلمون يُقتَّلون ويُذبَّحون في كلِّ مكان، ولا يبدو من يغيثهم، هذا ما حدث للمسلمين مع الأسف، فأين الألف مليون مسلم؟ المسلمون ألف مليون أو تزيد، مليار منتشرون في القارات الخمس فأين هم؟ لماذا لا يدافعون عن أنفسهم؟

لقد قال رجل ممَّن قرأ عن الإسلام وأُعجب بتعاليمه: «يا له من دين لو كان له رجال». فأين الألف مليون، أليسوا رجالًا؟ أين الَّذين يُنسبون إليه؟ ويحسـبون عليه؟ أين هم؟ إنَّنا نجدهم ما بين مشـغول بنفسـه، لا يهمه أمر غيره، و«**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[(١)].

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، وفي الأوســط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. والحديث وإن لم يبلغ درجة الصحة، لكن معناه صحيح.

QaradawiBooks.com

أين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]؟ أين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]؟

أين هؤلاء من قول رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه**»[1]؟ أي: لا يظلمه، ولا يتركه يُظلم ويُؤذَى، ويُهان، دون أن يقدِّم له شيئًا.

موقف المسلمون من هذه المأساة:

المسلمون ما بين مشغول بنفسه ومصلحته الشخصيَّة، وما بين تائه لا يعي حجم المأساة الَّتي يعيشها المسلمون، يشغل نفسه بتوافه الأمور، ويقيم معارك من أجل أمور سطحية في الدين، وقد ترك الصُّلب، وترك القضايا الكبرى المصيريَّة، وترك أمته تصطلي بنار الهزائم والنكسات والمصائب، وهو لا يفعل شيئًا.

وهناك من يعي حجم المأساة ولكنَّه يائس، ألقى السلاح وقال: لا فائدة من الكفاح، كُتب علينا الهوان. وهذا لا يتفق مع طبيعة الإيمان، فـ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وهناك أناس لم يكتفوا بالصمت والسكوت، ولكنَّهم ذهبوا يمزِّقون الصفوف، ويثبِّطون الهمم، ويذكون نار الفتن بالوقود؛ حتَّى تظلَّ مشتعلة، تأكل اليابس والأخضر.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

إمكانيات الأمة الروحية والمادية:

يا أيُّها الإخوة، إنَّ المسلمين قادرون على أنْ يحتفظوا بشخصيَّتهم، قادرون على أنْ يكون لهم مكانهم تحت الشمس، قادرون على أنْ يكونوا أُمَّة قوية كما أراد الله لهم، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وعندهم من الطاقات والإمكانات ما يغني.

عندهم الكثرة العددية، الألف مليون، والكثرة نعمة كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، هذه الكثرة تستطيع أنْ تفعل الكثير لو وَجدت من يوظِّفها، ومن يفجِّر ما فيها من إمكانات.

والمسلمون يملكون القوَّة المادِّيَّة، عندنا من الثروات المذخورة في باطن الأرض، ومن الثروات المنشورة على ظاهرها، عندنا من الرصيد النقدي، عندنا من موقعنا الجغرافي، عندنا من كلِّ ذلك الشيء الكثير.

ونملك ـ قبل ذلك كلّه ـ القوَّة الروحية؛ لأننا وحدنا نملك الرسالة الخالدة، رسالة مُحَمَّد ﷺ الَّتي بعثه الله بها؛ لينقذ العالم، ويكون رحمة للعالمين، عندنا رسالة الشمول والتوازن الَّتي لا يمكن أنْ يشفي الدُّنْيا من أدوائها غيرها.

كلُّ ما في الأمر أننا ـ نحن المسلمين ـ حجاب حاجز عنها، ينظر النَّاس إلى الإسلام من خلال المسلمين ويقولون: أين أثر الإسلام في هؤلاء؟

نحن نملك الوثيقة السماوية الوحيدة المنزَّلة من السماء إلى الأرض،

QaradawiBooks.com

الَّتي لم يعترها تحريف ولا تبديل، نملك القــرآن الكريم الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه.

نحن نملك تراثًــا حضاريًّا عريقًــا ممتدًّا إلى أربعة عشــر قرنًا من الزمان، نحن نملك من القوى والإمكانات ما هو جدير بأنْ يجعلنا في المقدمة وفي الطليعة، ولكننا لا نستغلُّ طاقاتنا، غافلون لاهون متفرِّقون متنافرون، فمتى نعود إلى ديننا، نستمسك بعراه، ونهتدي بسَناه، ونسير خلف رسول الله ﷺ، نقتدي بسُنته، ونسير بسيرته؟

الإسلام الذي نريده:

إنَّ الإسلام وحده هو سفينة الإنقاذ، هو حبل النجاة، لو وعيناه حقّ الوعي، وفهمناه حقَّ الفهم، كما أنزل الله على رسوله، وكما فهمه أصحابه وتابعوهم بإحسان.

نريد الإســلام الحقَّ، الإسلام شــاملًا بلا تجزئة، خالصًا بلا شركة، سالمًا من الشــوائب والزوائد والفضول الَّتي أُلحقت به على مرِّ العصور وليست من صُلبه، نريد العودة إلى هذا الإسلام، ويوم نعود إليه ثقوا أننا سنقود الدُّنْيا بزمام، وسيعود لنا شأننا من جديد.

إنَّ للإســلام لدولة وظهورًا، وإقبالًا قبل قيام الساعة، وإننا لننتظر هذا اليوم الَّذي تنطلق فيه أنوار الإســلام في كلِّ مــكان، وتخفُق فيه رايات هذا الدين في آفاق الدُّنْيا كلِّها، إنَّنا لننتظر هذا اليوم، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

يقول رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»(١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

وقد روي الحديث بألفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة في «الصحيحين» أو أحدهما أو كتب السُّنَّة الأخرى: عن المغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وجابر، وعمران بن الحصين، وعقبة بن عامر، وقرة بن إياس. انظر: الجامع الصغير وزيادته الأحاديث من (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إنَّ الجبهات المعادية للإسلام تصنع ما يمليه عليها حماسها لعقائدها ودينها، فماذا صنعنا نحن أمام هذه الجبهــات والتحديات؟ ماذا صنعنا ونحن نملك الكثير؟

المسلمون في العالم في حاجة إلى معونة:

كما قلت لكم: إنَّنــا قادرون على أن نرصــد لديننا كما رصد بعض هؤلاء لدينهم، إذا كان المبشِّــرون الأمريكان قد رصــدوا «ألف مليون دولار» لتنصير المســلمين في العالم، فلماذا لا نرصد نحن مثلها؟ لماذا لا نرصد «ألف مليــون دولار» لحماية المســلمين فــي العالم؟ لإنقاذ المستضعفين، لإيواء المشــرَّدين، لرعاية اليتامى وأبناء السبيل، لإطعام الجائعين، لهداية الحائرين، لتشغيل العاطلين، لتعليم الأميين.

المسلمون في العالم في حاجة لأي معونة، لقد طُفت كثيرًا من بلاد العالم الإســلامي، وزُرت كثيرًا من الجاليات والأقليات المسلمة خارج العالم الإسلامي، فوجدت هناك من يحتاج إلى اللقمة، هناك من يموت جوعًا ولا يجد ما يســدُّ جوعته، وهناك من يموت مــن البرد ولا يجد ما يســتر عورته، هناك مدارس زرتها تحتاج إلى الكراســة وإلى القلم فلا تجدهما، بينما الكنيسة تمدُّ المدارس الإرسالية والتبشيرية بالآلاف من الكتب والكراســات والأدوات، وتقول للمسلمين: ما عليكم إلَّا أنْ تحضروا مع هؤلاء ونحن نمدُّكم بكلِّ شيء، وجدت هذا أيُّها الإخوة.

QaradawiBooks.com

في بعض البلاد وصلت المجاعة بأهلها إلى أن كان الكلب والإنسان يتصارعان من شـدة الجوع، يريد كلٌّ منهما أنْ يصرع الآخر حتَّى يأكله، وصل الأمر في بعض بلاد الإسـلام إلى هذا الحد، فماذا صنعنا نحن؟ نحن الَّذين أفاء الله علينا من رزقه، ووسَّع علينا في العيش، وأفاض علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ماذا صنعنا؟

اليهود الَّذين عُرفوا في التاريخ بالبخل والشـحِّ، إذا نزلت بإسرائيل ضائقة، ذهب «بيجن» وأمثاله إلى يهود أمريكا، وعاد بمئات الملايين في أيَّام معدودات، فماذا صنعنا نحن المسلمون؟

حاجة الأمة إلى صندوق عالمي للإغاثة:

الفكرة الَّتي أطرحها عليكم وعلى المسلمين في العالم، وقد طرحتها من قبل فحملني المسـلمون أنْ أبلِّغها إلى كلِّ مكان أذهب إليه، وأولى هذه الأماكن هذا البلد الَّذي منّ الله عليـه بالكثير، والَّذي نرى فيه تيارًا إسلاميًّا قويًّا، واتجاهًا إلى الإسـلام في سائر النواحي، هذه الفكرة هي: أن نجمع «ألف مليون دولار»[1].

إنَّ فـي الكويت أموالًا لو دفعـت زكاتها لكان هنـاك «ألف مليون دولار» «أربعون ألف مليون دولار» زكاتها: «ألف مليون» ربع العشـر، ولو أنَّ المسـلمين في أنحاء العالم دفع كلّ واحد منهم «دولارًا» لأنقذ ذلك بقيَّة المسلمين.

(١) لتعرف كيف بدأت هذه الفكرة وما دورها؟ وقد دعوت المسـلمين أنْ يشـدوا من أزر الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ـ التي تسعى جاهدة لتحقيق هذه الفكرة ـ ويقفوا بجانبها في عدد من كتبي. انظر: قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث صـ١٣٥ ـ ١٤٧، نشر دار الضياء، ط ١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ولقاءات ومحاورات صـ١٥٦، ١٥٧، نشر مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

كان اليهود يقولون في الأربعينيات: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا، ونحن نريد أن نرفع شعارًا يقول: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا، ولكن من ينادي المسلمين؟ ليس عندنا خليفة يقول للناس: ابذلوا فيبذلون، وليس عندنا بابا، وليس عندنا شيخ إسلام، ليس عندنا من يقول للنّاس ذلك، إلّا أهل العلم، وأهل الغيرة على الإسلام، وهؤلاء يجب أنْ يجتمعوا ويجب أن يفعلوا، وفي استطاعتهم ذلك لو أرادوا.

إنَّ تشاكي الهموم لا ينفع، المسلمون يستشعرون ما هم فيه من مآسٍ ومن آلام، وكلَّما جلس بعضهم إلى بعض تشاكوا الهمَّ، ولكن إلى متى نتشاكى، ولا نفعل شيئًا، ولا نقدِّم خُطوة إلى الأمام؟ لا بدَّ أن نفعل، لا بدَّ أن نبدأ.

لقد ذكرت هذه الفكرة في الجلسة الختامية لمؤتمر المصرف الإسلامي المنعقد في الكويت أوّل أمس، فجاء إليَّ أحد الخيرين من أهل الكويت وقال: سجِّل اسمي بمليون دولار لهذا المشروع[1]، وأعتقد أنَّ من أمثاله يوجد الكثيرون في هذا البلد من رجال ومن نساء.

إنَّنا في حاجة إلى صندوق عالمي للإغاثة الإسلاميَّة، إنَّنا في حاجة إلى مال نحافظ به على شخصية المسلمين، ونحن قادرون على هذا لو صدق منَّا العزم، فإذا صدق العزم وضح السبيل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، ولا بدَّ من أن نغيِّر ما بأنفسنا بالعمل بدل القول، وبالإيجابية بدل السلبية.

---

(١) هو الأخ الفاضل: الشيخ عبد الله علي المطوع، التاجر المعروف، ورئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، وقد أوصى بعدم ذكر اسمه، ولكنَّه عُرف بعد.

QaradawiBooks.com

يا أيُّهـا الإخوة المسـلمون، آن لنـا أن نخـرج من إطـار الهزائم والنكسات، وأن نرجع إلى أيَّام الانتصارات، آن لنا أن نعود أُمَّة كما كنَّا، لو أنَّنا وضعنا أيدينا بعضنا في يد بعض.

إنَّنا قوَّة كبيـرة، ولكنَّها متفرِّقـة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]، المـرء قليل بنفسـه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

تبنوا هذه الدعوة، الدعـوة إلى صندوق للأُمَّة الإسـلاميَّة، ننقذ به ضحايا الفقر والفاقة والحرمـان والضياع، نحافظ به على المسـلمين، نعلِّمهم، نرعاهم، ندافع به عن ديننا أمام الهجمات الشرسـة من الشرق والغرب؛ حتَّى لا نكون مخذولين إذا وقفنا أمام الله تعالى وقال لنا: ماذا فعلتم لدينكم؟ ماذا فعلتـم لأمَّتكم؟ ماذا فعلتـم لإخوانكم؟ فحضِّروا للسؤال جوابًا.

أسأل الله تعالى أنْ يشرح صدورنا للعمل بدينه، وأنْ يهيئ من أمرنا رشدًا.

اللهـمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِـنا، واجعل غدنا خيـرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأَجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسـنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ لا تدع لنا ذنبًا إلَّا غفرته، ولا عيبًا إلَّا سـترته، ولا مريضًا إلَّا شـفيته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلَّا قضيتها ويسـرتها يا ربِّ العالمين.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وحَبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

وصلِّ على عبدك ورسولك مُحمَّد وعلى آله وصحبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٠

توحيد العرب تحت راية الإسلام

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

استبشرنا واستبشر المسلمون في أنحاء الأرض، باجتماع قادة العرب في قمَّة تعمل على أنْ تُصلِح ذات بينهم، وأنْ توحِّد كلمتهم، وتجمع شتاتهم، فليس هناك أنفع للمسلمين من الوحدة، وليس هناك أشدُّ ضررًا عليهم من الفُرقة.

العرب عصبة الإسلام:

والعرب هم ذؤابة المسلمين، وهم عُصبة الإسلام، وأرضهم هي حرم الإسلام، ففيها المساجد الثلاثة الَّتي لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إليها[1]، ولغتهم لغة العبادة الإسلاميَّة، ولغة الثقافة الإسلاميَّة، ولغة القرآن والسُّنَّة.

لهذا فإنَّ اجتماع كلمة العرب، واقتراب بعضهم من بعض يسرُّ المسلمين، ولا يعزُّ العرب إلَّا بالإسلام، ولن يذلَّ العرب إلَّا بالبُعد عن الإسلام.

---

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه: «لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام يدعو إلى الوحدة:

اتحاد الكلمة واجتماع الصفِّ أمر جاء به الإسلام، وأمر به، ورغَّب فيه، وجعله من القواعد الأساسيَّة الَّتي لا تقوم الأُمَّة إلَّا عليها، فللإسلام مهمتان في هذا الوجود: بناء الفرد المسلم على أقوى الدعائم الإيمانية والفكرية والأخلاقية والسلوكية، وبناء الأُمَّة المسلمة على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

الأُمَّة الَّتي يريدها الإسلام أُمَّة واحدة، لا تعرف الفُرقة، ولا تعرف العداوة ولا البغضاء بين بعضها البعض، والعرب أولى النَّاس بأنْ يمثِّلوا الإسلام، ووحدتهم فيما بين بعضهم وبعض، هي السبيل إلى وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة الكبرى، ووجود وحدة جزئية لا ينافي قيام وحدة كلية، إذا لم يكن هناك دعوة إلى الاغلاق أو الانعزال.

لهذا يفرح المسلمون إذا اجتمع العرب، وصفُّوا ما بينهم من خلافات، ووقفوا صفًّا واحدًا ليواجهوا المشكلات، ويواجهوا الكوارث الَّتي يحاول أعداء الأُمَّة أنْ يصبُّوها عليهم من كلِّ جانب، عن يمين وعن شمال.

عصر التكتلات:

نحن في عصر لا يعرف إلَّا التكتل، فلو تكلمنا بمنطق العصر، أو بمنطق المصلحة، أو بمنطق الدين، فكلُّ هذا يفرض على المسؤولين في هذه الأُمَّة، وعلى كلّ ذي رأي ووعي، أنْ يسعى إلى الوحدة، وأنْ تبتعد هذه الأُمَّة عن الفُرقة.

الوحدة فريضة دينية:

منطق الدين يجعل هذه الأُمَّة أُمَّة واحدة، وحَّد الإسلام عقيدتها، ووحَّد الإسلام شريعتها، ووحَّد الإسلام قبلتها، ووحَّد الإسلام أسوتها،

QaradawiBooks.com

ووحَّد الإسـلام مفاهيمها، ووحَّد الإسـلام مشـاعرها، ووحَّد الإسلام تقاليدها، فهي أُمَّة واحدة في كلِّ هذه النواحي.

أُمَّة واحـدة تجتمع على عقيـدة «لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رسـول الله»، تجتمع على شريعة الإسلام، على أحكام واحدة في شؤون دينها ودنياها، تجتمع على قِبلة واحدة، تصلي دوائر دوائر حول الكعبة، تصغر وتضيق، ثمَّ تتسع حتَّى تشمل الكرة الأرضية جميعها.

قِبلة واحدة، زعامة واحدة، وأسوة واحدة، هي زعامة رسول الله ﷺ، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

مفاهيم واحدة، أفكار واحدة، المفاهيم الأساسـيَّة عند المسـلمين مستقاة من القرآن والسُّنة، فقد وحَّد الإسلام طريقة تفكيرهم ومنهجهم، كيف يفكِّرون، وكيف يرفضون الظـن، واتباع الهوى، والتقليد الأعمى، وكيف لا يقومون إلَّا على اليقين، ولا يقبلون شيئًا إلَّا ببرهان ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]. فهذه هي العقليَّة الإسـلاميَّة الَّتي كوَّنها القرآن عند كلّ مسلم.

حتى عواطفهم: الحبّ والبُغـض، فهم يحبون في الله، ويبغضون في الله، يحبُّون الحقَّ ويكرهون الباطل، يحبُّون الخير ويكرهون الشرَّ، يحبُّون الصالح ويكرهون الفاسق، يحبُّون الله ويكرهون الطاغوت.

في التقاليد، حتَّى في الأكل والشُّرب، واللبس، والركوب، والمشي، والجلوس، والنوم واليقظة، والسفر والحضر، تجد المسلمين متحدين، أو متقاربين جدًّا في تقاليدهم؛ فالمسلم إذا أكل يأكل بيده اليمنى، ويبدأ

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ببسم الله، وإذا فرغ قال: الحمد لله، وإذا لقي أخاه قال: السلام عليكم، فيرد: وعليكم السلام، وإذا عطس قال: الحمد لله، فقال له أخوه: يرحمك الله، تقاليد واحدة تجعل المسلمين متفاهمين في كلِّ شيء.

كيد الأعداء لتفريق الأمة:

المسلمون أُمَّة واحدة في حياتهم كلِّها، ولكن الخطر يأتي من الدسائس الَّتي تريد أنْ تفرِّق جماعتهم، وقد بدأ هذا منذ عهد رسول الله ﷺ، حينما جمع الله الأوس والخزرج على الإسلام، وعلى رسول الله ﷺ، وألّف بين قلوبهم، وأزال منها البغضاء والشحناء الَّتي كانت بينهم في الجاهلية.

مرَّ بهم أحد اليهود الخبثاء اسمه: «شاس بن قيس» فغاظه أنْ يرى هؤلاء الَّذين طالما تحاربوا، وطالما سُفكت منهم الدماء، وطالما قامت بينهم المعارك، أنْ يراهم مجتمعين على عقيدة واحدة، فجلس بينهم بخبث ودهاء، يذكِّرهم بأيام الجاهلية، وينشد بعض الأشعار الَّتي قالها الأوس يوم انتصارهم، فيرد عليهم الخزرج: بأننا انتصرنا يوم كذا، وقال شاعرنا كذا، وما زال يذكِّي هذه النار، وما زال يطعمها بالوقود حتَّى تأججت، ونادى الرجال من الأوس: يا للسلاح، والرجال من الخزرج: يا للسلاح، يا للأوس، يا للخزرج.

وسمع النَّبي ﷺ بذلك، فأقبل عليهم يقول لهم: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**»[١]. وتلا عليهم الآيات، فندموا واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح.

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٥٦/٦). وانظر: تفسير ابن كثير (٩٠/٢)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

التداعـي بالقبيلـة، الأوس، الخـزرج، انتهى هذا، اسـمكم الآن: الأنصار، لا أوسـية، ولا خزرجية الآن؛ بل هناك الإسـلام الَّذي جمع بينكم، وذكّرهم بالله وتلا عليهـم القرآن، فبكوا وذرفت أعينهم الدموع، وعانق الرجال من هؤلاء الرجال من هؤلاء، وعرفوا أنَّها نزغة شـيطان، كان الشيطان هو ذلك اليهودي الماكر.

وأنزل الله آيات تتلى من سـورة آل عمـران: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠] ـ أي: بعد وحدتكم متفرقين، سـمى الله الوحدة إيمانًا والتفرق كفرًا ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ثـمَّ دلَّهم على طريق الوحدة، وهي تقوى الله تعالى، والاعتصام بحبله، بكتابـه، بدينه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

لا بدَّ من أن يكون هناك شـيء يجتمع عليه النّاس، هذا الشيء هو حبل الله المتيـن، هو الذكر الحكيم، هو الصراط المسـتقيم، هو القرآن الكريم، هو الَّذي يجمع المتفرقين، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ ولكن اتبعوا هذا الصراط المستقيم، فهناك سُبل على رأس كلِّ سـبيل منها شـيطان يدعو إليه، فإذا اتبعتم هذه المناهج وهذه السُّبل، وهذه الدعوات المسـتوردة من هنا وهناك، ستتفرق بكم الطرق والمناهج، هذا إلى اليمين وهذا إلى اليسـار، وهذا يوالي الشرق وهذا يوالي الغرب.

QaradawiBooks.com

ولا بدَّ من حبل تعتصمون به، ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم أرشدهم إلى أمرٍ من شـأنه أنْ يجمع كلمتهم، هو أنْ يكون لهم رسـالة، أنْ يكونوا أصحاب دعوة، أنْ يكون هنـاك مبرر لوجودهم بين النّاس، فما هي مهمتهم؟

إنَّها الدعوة إلـى الله، إلى الخير، إنَّها الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنَّها رسـالة الهدايـة للعالم، إنهم إذا انشـغلوا بذلك اجتمعت كلمتهم، ولذلـك قـال: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمـران: ١٠٤]، وقال بعد آيات: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثم حذَّرهـم، حذَّرهم من الفُرقة والاختـلاف، وأنْ يقع بهم ما وقع بالَّذين مـن قبلهم من أهـل الكتاب، فقـال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۞ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦].

وضَّح الله لهم الطريق، ولكنَّهم تركـوا الطريق الواضح، وذهبوا إلى بُنيَّات، وإلى طرق ملتوية هنا وهناك، فتفرَّقت كلمتهم، لا تكونوا كهؤلاء: «**لا تختلفوا؛ فإنْ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١).

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

هذا ما حـذَّر منه القرآن: الخـلاف والفُرقـة، وخصوصًا في أوقات الشـدائد، في أوقات المعارك؛ فالله تعالى يقـول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]، ويقـول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ﴾ مـن أعدائكم فـي معركة ﴿فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۞ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ونحن الآن في معركة مع عدو يريـد أنْ يمزِّق صفوفنا، وأنْ يضرب بعضنا ببعض، وأنْ ينفـرد بكلٍّ منَّا على حِدة، هـذا العدو هو اليهودي الصهيوني الصليبي الشـيوعي، أعداء من كلّ ناحية، يفترقون فيما بينهم ويجتمعون علينا، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]. فلا بدَّ من أن نعرف هذا، وأن نوحِّد صفوفنا.

إذا لم يجتمع النَّاس عند المعركة، فمتى يجتمعون؟! وإذا لم يتحدوا عند الشدَّة، فمتى يتحدون؟!

المصائب يجمعن المصابين، والشدائد تجمع المتفرِّقين، والمعارك تؤلف بين المتخاصمين، فآن لنا أن نفهم هذا.

منطق الدين يفرض علينا ـ نحن العرب والمسلمين ـ أن نتحد، أن نجتمع.

الوحدة ضرورة دنيوية تقتضيها المصلحة والعقل:

منطـق المصلحة، منطـق العقل، يقـول: إنَّنا لا يُمكـن أن ننتصر، ولا يمكن أن نحقق ذاتنا، ونثبِت وجودنا، ونتبوأ مكاننا تحت الشـمس إلَّا بأن نتحد.

QaradawiBooks.com

لا ننتصر في الحرب، ولا نتقدم في السِّلم إلَّا بالاتحاد، لا نستطيع أن ننتصر على عدونــا ونحن متفرقون، ولا يمكــن أن نبني تكنولوجيا متطورة، أو تقدمًا علميًّا معاصرًا، إلَّا بالاتحاد، بالاجتماع، بالتكتل، فإنَّ الشعوب الصغيرة لا مكان لها.

إذا تكلمنا بمنطق العقل والمصلحة، فالعقل والمصلحة يفرضان علينا أن نتَّحد، وإذا تكلمنا بمنطق العصر الَّذي نعيش فيه، فهو عصر لا يتكلم إلَّا بلغة التكتل.

الآن بعض الدول المتقدمة أصبحت تــرى أنَّه لا مكان لها وحدها، الدول الأوربيَّة الصناعيَّة الكبيرة، اتحدت في سوق أوربيَّة مشتركة، اتحاد اقتصادي أوشك أنْ يكون اتحادًا سياسيًّا.

هؤلاء الَّذين طالما تحاربــوا فيما بينهم من قبــل، ولكنَّهم وجدوا المصلحة، ووجــدوا منطق العصر يحتِّــم عليهم أنْ يتَّحــدوا اقتصاديًّا، ويتَّحدوا سياسيًّا.

ما بالنا نحن يريد كلٌّ منَّا العيش في حدوده الإقليمية الضيقة، كلٌّ منَّا يريد كما قال الشاعر قديمًا:

وتفرقــوا شــيعًا فــكل قبيلــة فيهــا أميــر المؤمنيــن ومنبر[(١)]

ضاعت الأندلس بسبب التفرق:

الذي ضيَّع المسلمين في الأندلس، وأخرجهم من تلك البلاد ـ بعد أنْ أقاموا فيها حضارة عظيمة، وظلُّوا فيها ثمانية قرون، زرعوا فيها الخير

(١) من شعر الْمسَاوِر بن هِنْد بن زُهَيْر، انظر: شرح ديوان الحماسة (١/١٧٥، ١٧٦)، نشر دار القلم، بيروت.

QaradawiBooks.com

والعلم والإيمان والأخلاق ـ هو تفرقهم بسبب ملوك الطوائف، أن كلَّ طائفة أصبح لها ملك، وأصبح بعض هؤلاء يحارب بعضًا، بل بعض هؤلاء كان يستعين على خصمه بالنصارى، بالصليبيين المتربصين، وكانوا يستجيبون لهم، إنَّها فرصة أنْ يحالفوا بعضهم على بعض، ويضربوا بعضهم ببعض، ثمَّ ينقضُّوا عليهم جميعًا، وقد فعلوا.

وبعد أنْ فرحوا بهذه الألقاب الَّتي جعلت منهم شيئًا مذكورًا، كما قال شاعرهم في ذلك الوقت:

مما يزهدني في أرض أندلس ... ألقاب معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهرِّ يحكي انتفاخًا صورة الأسد[1]!

ضاعت الأندلس بسبب التفرق.

العالم يتقارب رغم ما بينه من اختلاف:

جرَّبنا في تاريخنا الكثير، وجرَّبْنا في حياتنا المعاصرة الكثير، لا بدَّ أن نتكتل، رأينا العالم يتقارب، ورأينا المتباعدين يقتربون، والمختلفين يتفقون، المختلفين دينيًّا، والمختلفين فكريًّا، وأيديولوجيًّا، والمختلفين سياسيًّا.

النصارى اقترب بعضهم من بعض رغم اختلاف مذاهبهم، فكلُّ مذهبٍ كأنَّه دين مستقل.

اليهود والنصارى حاولوا أنْ يتقاربوا، وأصدر «الفاتيكان» منذ سنين قليلة، وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح، بعد أنْ ظلُّوا عشرين قرنًا يُحمِّلونهم وزر ما اعتقدوا أنَّه صلب المسيح.

(١) من شعر ابن رشيق القيرواني، كما في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، للشنتريني (١٧٢/٧)، تحقيق إحسان عباس، نشر الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس.

QaradawiBooks.com

العمالقة ممَّن يعتنقون الرأسمالية والشيوعية تقاربوا، تقاربت أمريكا مع روسيا، وتقارب الفريقان مع الصين.

العالم يتقارب، ونحن العرب والمسلمين وحدنا الَّذين نتباعد؟! هل هذا منطق؟ هل هذا عقل؟ هل هذا يجيزه الدين؟ أو تجيزه المصلحة؟ أو يجيزه أي منطق كان؟

إنَّ كلَّ منطق يفرض على هذه الأُمَّة أن تتوحَّد، أنْ تنسى ما بينها.

إنَّ الَّذي يجري بين المسلمين شيء عجيب، إنَّها الدسائس والمؤامرات، إنَّه الكيد، المكر الكبير، المكر الَّذي يمزِّق هذه الأُمَّة من داخلها.

في كلِّ بلد توجد خلافات، إذا كان هناك مسلمون وغير مسلمين، وجدت مسألة الأقليات الدينيَّة، وإن كان هناك مسلمون من عروق مختلفة ظهرت قضية الأقليات العرقية، وإذا كان هناك مسلمون من مذهب ومسلمون من مذهب آخر وجدت الخلافات المذهبية، إذا كانت هناك خلافات سياسية وأيديولوجية وجد الخلاف أو الصراع السياسي والأيديولوجي، وغذَّى هذا وذاك، لا بدَّ من أن يوجد نوع من التفريق والتمزيق بين هذه الأُمَّة!

ونحن للأسف نصاع ونستجيب لهؤلاء، ولا ندري ما يكاد لنا، وما يدبَّر لنا بليل.

إنَّ على هذه الأُمَّة أن تتفق، نحن العرب حوالي مائتي مليون، والمسلمون حوالي ألف مليون، ونحن نرى تكتلات في العالم، الصين ألف ومائة مليون، الكتل الكبيرة موجودة، فلماذا يراد بنا نحن أن نظلَّ ممزقين؟

QaradawiBooks.com

إنَّ علينا ـ نحن المسلمين عامَّة، ونحن العرب خاصَّة ـ أن نستجيب لأمر الله، وأن نستجيب لداعي الحقِّ، وداعي الخير ونتحد.

غير مرخصة للطباعة

الإسلام لا العلمانية هو الذي يوحد العرب:

العرب يجمعهم الدين، وتجمعهم اللغة، ويجمعهم التاريخ، ويجمعهم المصير المشترك، وتجمعهم الآمال والآلام، يجمعهم هذا كلُّه، ولكن أهمَّ ما يجمعهم، الشيء الَّذي يجمع الجميع: هو أنْ يتذكروا الله تعالى، أنْ يتقوا الله حقّ تُقاته، ألا يموتوا إلَّا وهم مسلمون، ولن يموتوا على ذلك إلَّا إذا عاشوا مسلمين، أنْ يعيشوا بالإسلام وللإسلام وليموتوا عليه؛ فالإنسان إنَّما يموت على ما عاش عليه.

أمَّا الَّذين أبعدوا الإسلام عن الساحة، وقالوا: اتركوا الإسلام حتَّى يتحد الجميع، لنتجه اتجاهًا علمانيًّا لا دينيًّا، حتَّى لا توجد طوائف مختلفة، فهؤلاء والله ضدَّ كلِّ منطق.

العلمانية كيف يمكن أنْ تجمع هذه الأُمَّة؟ وقد رأينا بلادًا علمانية كالهند، ومع هذا تتقاتل الطوائف بعضها مع بعض، لبنان بلد عريق في العلمانية، ومع هذا رأينا الاقتتال الَّذي لم يُر له مثيل في التاريخ، وآخر ما رأيناه من ذلك: قتل ذلك العالم الفاضل الشيخ «حسن خالد» مفتي جمهورية لبنان.

العلمانية لا تحلُّ العُقدة ولا المشكلة، بل الَّذي يحلُّ عُقدة هذه الأُمَّة: أنْ تعرف الله حقَّ معرفته، وتتقي الله حقَّ تُقاته، وترجع إلى الإسلام.

ما عرفنا في التاريخ أنَّ هذه الأُمَّة انتصرت إلَّا بالعودة إلى الإسلام، الإسلام الصحيح، الإسلام الأوَّل، الإسلام قبل أنْ تدخله الشوائب والبدع والانحرافات.

QaradawiBooks.com

الإســلام يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، ويقوّي ولا يضعِّف، هذا هو الإسلام الَّذي ندعو إليه: إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الإسلام الَّذي انتصرت به هذه الأُمَّة، وفتحت العالم، وورثت ممالك كسرى وقيصر، وأقامت دولة العدل والإحسان، وحضارة العلـم والإيمان، هذا الإســلام وحــده هو الَّــذي يجمعنا ولا يفرقنا.

يجب أنْ يعود الجميع إلى هذا الدين، المسلم وغير المسلم، ما يضرُّ غير المسلم أنْ يتقي المســلمُ ربَّه، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلُّ الحلال ويحرِّم الحرام.

هل يضرُّ غير المسلم أنْ يلتزم المسلمُ بدينه؟ لا والله، بل هذا ينفعه ولا يضرُّه، بل هذا هو الضمان له؛ لأنَّ الإسلام يبقي على عقيدته وعلى عبادته وعلى مشاعره، ولا يرضى بالاعتداء عليه في دم أو عرض أو مال.

هذا هو الإسلام، ونحن نرحِّب بأنْ يكون هؤلاء متمسكين بدينهم، بل أنْ يكونوا ملاحدة، أو منحلين يعيشون في الأرض فسادًا.

نحن نحبُّ النَّاس أنْ يتدينوا بدين كتابي ســماوي الأصل، بدلًا من أنْ يعيشوا سائبين لا دين لهم.

إنَّ الإسلام هو الضمان الوحيد لوحدة هذه الأُمَّة، هو الضمان الَّذي يبقي عليها فلا تفترق ولا تتشتت ولا تتشرذم، ولا يعادي بعضها بعضًا، ويقتـل بعضهـا بعضًـا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

QaradawiBooks.com

نسأل الله تعالى أنْ يجمع كلمة هذه الأُمَّة على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على الحبِّ، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال إخوتنا في الأرض المحتلة يقاومون ويقاتلون ذلك العدوَّ الماكر الغادر الشرس، الَّذي لا يريد أنْ يعترف بالحقِّ لأهله، وهيهات أنْ يعترف هؤلاء بالحقِّ، إلَّا إذا أجبرناهم بالقوَّة.

لا بدَّ من الجهاد، الجهاد هو الطريق الوحيد لإجبار هؤلاء على أنْ يعترفوا لأصحاب الحق بحقهم، والذين يريدون أنْ تسلم الانتفاضة وأنْ تستسلم، وأنْ تُلقي السلاح، هؤلاء واهمون ومخدوعون.

لا بدَّ أنْ تستمر الانتفاضة، وأنْ تُدعم، أنْ تظلَّ ثورة المساجد حتَّى يعترف هؤلاء مرغمين، وإن شاء الله النصر للمؤمنين.

التضحيات كبيرة، والدماء تسيل، والشهداء يتساقطون، والمعتقلون يتزايدون، ولكن الله من ورائهم محيط، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

هذه ملاحظة.

وملاحظة ثانية ـ يا أيُّها الإخوة ـ أحبِّ أنْ أذكِّر بها: لا زلت أذكِّر الإخوة بمعركة أخرى نخوضها ضد القوى الَّتي تريد أن تقتلع المسلمين، وأنْ تهدم وجودهم العقائدي والمعنوي، وهي الَّتي أقمنا من أجلها «الهيئة الخيرية الإسلاميَّة العالمية».

نحاول أن نجمع مبلغًا كبيرًا من المال، من كلِّ من تجود نفسه بالخير؛ حتَّى يمكننا أن نقاوم هذه القوى الجبارة المدعومة، الَّتي تجمع آلاف الملايين.

QaradawiBooks.com

أقمنا الهيئة لما جُمع «ألف مليون دولار» لتنصير المسلمين، ولكنَّا علمنا أنَّ هذا ليس نهاية المطاف، إنَّهم يجمعون آلاف الملايين باستمرار؛ لينشروا دينهم، هؤلاء ينشرون الباطل، أفلسنا أولى بنشر الحقِّ؟ أفلسنا أولى ـ على الأقلِّ ـ بالدفاع عن الحقِّ؟ بحماية وجودنا، بالحفاظ على هويتنا وشخصيتنا؟

لهذا كان لا بدَّ لنا من أن نبذل، الحساب مفتوح للصدقة الجارية، حساب الألف دولار، نريد ألف شخص، كلّ واحد منهم يدفع ألف دولار، فنكوِّن مليونًا، ونحن نريد «ألف مليون»، والقليل على القليل كثير.

وهناك بعض الإخوة من الموظفين الَّذين طلبوا الاستقطاع من راتبهم كلَّ شهر؛ لتستمر له هذه الصدقة، وهذا أيضًا ميسور لمن أراده إن شاء الله.

إنَّ باب الجنَّة مفتوح، وإنَّ الباب إلى رضوان الله تعالى مفتوح على مصراعيه لمن أراد الخير ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

أسأل الله تعالى أنْ يوفِّقنا للردِّ عن أنفسنا، والدفاع عن وجودنا، والحفاظ على ديننا.

اللهمَّ اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى.

اللهمَّ أصلِحْ ذات بيننا.

اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقلَّ من ذلك.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ ألِّف بين قلوب العرب والمسلمين، اللهمَّ اجمع كلمتهم على الإسلام والإيمان، اللهمَّ اجمع كلمتهم على القرآن والسُّنَّة.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك فنهلِك ونضيع.

اللهمَّ كنْ لنا ولا تكنْ علينا، وأعنَّا ولا تُعِن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، اللهمَّ آمين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١١
ذكرى مولد الرسول ﷺ

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كلَّما أهلَّ علينا شهر ربيع الأوَّل تذكَّر النَّاس مولد أعظم شخصيَّة في الوجود، وهي شخصيَّة مُحَمَّد ﷺ، الَّذي اصطفاه الله تعالى من خلقه، وصنعه على عينه، وأرسله رحمة للعالمين.

حقيقة الاحتفال بمولد النبي ﷺ.

وللنَّاس في هذا الشهر أحوال في الاحتفاء أو الاحتفال بمولد مُحَمَّد ﷺ، واحتفاؤنا واحتفالنا واهتمامنا بمولده ﷺ ليس كما يصنع الجهال والغافلون من النَّاس.

ليس بأن نقيم الزينات، أو نرفع الرايات، أو نوزِّع الحلوى، إنَّما احتفالنا به أن نتذكَّر هذا الرسول العظيم، أن نعيش في ذكراه، أي نعيش في ذكرى سيرته، أو ذكرى رسالته ﷺ.

إنَّ هذا الرسول العظيم قد ترك لنا سيرة طاهرة عاطرة، وترك لنا رسالة عامَّة خالدة، صالحة مصلحة لكلِّ زمان ومكان، والاحتفاء

QaradawiBooks.com

والاحتفال به، أن نتذكَّر هذه السيرة وتلك الرسالة، رسالة مُحَمَّد ﷺ وسيرته، هي موضع أحاديثنا في هذه المدة من الزمن.

إنَّ السيرة النبويَّة هي من أنصع الأدلة على أنَّ محمدًا ﷺ مرسل من ربِّه، لا يمثِّل نفسه، وإنَّما يمثِّل الإرادة العليا، إرادة الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

من قرأ هذه السيرة، عرف بصدق ويقين أنَّ صاحبها لا يمكن أنْ يكون دعيًّا، لا يمكن أنْ يكون دجّالًا، كما لا يمكن أنْ يكون ملِكًا أو طالب مُلك، لا يمكن أنْ يكون رجلَ دنيا.

صاحب هذه السيرة صادقٌ كلُّ الصدق، يتمثل الصدق في هذه السيرة في كلِّ جنباتها، ومن هنا كان علينا أن نقف وقفات في جوانب العظمة والخلود، والطهارة والإشراق في هذه السيرة النبويَّة المحمدية.

السيرة النبويَّة محفوظة:

ومن حسن حظنا نحن المسلمين أنَّ هذه السيرة محفوظة، مروية، مسجلَّة، مخلَّدة.

سِيَر الأنبياء معظمها ضاعت، وما بقي منها لا يكوّن حلقات متصلة، وليس لها إسناد يصلنا بهم، ولكن سيرة مُحَمَّد ﷺ بقيت محفوظة.

محفوظة في كتاب الله تعالى، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلفِه، محفوظة في أحاديث رسول الله ﷺ، وفي سُننه الَّتي رواها الثقات في كتب الحديث الجامعة في «الصحيحين»، في الكتب الستة، في الجوامع والمصنفات والمسانيد.

QaradawiBooks.com

محفوظة في كتب السيرة الَّتي عُنيت بهذا الأمر خاصَّة، ككتب ابن إسحاق، وابن هشام، وابن كثير، وغيرهم.

محفوظة في كتب الشمائل، الَّتي عُنيت بأخلاقه، وشمائله، وهَدْيه ﷺ.

محفوظة في كتب الدلائل، ودلائل النبوة والآيات والمعجزات الحسيَّة والمعنويَّة المتكاثرة والوفيرة، الَّتي أظهرها الله على يديه ﷺ.

محفوظة في كتب التاريخ العام، الَّتي خصصت جزءًا كبيرًا لحياته ﷺ، كلّ هذا موجود عندنا نحن المسلمين.

والسيرة محفوظة من ألِفها إلى يائها، من المولد إلى الوفاة، هذا مذكور في كتب وفي سجلات السيرة عندنا.

في السيرة: كيف وُلد؟ ومتى وُلد؟ ومن أرضعه؟ ومن احتضنه؟ وكيف نشأ؟ وماذا عمل في صباه؟ وماذا عمل في شبابه؟ وماذا صنع في كهولته قبل البعثة وبعد البعثة، قبل الهجرة وبعد الهجرة؟ كلُّ هذا تحكيه لنا سيرة مُحَمَّد ﷺ.

حلَقات متصلة مروية بأسانيدها الصحاح، لا يوجد هذا لأيِّ نبي من الأنبياء، ولا لأيِّ عظيم من العظماء؛ لأنَّ الأنبياء الَّذين بعثهم الله بعثهم لمراحل موقوتة، لزمن محدود معلوم، ولأقاليم معينة، وأقوام مخصوصين.

أمَّا مُحَمَّد ﷺ فكانت رسالته عامَّة، خالدة خاتمة، «امتدت طولًا حتَّى

QaradawiBooks.com

شـــملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدُّنْيا والآخرة»[١].

لهذا تكفَّل الله بحفظ سيرته وسُـــنَّته ﷺ في مجموعهما، باعتبارهما البيان النظري، والشـــرح العملي للكتاب الكريم، وحِفظ المبيَّن يقتضي حِفظ البيان، كما قال الإمام الشاطبي رضي الله عنه[٢].

الله تكفَّل بحفظ كتابه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والسُّنَّة والسيرة هما الشـــرح النظري، والتطبيق العملي لكتاب الله، لهذا حفظهما الله تعالى.

ليس في سيرة النبي ﷺ دائرة حمراء:

عندنا نحن المسلمين سيرة رسولنا ﷺ، تحكي لنا كلَّ أحواله: أقواله، وأعماله، وتقريراته، وأوصافه الخِلْقيَّة، وصفاته الخُلُقيَّة، وسيرته كلّها.

ليس هناك دائرة حمراء في هذه الســـيرة، يقال هذه لا تُروى، أو هذا شـــيء خاصٌّ لا يُذكَر للنّاس، لا، حياته كلُّها ﷺ مِلـــك للنَّاس، أكلُه إذا أكل، شُربه إذا شرب، لبسُه إذا لبس، ركوبه الدابة إذا ركب، نومه إذا نام، استيقاظه إذا استيقظ، خروجه من بيته، كلُّ هذا، حتَّى صلته بأهله، حتَّى الصلة الجنسية تُروى للنَّاس؛ لأنَّ فيها تشريعًا، ولأنَّ فيها اقتداء.

---

(١) مقال من وحي حراء للإمام حســـن البنا في جريدة الإخوان المسلمون اليومية صـ١، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلســـلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) راجع: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (٣/٤)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت. وهو كتاب لا نظير له في بابه.

QaradawiBooks.com

رَوت لنا السيرة كلَّ حياته ﷺ، في علاقته بربه، في علاقته بنفسه، في علاقته بزوجاته، في علاقته بأولاده، في علاقته بأحفاده، في علاقته بالنَّاس، في علاقته بالأعداء، في سِلمه إذا سالم، في حربه إذا حارب، في صُلحه إذا صالح، كلُّ هذا مروي في سيرة رسول الله ﷺ، حتَّى حياته الخاصَّة، ترويها تسع نسوة[1]، لو نسيتَ واحدة ذكَّرتها الأخرى؛ ليكون كلُّ شيء أمامنا واضحًا جليًا ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ضرورة دراسة السيرة المحمدية:

ما أحوجنا ـ نحن المسلمين ـ إلى أن نتدبر سيرة رسولنا ﷺ، أن نعيش مع هذه السيرة، أن نستجلي جوانب العظمة المحمدية، العظمة الَّتي أشار إليها ربّ العزَّة في كتابه.

أشار إلى جانب من جوانبها، وهو الجانب الخُلقي حينما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، الله زكَّى نبيه هذه التزكية، وليس بعدها تزكية.

ما أحوجنا إلى أن ندرس هذه السيرة دراسة المتأمِّل البصير؛ لنعرف كيف نقتدي برسول الله ﷺ، وكيف نأخذ الأسوة، ونقتبس النور من هذه السيرة الجامعة لحياتنا، لأنفسنا، لبيوتنا وأُسرنا، لأبنائنا وبناتنا، لمجتمعاتنا، لحكَّامنا ومحكومينا، نأخذ من هذه السيرة هديًا، وخير الهديِ هديُ مُحَمَّد ﷺ.

---

(١) وهن اللاتي توفي عنهن ﷺ: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وجويرية، وصفية. يضاف إليهن: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة. وهاتان توفيتا قبله عليه الصلاة والسلام. أمَّا عن سبب تعدد أزواج النبي ﷺ، فأحيل القارئ الكريم إلى ما كتبته في فتاوى معاصرة (٥٤٦/١ ـ ٥٥٠)، نشر دار القلم، الكويت، ط ٥، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

الخطأ في فهم شخصيته ﷺ:

إننا كثيرًا ما نقف عند الأشياء الَّتي لا تُسمن ولا تغني من جوع، طالما كنت أسمع وأنا صغير قصة المولد، يقرؤونها في القرى والأرياف، ومعظم هذه القصة تدور على أشياء وخوارق ليس فيها هذا الأمر الَّذي نريده: جانب القدوة، جانب التأسي، جانب العظمة في سيرة مُحَمَّد ﷺ وفي رسالته.

طالما رأينا المؤذنين يؤذنون على المآذن والمنابر، يقولون: الصلاة والسلام عليك يا أوَّل خلق الله(١)! وما ثبت أنَّه أوَّل خلق الله!

الصلاة والسلام عليك يا مليح الوجه يا رسول الله!! أفي ملاحة الوجه هذه مجال للقدوة؟!

المسلمون ـ أو أقول: الكثيرون منهم ـ أخطؤوا فهم شخصية رسول الله ﷺ، هذه الشخصيَّة الَّتي أُنزل عليها الرسالة الخالدة العامَّة، اختاره الله تعالى ليختم النُّبوات والرسالات، ويعلن أنَّه خاتم النبيين، وأنَّه لا نبي بعده.

هذه الشخصيَّة في حاجة إلى أن ندرسها، إلى أن نعرفها، وما أكثر الجوانب الَّتي يمكن أن نقف عندها لنعرف عظمة الشخصيَّة المحمدية.

الجانب الرباني في سيرته ﷺ:

خذوا الجانب الربَّاني من سيرته وحياته ﷺ، جانب التعبُّد لله تعالى، إنَّ من يقرأ في هذا الجانب، جانب العبادة: الصلاة، الصيام، الذكر،

(١) وهو كلام لم يصح به نقل، ولا يقرّه عقل، وهذا ما أثبتُّه في فتوى لي نشرت ضمن فتاوى معاصرة (١/١٧٨، ١٧٩).

QaradawiBooks.com

التسبيح، التهليل، التكبير، الدعاء، الاستغفار، يجد قلبًا نابضًا بحبِّ الله تعالى، يجد لسانًا رطبًا بذكر الله تعالى، لا ينساه على كلِّ حال، يذكر الله في كلِّ أحواله، وعلى كلِّ أحيانه.

انظروا إلى الرسول العابد الَّذي أمره الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، فكان يعبُده في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، في خلوته وجلوته، لا يفْتُر عن عبادة ربه.

كان يعلم أنَّ الإنسان ما خُلق إلَّا لعبادة الله، وأنَّ عبادة الله هي المُهِمَّة الأولى لهذا المخلوق، الَّذي خلقه الله بيده، وسوَّاه ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله خليفة في الأرض.

كان يعلم أنَّ مهمته أنْ يعبد الله عبادة مبنيَّة على معرفة به ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]. لهذا كان ﷺ أكثر النَّاس إقبالًا على الله.

صلاته ﷺ:

شرع الله الصلوات الخمس؛ لتربط المسلم بربِّه كلَّ يوم خمس مرات، لا يوجد دين يربط الإنسان بمولاه هذا الربط الوثيق؛ ليكون دائمًا على موعد مع ربه، كلَّما شغلته الشواغل، كلَّما غرق في لُجة الحياة، كلَّما أنسته مطالب الدُّنْيا، كلَّما غرق مع التجارات، مع الدينار والدرهم، لكنَّه حين يسمع المنادي ينادي: الله أكبر الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، يترك البيع والشراء، ويترك دنياه ودنيا النّاس، ويهرع إلى بيت الله، هكذا علَّم مُحَمَّد ﷺ النَّاس.

QaradawiBooks.com

علَّمهم أنَّ الحياة إنَّما تكون لله وبالله، وأنَّ الإنسان يجب أن يتحرر لمولاه، هكذا علَّمه ربُّه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولهذا كان ﷺ المسلم الأوَّل في كلِّ أمر، المسلم الأوَّل في عبادته إذا تعبَّد، في ذكره إذا ذكر، في دعائه إذا دعا، في خُلقه إذا تخلَّق، في جهاده إذا جاهد.

عبادة الحبِّ والشوق:

كان المسلم الأوَّل في عبادته لله، ولم تكن عبادته مجرد تسديد خانة، أو امتثالًا لأمر، بل كانت عبادته عبادة الحبِّ والشوق إلى الله تعالى.

كان إذا قرب وقت الصلاة يتشوق إليها ويحنُّ لها، ينتظر وقتها بفارغ الصبر، حتَّى إذا حان الوقت قال لمؤذنه: «**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**»(١). وما أعظم الفرق بين من يقول: أرحنا بها. ومن يقول: أرحنا منها.

إنَّها صلاة الحبِّ، لا مجردَ صلاة الأمر، إنَّه كان يجد فيها نفسه، يجد فيها غذاء قلبه، وانشراح صدره، وحياة روحه، وقرة عينه، وقد قال ﷺ: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢).

كان يصلي الصلوات الخمس في ميقاتها، في جماعتها، بخشوعها، وركوعها، وسجودها، وإسباغ وضوئها، وما كان يكتفي بها، بل كان له صلوات.

---

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحَّحه الألباني المشكاة (١٢٥٣)، عن رجل من الأنصار.

(٢) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩)، وصحَّح إسناده ابن الملقن في البدر المنير (٥٠١/١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

صلاته ﷺ بالليل:

كان يصلي من الليل، ما كانت متاعبه لتشغله عن وقوفه بين يدي ربه، إذا جَنَّ الليل، وأرخى ستوره، وغارت النجوم، وهدأت العيون، وأوى كلُّ ذي فراش إلى فراشه، كان يقوم من الليل، ويصفُّ قدميه مصليًا لله تعالى، ويناجيه فيقول: «**اللهمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيَّام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربّ السماوات والأرض ومن فيهنَّ، أنت الحقُّ، وقولك الحقّ، ووعدك الحقّ، ولقاؤك الحقّ، والجنَّة حقّ، والنَّار حقّ، والساعة حقّ، اللهمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وأخَّرت، وما أسررت وأعلنت، أنت إلٰهي لا إله إلَّا أنت**»(١).

هذا هو النَّبي العظيم، ما شغلته متاعب الحياة، ومتاعب الدعوة، وما شغلته حياته الخاصَّة، تسع نسوة لهنَّ مطالب، ولهنَّ حاجات، ولهنَّ تطلعات، ومسلمون لهم حاجات، ولهم مطالب، وعليه توجيههم وهدايتهم، وجبهات تقف له بالمرصاد، تريد أنْ تقتلع جذوره، وأنْ تهدم دعوته من أساسها: الجبهة الوثنية، والجبهة اليهودية، والجبهة النَّصرانيَّة البيزنطية، والجبهة المجوسية المتربصة، والطابور الخامس من المنافقين الَّذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

متاعب الحياة، ومتاعب الدعوة وهمومها، ما كانت لتشغله أنْ يقف بالليل مع ربِّه.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

يقف ويطيل الوقوف حتَّى تتورَّم قدماه، حتَّى تتفطَّر وتتشـقَّق من طول القيـام، حكى عنه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: صليت مع النَّبـي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقـرة، فقلت: يركع عنـد المائة. ثمَّ مضـى، فقلت: يصلي بهـا في ركعة. فمضى، فقلت: يركع بها. ثمَّ افتتح النساء فقرأها، ثمَّ افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ، ثمَّ ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم. فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثمَّ قال: سـمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد. ثمَّ قام طويلًا قريبًا ممَّا ركع، ثمَّ سجد فقال: سبحان ربي الأعلى. فكان سجوده قريبًا من قيامه[1].

إنَّها صلاة يشعر فيها بحلاوة العبادة، يجد حلاوتها في قلبه، فلا يملُّ ولا يضجر ولا يسـأم، وأصحابه الَّذين كانوا أصغر منه سنًّا، وأقوى منه شبابًا، ما كانوا يصبرون على هذه الصلاة الطويلة، حتَّى قال ابن مسعود، وهو من الصحابة: صليت مع النَّبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتَّى هممت بأمر سـوء، قيل: ما هممت؟ قال: هممت أنْ أجلس وأدعه[2]. لم يصبر على طول القيام.

كان النَّبي ﷺ يقوم من الليل حتَّى تتفطَّـر قدماه ـ من طول القيام ـ فقالت له زوجته عائشة مشفقة عليه: لم تصنع هذا؛ وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[3].

أي أنَّ هذه المغفرة تجعلني أزداد في الإقبال على الله شكرًا لنعمته، ووفاء بحقِّه، وقيامًا بحبِّه، هكذا كان ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٢)، وأحمد (٢٣٣٦٧).
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٣٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٣).
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠).

QaradawiBooks.com

أذكاره وأدعيته في الركوع والسجود:

كان متعبِّدًا لله تعالى عبادة الخشية، وعبادة المحبة، كان يصلي ويطيل السجود، ويطيل الركوع، ويطيل القيام، وله في سجوده وركوعه وما بين التكبيرات، أدعية وأذكار تملأ القلب بالخشـية والخشـوع، وتهزُّ كيان النفس هزًّا، ما أحوجنا أن نقرأها ونحفظها وندعو بها.

كان إذا ركع يقول: «**سُبوح قُدوس ربّ الملائكة والروح**»(١).

ويقول: «**اللهمَّ لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسـلمت، خشـع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**»(٢).

وإذا قام مـن ركوعه يقول: «**اللهمَّ ربنا لك الحمد، مِلْء السـماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحقّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد، اللهـمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(٣).

وكان إذا سجد قال: «**اللهمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشقَّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»(٤).

وفيما بين السـجدتين يقـول: «**رب اغفر لي وارحمنـي، واجبرني وارفعني، وارزقني واهدني**»(٥).

هكذا كانت صلاته ﷺ، صلاة الخشية، صلاة الحبِّ.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٧)، وأحمد (٢٤٠٦٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، وأحمد (٧٢٩)، عن علي بن أبي طالب.

(٣) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٧)، وأحمد (١١٨٢٧)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) تكملة الحديث قبل السابق.

(٥) رواه أحمد (٢٨٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٩٨)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٠/١): رجاله ثقات. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

صيامه ﷺ:

أمَّا صيامه، فكان يصوم رمضان، هذا الشهر الكريم الَّذي كان يعتبره موسمًا لطاعة الله والإقبال عليه، فإذا جاء رمضان كان مع جبريل يدارسه القرآن، وكان إذا لقيه جبريل يكون أجود بالخير من الريح المرسلة[١].

وكان إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[٢]. واعتكف في المسجد، اعتزل عزلة مُؤقتة عن شواغل الحياة لعبادة الله تعالى.

كان قبل رمضان يقوم بعض الليل وينام بعضه، ولكن في هذه العشر الأواخر يحيي الليل كلّه لعبادة الله، ويوقظ أهله، نساءه، ليشاركنه هذا المغنم، هذا الخير، ما كان يحبُّ أنْ يكون وحده في طاعة الله، روت عنه أم سلمة: أنَّه استيقظ ليلة، فقال: «**سبحان الله! ما أُنزل الليلة من الفتن؟ ماذا أُنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟** - يعني: نساءه - **يا رُبّ كاسية في الدُّنْيا عارية في الآخرة**»[٣].

هكذا كان ﷺ يصوم ويقوم، ولم يكن يكتفي بصيام رمضان، كما لم يكن يكتفي بالصلوات الخمس.

كان يصوم الأيام البيض من كلِّ شهر: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠٢٤)، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤)، عن عائشة. وقوله: «شدَّ مئزره» كناية عن النشاط التام في طاعة الله.

(٣) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٩)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

وكان يصوم الاثنين والخميس، ولما سُئل في ذلك قال: «**تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم**»(١).

كان يصوم حتَّى يُقال: لا يُفطر، ويُفطر حتَّى يُقال: لا يصوم، وكان أحيانًا يصوم ويواصل الصيام(٢)، وينهى أصحابه عن الوصال رفقًا بهم، فيقولون له: إنَّك تواصل يا رسولَ الله! فيقول: «**وأيكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»(٣).

لا تظنُّوا أنَّه يطعمه اللحم والأرز، أو الفاكهة، أو يسقيه الماء، لا، إنَّه غذاء آخر، وشراب من نوع آخر.

إنَّه غذاء القلب، وشراب الرُّوح، إنَّه مشغول بمعرفة ربِّه وحبه وخشيته، لذلك شغله هذا عن الشراب والطعام والدنيا، كما قال القائل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور يستضاء له ... ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا شكت من كلال السير أوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد(٤)

مَن في النَّاس يصِلُ إلى هذه المرحلة؟!

إنَّ الحديث عن عبادته ﷺ، عن هذا الجانب الربَّاني من سيرته يطول، ولعلَّ لنا عودة إليه لنجلي هذا الجانب ـ جانب الذكر والشكر

(١) رواه الترمذي في الصوم (٧٤٧)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٠٤١)، عن أبي هريرة.
(٢) أي: يأتي الغروب فلا يفطر، ويستمر صائمًا ليوم أو يومين.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.
(٤) من شعر إدريس بن أبي حفصة، كما في زهر الآداب للحصري القيرواني (٢/٥٥١)، نشر دار الجيل، بيروت، والتذكرة الحمدونية (٤/٦٩)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

وحسن العبادة ـ في حياة النَّبي العظيم ﷺ، فإنَّه من أنصع الأدلَّة على أنَّه رسول الله.

إنَّ الدجَّالين لا يمكن أنْ يحملوا بين جنوبهم مثل هذا القلب الشاكر، ولا يمكن أنْ يكون لهم مثل هذا اللسان الذاكر، ولا يمكن أنْ يكون لهم مثل هذا البدن الصابر على طاعة الله وعبادته.

إنَّ هذا القلب، قلب النَّبي المحب لربه، الخائف من عذابه، الراجي لرحمته، المقبل عليه بكل همته، إنَّه دليل من أسطع الأدلَّة على أنَّه رسول الله، على أنَّه يتكلم عن الله، لا يتكلم عن هواه، ولا يصدر من عند نفسه ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

صلى الله عليك وسلَّم يا رسولَ الله، وجعلنا الله من المهتدين بهديك، المقتدين بسنتك، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ورد أنَّه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلَّا استجيب له(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصْلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنَّا وأرضنا.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على نبيك، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأقم الصلاة.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٢

قضية المرتد سلمان رشدي(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كان في خاطري أنْ أحدِّثكم اليوم عن أحد موضوعين، الموضوع الأول: موضوع المسجد الأقصى؛ بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، بمناسبة هذه الذكرى كان يهمني أنْ أتحدث عن المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، وعن أرض النبوات الَّتي بارك الله فيها للعالمين، وعن أطفال الحجارة، وعن الانتفاضة الإسلاميَّة، وعن الحركة الإسلاميَّة الَّتي أزعج انتصارها في الأرض المحتلة رئيس الوزراء الإسرائيلي «شامير» وأتباعه.

كنت أريد أنْ أتحدَّث عن قضية العرب والمسلمين الأولى بهذه المناسبة، مناسبة الإسراء والمعراج.

نسخة مجانية

انتصار المجاهدين الأفغان:

كان هذا موضوعًا، وكان هناك موضوع آخر، هو موضوع النصر، أعظم نصر حققه المسلمون في هذا العصر، وهو انتصار الإخوة

(١) أُلقيت بتاريخ ٤ مارس ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

المجاهديـن الأفغان على أعتى قـوَّة ملحدة في الأرض، قـوَّة الإلحاد الأولى في العالـم، بل في التاريخ كلِّـه، واضطرار هذه القـوَّة إلى أنْ تسحب جيوشـها وجنودها، وتُوَلي الأدبار عن أرض الجهاد، وينسحب آخر جندي من جنود الروس من أرض الأفغان الصامدة، المجاهدة، كنت أريد أنْ أتحدَّث عن هذا ـ أيضًا ـ في هذه المناسبة.

أعداء الإسلام لا يريدون لنا أن نفرح:

ولكن أعداء الإسـلام لا يريدون لنا أن نفرح بشـيء، لم نتذوق حلاوة النصـر منذ زمـن بعيـد، فنحن نعيـش في زمن المآسـي والنكسات، فإذا حدث لنا فرح حوّلوه إلى أحزان، وإذا احتفلنا بعرس أطلقوا فيه رصاصة أردت قتيلًا، فتحول عرسنا إلى مأتم، لهذا شغلونا هذه الأيـام بقضية فرضت نفسـها على السـاحة، كان لا بدَّ من أن أحدِّثكم عنها هذا اليوم.

قضية سلمان رشدي:

تلك قضية المرتد المتزندق المدعو: «سلمان رشدي»، الَّذي نشأ في أرض إسلاميَّة، ومن أسرة مسـلمة، ثمَّ ذهب إلى الغرب، ليُصنَع هناك، وليستدير إلى أُمَّته فيطعنها في صدرها، وليتوجه بسهامه المسمومة، إلى قدس الأقداس، إلى أطهر خلق الله، إلـى مُحَمَّد ﷺ، وإلى بيته الطاهر، فيتهم رسـول الله ﷺ ويتهم نسـاءه، ويكيل الشـتائم المقذعـة، بأقذر الألفاظ، وأقبح العبارات، في قضية سـماها: «**الآيات الشيطانية**»، ذلكم هو المسمى «سلمان رشدي»، إنسان هندي الأصل، يدل عليه اسمه، اسم مسلم، ليس فيه من السلامة ولا من الرشد شيء.

QaradawiBooks.com

قضية رشاد خليفة:

كنَّا في الأسبوع الماضي في مجمع الفقه الإسلامي، فشُغلنا يومين كاملين بقضيتين: قضية جاءت من بريطانيا، وهي قضية «سلمان رشدي»، وقضية جاءت من أمريكا وهي قضية آخر يدعى «رشاد خليفة»، وكلاهما للأسف في اسمه «الرشد» أو «الرشاد»، وليس لأحدهما من الرشد ولا من الرشاد شيء، واحد طُبخ في المطبخ البريطاني، والآخر طُبخ في المطبخ الأمريكي.

«رشاد خليفة» هذا كذَّب بالصلاة، وأنكر السنَّة إنكارًا مطلقًا، وادَّعى أنَّ في القرآن آيات ليست من القرآن، ثمَّ ختم هذا كلَّه بادِّعاء أنَّه رسول الله، وجاءت رسالته يبعث بها هنا وهناك: أنَّ رشاد خليفة رسول الله(١).

شُغلنا يومين بهذين الأمرين، بدل أن نُشغل بقضايا المسلمين، وما تحتاج إليه من فقه وفتوى، هكذا أراد أعداء الإسلام.

الشجرة لا يقطعها إلَّا أحد أبنائها:

وقد كان القس زويمر، وهو أحد عتاة المبشِّرين في أوائل هذا القرن يقول: لن ننجح في تبشيرنا وتنصيرنا، إلَّا إذا جندنا من أبناء المسلمين أنفسهم من يقوم بمهمتنا، إنَّ الشجرة لا يقطعها إلَّا أحد أبنائها.

وهكذا استطاعوا أنْ يجنِّدوا بعض هؤلاء النَّاس، الَّذين لا دين لهم، ولا عقل لهم، ولا ضمير لهم، باعوا دينهم، وباعوا أمتهم، وباعوا تراثهم،

---

(١) ونحمد الله أنَّ باطله لم يمكث في الأرض طويلًا؛ إذ أهلكه الله بعد مدة وجيزة، وخرست دعوته في مهدها.

QaradawiBooks.com

وباعوا كلَّ شيء، من أجل مال، من أجل شهوة، من أجل شهرة، من أجل أنْ يتَّبعوا أهواء الشياطين، الَّذين يُوحون إليهم بتلك الوساوس والهواجس.

إساءة سلمان رشدي إلى أمة الإسلام:

سلمان رشدي ألَّف قصة، هذه القصة تقوم على أنَّ هناك في «مكة»، ويسمي مكَّة «مدينة الجاهلية»، أمَّا «المدينة المنورة» فأبقى على اسمها القديم: «يثرب»، وأنَّ في «مدينة الجاهلية» بيتًا للدعارة والبغاء، وأنَّ هذا البيت يضم اثنتي عشرة امرأة، سمَّى هؤلاء النساء الداعرات بأسماء أمهات المؤمنين، زوجات رسول الله ﷺ، وسمَّاهن: بغايا الأستار، كأنَّه يشير إلى أستار الكعبة، أو بغايا الحجاب، وكيف يكون الحجاب سببًا للبغاء، أو قرينًا له؟!

هكذا تهجَّم هذا الرجل، وخلط الخيال بالتاريخ، والتاريخ بالواقع، وخلط الأمور بعضها ببعض، بحيث تخرج منه بأنَّ هذا شيء لا يمكن أنْ يُطاق، ولا أنْ يُقبل بحال من الأحوال.

هذا الرجل أساء إلى أُمَّة الإسلام، أساء إلى رسول الله ﷺ، أساء إلى أمهات المؤمنين، أطهر خلق الله، اللائي خاطبهن الله في القرآن بقوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

أول من خوطب بهذا نساء النبي ﷺ، فالله يريد أنْ يُذهب عنهن الرجس، وأنْ يطهرهن تطهيرًا.

QaradawiBooks.com

وحين افترى مفتر كذاب على إحداهن: عائشة بنت أبي بكر، الصديقة بنت الصديق، في حديث الإفك المعروف، نزلت آيات السماء، نزلت عشرات الآيات في سورة «النور» تُبرئ هذه الطاهرة المطهَّرة المبرَّأة رضي الله عنها، وتلعن أولئك الَّذين أشاعوا هذا الإفك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٣، ٢٤].

أزواج رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، يوصفن عند هذا الفاجر الفاسق العربيد بأنهنَّ مومسات، هكذا صنع.

غضب المسلمون في بريطانيا:

ولهذا غضب المسلمون في بريطانيا، الَّذين قرؤوا هذا الكتاب أو هذه الرواية الشيطانية باللغة الإنكليزية، احتجوا في أوَّل الأمر، وطالبوا أنْ يصادَر هذا الكتاب ويُمنَع نشره، حتَّى لا يسيء إلى الإسلام، ولا يجرح مشاعر المسلمين، ولكن صيحاتهم ذهبت سدى، ولم تُؤت أكلَها، ثمَّ ساروا في مظاهرات وجاؤوا فيها بنسخة من الكتاب، وأحرقوها في بعض الميادين؛ حتَّى يسمع لهم السامعون، وتعرف قضيتهم الجهات المختصة، ولكنَّ أحدًا لم يبال بهم، بزعم أنَّ هناك حرية، حرية الرأي وحرية الفكر، ولكن أي رأي وأي فكر في هذا الكلام الساقط البذيء؟

ليس هناك علم ولا رأى ولا فكر، يمكن أن نقارع فيه الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، والرأي بالرأي، من شتمك، كيف تقول: إنَّ الشتيمة هذه رأي، وإنَّ صاحب هذا اللسان القذر حرٌّ في أن يقول ما شاء؟!

QaradawiBooks.com

لو أنَّ إنسانًا يبحث، وانتهى إلى رأي، يمكن أن نقول: إنَّ هذا رأي، يُرَدُّ عليه برأي مثله، ولكن إذا جاء إنسان وقال لك: أنت ابن كذا، وكذا، شتم أباك أو سبَّ أمك، ماذا تقول في هذا؟ أهذا رأي يُحترم، ويُدافَع عنه؟!

لو أنَّ إنسانًا ـ أي إنسان ـ اعتُديَ على أبيه أو أمه بكلمة بذيئة، فلا يسعه إلَّا أنْ يغضب، ولا يسعه إلَّا أنْ يثور، فكيف إذا سُبَّ أشرف الخلق وسيد الوجود: مُحَمَّد ﷺ؟ كيف إذا سُبَّت نساؤه أمهات المؤمنين؟

من سبَّ أباك أو أمك لا تصبر عليه، فكيف من سبَّ نبيك، ورسولك وهاديك إلى الله؟ وكيف من سبَّ أمهات المؤمنين جميعًا؟ والله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]، كيف يُقال: إنَّ هذا رأي؟! كيف يقال: إن هذا فكر، وإن هذا من حرية الفكر؟!

إن رئيسة وزراء بريطانيا صادرت كتابًا، كان فيه بعض الفضائح السياسية، المعروف باسم: «صائد الجواسيس»، من أجل المصلحة، فلماذا لا يصادر كتاب من أجل مصلحة المسلمين؟ أم أنَّ المسلمين في العالم لا قيمة لهم؟ ألف مليون مسلم تتحدى مشاعرهم في العالم كلِّه، ولا يُقام لهم وزن.

غضب العالم الإسلامي:

من أجل ذلك ثارت الثوائر، وقامت المظاهرات في بلاد العالم الإسلامي، وخصوصًا الَّذين يقرؤون الإنكليزية.

ثارت المظاهرات في بريطانيا، وفي الهند، وفي باكستان، وفي غيرها من البلاد، وقُتل من قُتل، وأُطلق الرصاص على بعض النَّاس فقُتلوا، إنَّما

QaradawiBooks.com

ثاروا لكرامتهم، لكرامة دينهم، لكرامــة نبيهم، لكرامة أمهات المؤمنين حفاظًا على المقدسات.

إنَّ هذا الرجل اتهم أبا الأنبياء جميعًا، الخليــل إبراهيم، اتهمه بأنَّه وغد، وابن زانية، هكذا لم يدع شيئًا إلَّا وأثخنه بالجراح، فمن حقِّ النَّاس أنْ يثوروا.

لئن كنتُ محتاجًا إلى الحِلْمِ إنَّني ... إلى الجهلِ في بعضِ الأحايين أحوجُ
ولي فرسٌ للحلــمِ بالحلم ملجمٌ ... ولي فرسٌ للجهلِ بالجهل مسرجُ
فمــن رَام تقويمــي فإنِّــي مقومٌ ... ومَــن رام تعويجي فإنِّــي مُعوجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خدنًا وصاحبًا ... ولكنني أرضَى بــه حين أحرجُ(١)

لقد اســتُغضِب المســلمون، وكان من حقِّهم، بل مــن واجبهم، أنْ يغضبوا، ومن استُغضِب فلم يغضب فهو حِمار، كما أنَّ من استُرضِي فلم يرضَ فهو جبار.

استُغضِب المســلمون، حينما مُست عقائدهم في شخص رسولهم مُحَمَّد ﷺ، ونســائه أمهــات المؤمنين، وعدد مــن الصحابة، وبعض الأنبياء العظام.

أشــياء كثيرة تحدَّث عنها هذا الإنســان، كان من حقّ المسلمين أنْ يثوروا، وأنْ يغضبوا، ما دامت السلطات المختصة في تلك البلاد لم تأبه للأمر، ولم تشغل نفسها به.

---

(١) الأبيات نســبت لمحمد بن وهيب، انظر: عيون الأخبار (٤٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ. ولمحمد بن حازم الباهلي، انظر: معجم الشعراء صـ٢٤٩، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م. ونسبت كذلك لغيرهم.

QaradawiBooks.com

حكم سبِّ النبي ﷺ:

هناك من قال: إنَّنا يجب أن نستتيب هذا الإنسان، وصدرت بعض الفتاوى في ذلك، وأصدر هذا الشخص اعتذارًا، هذا الاعتذار ليس فيه أي نوع من التوبة، ولا أي نوع من التكذيب لنفسه، ولا أي نوع من التراجع عما قال، كلّ ما قاله: إنَّه يأسف أنَّه آلم المسلمين وأزعجهم، أمَّا كلامه نفسه فلم يتراجع عنه، ولم يقل: إنَّه أخطأ، ولم يكذِّب نفسه في شيء، ولذلك رُفض اعتذاره.

على أنَّ جمهور المسلمين يرون أنَّ من شتم رسول الله ﷺ لا تُقبل له توبة، وليس له إلَّا السيف، حتَّى لا يجرؤ النَّاس على هذا الحمى المحرم.

هذا ما قرره العلماء من قديم، وألَّف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية، كتابه الشهير: «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»، وقال: إنَّ من شتم رسول الله ﷺ من مسلم أو ذمي، حتَّى الذمي ـ الذمي: غير المسلم الَّذي يعيش بين ظهراني المسلمين، وفي ضمانهم وذمتهم، وله ما لهم وعليه ما عليهم، في حدود أصول الإسلام وقواعده ـ هذا إذا شتم رسول الله ﷺ، فقد نقض عهد الذمة وحلَّ دمه(١).

أراد المسلمون ألا يفتحوا باب فتنة فيجرؤ النَّاس على رسول الله ﷺ.

من حقِّهم أنْ يردوا على الإسلام، وعلى عقائد الإسلام، ويقولوا: إنَّ عقائدنا أفضل من عقائدكم، هذا الرأي يُسمح به ونرد عليه، أمَّا الشتم، أمَّا الإهانة، أمَّا التجريح، أمَّا السب واللعن، فهذا شيء آخر لا يُقبل من مسلم ولا من غير مسلم.

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول صـ٣٠٦ نشر الحرس الوطني السعودي.

QaradawiBooks.com

الغرب يقف ضد مشاعر المسلمين:

لقد أهان هذا الإنسان الأُمَّةَ الإسلاميَّة في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن العجب العجاب: أن نجد هذا الغرب يقف عن بكرة أبيه ضدَّ المشاعر الإسلاميَّة.

وحينما احتجت «إيران» على هذا الأمر، سحبوا سفراءهم من هناك، واجتمع المجلس الأوربي، ويكاد يجتمع مجلس الأمن، أو الأمم المتحدة، من أجل هذا الأمر!

أليس من حقِّ المسلمين أنْ يغضبوا لدينهم، ولنبيهم، ولمقدساتهم، ولأنبياء الله جميعًا؟

المسلمون يغضبون من أجل المسيح عليه السلام:

إنَّ المسلمين في بعض البلاد الأوروبية سيَّروا مظاهرات من أجل «فيلم» تناول المسيح عليه السلام بسوء وهؤلاء النَّاس للأسف أصدروا من الأفلام ما يجرح المسيح عليه السلام، ويتهمه بالشذوذ الجنسي، ويصوره في أقبح صورة، ومن الأفلام ما صور «مريم» العذراء عليها السلام أسوأ تصوير.

قام المسلمون وتظاهروا ضدَّ ذلك، حتَّى إنَّ «أسقف» بعض البلاد شكر المسلمين على هذا الأمر وقال: ما كنت أظنّ أنْ تغضبوا لمريم مثل غضبتنا وأكثر. قالوا له: إنَّ مريم عندنا صديقة؛ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

قالوا له: إنَّ في القرآن سورة اسمها: سورة «مريم»، نزلت من أجلِ هذه الصدِّيقة العظيمة المطهَّرة، البتول المبرأة.

QaradawiBooks.com

المسلمون يغضبون إذا نال نائل من أيِّ نبي من الأنبياء، أو أيِّ رسول من الرسل، فنحن لا يصحُّ لنا دين، ولا يكمُل لنا إيمان، إلَّا إذا آمنَّا بكلِّ كتاب أُنزل، وبكل نبي أُرسل ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

هذا هو إيماننا نحن المسلمين، فلماذا نُكافأ على هذا بأنْ يُشتم نبيُّنا، ويُشتم ديننا، وتُسب أمهات المؤمنين؟

أيسعنا أن نسكت على هذا الضيم؟ أن نغضَّ العيون على القذى؟ أن نسحب الذيول على الأذى؟ لا والله، ما كان لنا أن نفعل ذلك.

كنَّا نودُّ لو أن هذا الكتاب مات في مهده ولم يُذكر، ولكن للأسف قالوا: إنهم هناك يكافئون هذا الكاتب، ويعطونه الجوائز على مثل هذه الأشياء(١). فثار المسلمون الَّذين يعرفون هذا الأمر عليه، أمَّا وقد سار الأمر وعُرف وانتشر، فلا بدَّ لنا من وقفة.

الحرب الصليبية لم تنتهي:

نعجب من تلك الحرب الصليبية الَّتي ما زالت قائمة حتَّى اليوم، تظهر ما بين الحين والحين.

حينما دخل «اللنبي» القائد البريطاني، القدس الشريف سنة ١٩١٧م، قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبية. أي: بدخول بيت المقدس، الَّذي فشل فيه الصليبيون قديمًا(٢).

(١) والتي كان آخرها جائزة الأدب الأوربي، التي منحتها حكومة النمسا لهذا الكاتب المارق.

(٢) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لأبي فارس صـ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولكن الحروب الصليبية لم تنته، ما انتهت الحــروب الصليبية، الحرب مستمرة، ولكنَّها بأدوات غير الأدوات، وبأساليب غير الأساليب، وفي ساحات شتَّى، ومجالات كثيرة، الحرب الصليبية ما زالت قائمة ضدنا نحن المسلمين.

نحن نحاول أن نسالم، أن نرفع شعار السلام، أن نمدَّ أيدينا، ولكن القوم لا يقابلوننا بمثل ما نقابلهم به، لا يردُّون التحية بمثلها، فضلًا أن يردُّوها بأحسن منها، وهكذا يُساء إلينا يومًا بعد يوم.

الدفاع عن سلمان رشدي في بلاد المسلمين باسم الحرية:

وأعجب من هذا أن نجد في بلد المسلمين أنفسهم، ومن أقلام عربية مســلمة، تدَّعي أنَّها نصيــرة الحرية، تدافــع عن هذا المرتــد الملحد المتزندق، وتدافع عنه باســم حرية الرأي وباسم حرية الفكر! أيُّ رأي، وأيُّ فكر يا قوم؟! أيُّ رأي وأي فكر في الســباب والقذارة والإقذاع؟! ليس هناك رأي يمكن أنْ يُناقش، أو يُرد عليه.

حسنات هذه القضية:

إنَّ هذه القضية كان من حســناتها: أن نبَّهت العالم الإسلامي، وربَّ ضارة نافعــة، نبهته إلــى ما يحاك له فــي الخفاء، وما يُبيَّــت له بليل، وما يُدبَّر له من وراء ستار؛ لكي يظل دائمًا في بلبلة وحيرة.

علمتنا هــذه القضية أنَّ مــن أبناء المســلمين من يُســتخدم ضد المسلمين أنفسهم.

ومن حسنات هذه القضية أنْ وقف العالم الإسلامي جميعه ضدَّ هذا الأمر، وإن كان السياســيون للأســف لم يعيروا هذا الأمــر التفاتًا بما يستحق، وما ينبغي له.

QaradawiBooks.com

كان لا بدَّ من أن تُسمع أصوات تستنكر هذا الأمر، وتُعلِم هؤلاء القوم أنَّ المسألة لا ينبغي أنْ تمرَّ بسهولة، وأنَّ العالم الإسلامي لا يقبل أنْ يُهان في إهانة شخص رسول الله ﷺ، وبيته الشريف الطاهر.

غير مرخصة للطباعة

الله متم نوره:

يا أيُّها الإخوة، إنَّ الإسلام والحمد لله لا يمكن أنْ يتزعزع بهذه الأشياء، الإسلام طَوْد شامخ، وجبل راسخ؛ بل هو أرسى من الجبال، لا تزعزعه هذه الرياح مهما عصفت.

الإسلام أرسخ قدمًا، وأثبت جذورًا، وأعمق أصولًا، من أنْ تؤثر فيه هذه الأباطيل، إنَّ هذا الإسلام يمتد هنا وهناك، ويكسب كلَّ يوم أرضًا، ويدخل فيه الكثيرون، ونحن موقنون أنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ المستقبل للإسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

عودة الإسلام إلى أوربا:

نحن ننتظر يومًا يَظهر فيه الإسلام على الأديان كلِّها، ويعمُّ الأرضَ نوره، وقد سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفتح أولًا يا رسولَ الله، رُوميَّة أم قسطنطينيَّة؟

كأنَّ الصحابة عندهم علم سابق أنَّ المدينتين كلتيهما مفتوحتان بالإسلام، روميَّة عاصمة إيطاليا، الَّتي يعبَّر عنها الآن بـ«روما»،

QaradawiBooks.com

والقسطنطينية الَّتي يعبَّر عنها الآن باسم: «إستانبول» الَّتي كانت عاصمة الخلافة العثمانية، عدة قرون.

فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»[١].

مدينة هرقل هي القسطنطينية، وقد فُتحت.

فتحها ذلك الشاب التركي العثماني، ابن الثالثة والعشرين: «محمد بن مراد» الَّذي لُقِّب في التاريخ باسم: «محمد الفاتح»، الَّذي قرأ في الحديث: «**لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[٢]. فتاقت نفسه، وطمحت إلى أنْ يكون هو هذا الأمير، وأنْ يكون جيشه هو هذا الجيش.

تعلَّقت بذلك نفسه، وهو في ريعان شبابه، فما زال يعدُّ لذلك ويخطط، حتَّى أذن الله أنْ يكون له هذا الشرف، الَّذي سعى إليه الصحابة ولم يدركوه، وادَّخره القدر لهذا الفتى المسلم الطموح، ابن الثالثة والعشرين.

فُتحت «القسطنطينية»، وبقي أنْ تفتح «روميَّة» إن شاء الله.

معنى هذا: أنَّه لا بدَّ من أن يدخل الإسلام إلى أوربا من جديد، وقد طُرِد منها مرتين: طُرد منها بعد الأندلس، بعد أنْ بقيَ فيها ثمانية قرون،

(١) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحح إسناده على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل، وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

وأقام تلك الحضــارة العظيمة، طُرد منهــا طردًا ســجَّله التاريخ: القتل والتعذيب، والإجبار على التنصير، ومُحِي الإسلام من تلك الديار[1].

وطُرد مرَّة أخرى بعــد أنْ كاد العثمانيون يدخلــون «فيينا»: عاصمة «النمســا» حاليًا، وطرقوا أبوابها عدة مرات، ثمَّ عادوا إلى آســيا، وإلى ذلك الشريط الصغير من أوربا، واقتســمت تركة «الرجل المريض» كما كان يسميه المؤرخون في ذلك الوقت.

لا بدَّ من عودة للإسلام إلى أوربا إن شــاء الله، لا بدَّ من أنْ ينتصر الإســلام، إذا قمنا له بحقِّه، إذا كُنَّا نحن صورة طيبة للإسلام، واستطعنا أن نقدمه لغيرنا، حتَّى يرى في الإســلام ما يهديه من ضلال، وما يؤَمِّنه من خَوف، وما يُسعده من شقاء.

إنَّنا أصحاب الدين القوى، إنَّنا أصحاب الرســالة العظمى، الَّتي فيها نجاة الإنسانيَّة من كلّ شرٍّ، ومن كلّ خطر، إنَّها رسالة مُحَمَّد ﷺ، أمَّا هذه الأكاذيب، وهذه الأباطيل، وهذه الزوابع الَّتي تثار ما بين الحين والحين، فلن تزيد الإســلام إلَّا قوَّة، ولا تزيــد العاملين للإســلام إلَّا ثباتًا عليه، وإصرارًا على الدعوة إليه، وإنا إن شاء الله لمنتصرون، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

---

(١) من أراد أنْ يتأمل تلك الحقبة السوداء، وما جرى فيها للمسلمين من مآسٍ يندى لها الجبين، ويتقطع لها نياط الفؤاد، فليرجع إلى كتاب: محاكم التفتيش الغاشــمة وأســاليبها للدكتور عبد الرحمن علي الحجي، أو المسلمون المنصرون للدكتور عبد الله محمد جمال الدين، أو تاريخ مسلمي الأندلس، تأليف الإسباني أنطونيو دومينقير هورتز، والفرنسي برنارد بنثنت.

QaradawiBooks.com

نسأل الله أنْ يُنجز لنا وعده، وأنْ يهيئ لنا من أمرنا رَشدًا، وأنْ ينصر الإسلام ويعز المسلمين، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه من كلِّ ذنب، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ظاهرة التفكك الأسري:

ظهرت ظاهرة ما كان يعرفها المجتمع الإسلامي، تحدثنا عنها في خطبة كاملة في العام الماضي، هذه الظاهرة هي: تفكك الأسرة المسلمة، تخلي الإنسان عن أبويه في حالة الشيخوخة، والله تعالى وصى على الأبوين في كلِّ الأحوال، ولكنَّه وصى عليهما في حالة الشيخوخة خاصَّة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾: أصبحا أمانة عندك، أصبحا في حضانتك كما كنت من قبل في حضانتهما؟ ألا ترد الجميل؟ ألا تعرف المعروف؟ ألا تجازي الإحسان بالإحسان؟ وكيف تجازي الإحسان بالإحسان؟ وهل تستطيع؟

إنَّ الرجل الَّذي جاء إلى عمر وقال: يا أمير المؤمنين، لقد بلغ من مرض أمي وعجزها، أنني أصنع لها ما كانت تصنع لي في صغري، وفي طفولتي، أنا الَّذي أُطعمها، وأنا الَّذي أسقيها، ولا تقضي حاجتها إلَّا وظهري لها مطيَّة ـ أي: إذا أرادات أنْ تقضي حاجتها البشريَّة من البول والغائط، يحملها ويذهب بها حتَّى تقضي حاجتها ـ أأوفيتها حقَّها؟

QaradawiBooks.com

فقال عمر: لا؛ إنَّها كانت تفعل ذلك لك، وتتمنَّى لك عمرًا طويلًا، أمَّا أنت فتفعل لها ذلك، وتنتظر موتها غدًا أو بعد غد[1]!

وقد شهد ابن عمر رجلًا يمانيًّا يطوف بالبيت ـ حمل أمه وراء ظهره ـ يقول:

إنِّي لها بعيرها المُذَلَّلْ إن أذعرت ركابها لم أُذعرْ

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة[2]. زفرة من زفرات الطَّلْق وألم الوضع!

فما هذه الظاهرة: أنْ يذهب النَّاس بآبائهم وأمهاتهم إلى مستشفى العجَزة، ويُلقون بهم هناك، كأنَّما وُضعوا في سلة المهملات، لا يسأَل عنهم أحد، ولا يزورهم أحد.

أين عاطفة البُنوَّة؟ أين رُوح الدين، رُوح البر والوفاء؟ أين قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾؟ أين: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؟ أين البر الَّذي جعله الإسلام من أصول الفضائل وجعله في المرتبة بعد توحيد الله تعالى؟

كنَّا نسمع عن مثل ذلك في أوربا وأمريكا، ونقول: هذا مجتمع مادي، أناني، لا يعرف المشاعر، ولا يعرف العواطف، ولا يعرف الفضائل، فهل انتقلت إلينا العدوى؟ هل انتقلت سموم المجتمع المادي

(١) الجامع لابن وهب (٩٠)، تحقيق د. مصطفى أبو الخير، نشر دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، والبر والصلة لابن الجوزي صـ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١)، والمروزي في البر والصلة (٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٥٠).

QaradawiBooks.com

إلى مجتمعنا، حتَّى يُلقى الآباء والأمهات في دور العجزة، ثمَّ يُتركون ولا يسأَل عنهم أحد؟

لا يا أيُّها الإخوة المسلمون، لا ينبغي أن نتخلى عن مكارمنا وفضائلنا، فيتخلى الله عنا، وبر الوالدين سلف، اعمل ما شئت كما تدين تُدان، أنت اليوم شاب وغدًا شيخ، ما صنعته بآبائك، سيصنعه بك أبناؤك، فاعمل لغدك، واعمل قبل كلّ شيء لإرضاء الله تعالى، وأوف الحق الَّذي عليك، يوف أبناؤك بالحقِّ الَّذي لك.

نسأل الله تعالى أنْ يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأنْ يجعلنا من عباده الأبرار الأوفياء.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، واهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عنَّا سيئها، لا يصرف عنَّا سيئها إلَّا أنت.

اللهمَّ أعزَّ الإسلام وأيِّد المسلمين، اللهمَّ انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في أفغانستان، واجمع على الحق كلمتهم، ووحِّد صفوفهم، وقرِّب النصر العزيز منهم.

اللهمَّ أرنا يومًا قريبًا ينتصر فيه الإسلام، وتعلو فيه راية القرآن.

اللهمَّ اهدنا صراطًا مستقيمًا، وافتح لنا فتحًا مبينًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة
QaradawiBooks.com

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسـلِّم وبارِك على عبدك ورسـولك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٣

ذكرى الإسراء والمعراج

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في الأسبوع الأخير من شهر رجب، شهر الله الحرام، وفي الأسبوع الأخير من رجب يتذكر المسلمون حادثًا جللًا من أحداث السيرة النبويَّة العاطرة، ذلكم هو حادث الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ.

يتذكر المسلمون هذا الحادث، ويحتفون به في ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر الكريم، وليس هناك قطع بأنَّ الإسراء حدث في تلك الليلة، بل هناك خلاف كثير حول ميقات الإسراء: في أي ليلة كان؟ وفي أي شهر كان؟ وفي أي سنة كان؟ وهل وقع مرَّة واحدة أو وقع أكثر من مرَّة[1]؟ إلى آخر ما بحثه العلماء المسلمون من وقائع السيرة وتواريخها، الَّتي لم يضبطها الصحابة وتابعوهم بإحسان؛ فإنهم ما كانوا يهتمون إلَّا بما كان وراءه عمل.

ما كان وراءه حلال أو حرام، أو شيء يوجب عليهم عملًا معينًا، فكانوا يبحثون عنه ويدققون فيه.

(١) راجع في هذا كلِّه ما كتبه الأستاذ المحقق محمد الصادق إبراهيم عرجون، في الجزء الثاني من كتابه الفذ: محمد رسول الله ﷺ.

QaradawiBooks.com

ولم يشرع في الإسراء والمعراج صيام نهار ولا قيام ليل، ولهذا حدث هذا الاختلاف.

ولكن المسلمين قد اشتُهر بينهم في الأعصر الأخيرة أنَّ الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من رجب، ونحن لا يهمنا: هل كان الإسراء في تلك الليلة أو لم يكن؟ إنَّما يهمنا الحادث نفسه.

الإسراء ثابت بنص القرآن الكريم:

الإسراء واقع بنصِّ القرآن الكريم، سُمِّيت باسمه سورة من سوره، وافتتح الله بذكره هذه السورة حينما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ومن هنا كان من كذَّب الإسراء، ولم يؤمن به، كافرًا بإجماع المسلمين؛ لأنَّه كذَّب صريح القرآن المقطوع به، المُجمع عليه، المعلوم من حياة نبي الله ﷺ بالضرورة.

القرآن يشير إلى الإسراء:

أمَّا المعراج فلم يُذكر في القرآن إلَّا من باب الإشارة، وذلك في سورة «النجم»، حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ - الكلام عن جبريل الَّذي كان يأتي بالقرآن للنَّبيِّ ﷺ - ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ - ١٨].

QaradawiBooks.com

رأى النَّبي ﷺ جبريل على صورته الملائكية مرتين: مرَّة في الأرض، وهي الرؤية الأولى الَّتي كانت بالبطحاء، والمشار إليها في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، والرؤية الثانية هي الَّتي عند سدرة المنتهى في ليلة المعراج هذه.

المعراج جاء في القرآن بهذه الإشارات في هذه الآيات، ولكن الإسراء جاء صريحًا، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تثبت الإسراء والمعراج.

الإسراء: رحلة أرضية، بين المسجدين المباركين المقدَّسين: مسجد مكَّة، ومسجد القدس «من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»، ربط الله بينهما بهذه الرحلة النبويَّة المباركة، الأوَّل هو بداية الإسراء والثاني هو نهايته.

أمَّا **المعراج**: فهو رحلة تبتدئ من الأرض إلى السماوات العلى، إلى مستوى لا يعلمه إلَّا الله تعالى، كما قال الشاعر:

حتى بلغتَ سماءً لا يُطار لها ... على جَناحٍ ولا يُسْعَى على قَدَمِ(١)

هناك بلغ مستوى لم يبلغه بشرٌ قبله ﷺ.

كان الأنبياء في استقباله في كلِّ سماء، كبار الأنبياء استقبلوه في الأرض، وصلُّوا خلفه ﷺ، ثمَّ وزَّع الله أعاظم الأنبياء على السماوات، فكانوا يرحِّبون بمقدمه ﷺ.

كان هذا التكريم لرسول الله ﷺ بعد أن نال ما نال من إعراض الخلق، ومن إيذاء البشر.

---

(١) في نهج البردة، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٩٨/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

التسرية عن النبي ﷺ:

أراد الله تعالى أنْ يُسرِّي عنه، وأنْ يعوِّضه، وأنْ يقيم له هذا الحفل التكريمي، في الأرض وفي السماء.

إنَّ النَّبي ﷺ قد قاسى ما قاسى هو وأصحابه، عشر سنوات يعرض على القوم دعوته، يتلو عليهم القرآن، ويبلِّغهم الإسلام، ولكنَّهم استقبلوه بأشدّ ما يستقبل به نبي.

واشتدَّ الأذى أكثر وأكثر بعد موت عمه أبي طالب، الَّذي كان ذائدًا مدافعًا عن النَّبي ﷺ، وبعد موت زوجه خديجة، كلاهما كان سندًا له، أبو طالب سنده في الخارج، وخديجة كانت سنده في الداخل، ماتا في أيَّام قريبة في عام واحد، فسماه النَّبي ﷺ «عام الحزن»(١).

إيذاء أهل الطائف للنبي ﷺ:

وأراد عليه الصلاة والسلام أنْ يجرِّب موقعًا جديدًا، وأرضًا جديدة، يبذر فيها بذور دعوته، فقرر أنْ يتوجه إلى الطائف، إلى حيث تسكن قبيلة «ثقيف»، عسى أنْ يجد عند «ثقيف» ما لم يجده عند قومه من «قريش».

ذهب ومعه مولاه «زيد بن حارثة»، ولكنَّه لم يجد عند القوم إلَّا شرًّا ممَّا وجد عند قريش.

استقبلوه أقبح استقبال، فقال له منهم من قال: ألم يجد الله في جزيرة العرب غيرك حتَّى يرسله إلى الناس؟

وقال له آخر: إن كنت صادقًا فأنت أعظم من أن أكلمك، وإن كنت

(١) انظر: ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي صـ٦٤٤، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

كاذبًا، فأنت أحقــر من أن أكلمك، فلن أكلمك صادقًــا ولا كاذبًا! حتَّى مجرد الكلام معه حرموه منه، لم يُريحوه بالكلام.

سلَّطوا عليه العبيد والسفهاء والصبيان، يرمونه بالحجارة، حتَّى أدموا عقبيه ﷺ، وسال دمه الشريف من عقبيه، ولم يجد بُدًّا من أن يعود(١).

عاد، ولكن الله تعالى لم يدعه، لقد عاد يشكو إلى ربِّه، يناجيه تلك المناجاة المعروفة الرقيقة النديَّة، الَّتي يقول فيها لربه: «**اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على النّاس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علــيّ فلا أبالي، غير أنَّ عافيتك هي أوســع لي، أعوذ بنور وجهك الَّذي أشـرقت له الظلمات، وصلُح عليه أمر الدُّنْيا والآخرة، مــن أنْ تُنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتَّى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله**»(٢).

لم يبالِ بغضب النَّاس إذا كان الله تعالى قد رضي عنه، ولكنَّه يسأل الله العفو والعافية.

عفو النبي ﷺ عن أهل الطائف:

هنالك غضبت له الملائكة من فوق الســماوات العلى، وأرادوا أنْ يكونوا رهن إشارته ﷺ، إن شــاء أنْ يطبق عليهم الجبلين، أو يخسف

---

(١) القصة ذكرها ابن هشام في سيرته (٤٢٠/١)، وابن حبان في السيرة النبويَّة (٩١/١)، نشر الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ.

(٢) رواه الطبراني (٧٣/١٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٥١): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣)، عن عبد الله بن جعفر.

QaradawiBooks.com

بهم الأرض، أو ينزل بهم ما نزل بالكفار من قبل، ولكنَّه ﷺ أبى ذلك كلَّه، وقال: «**بل أرجو أن يَخرج من أصلابهم من يعبدُ الله وحدَه لا يشرك به شيئًا**»[1].

ثمار رحلة الطائف:

١ ـ إسلام عدَّاس:

وشاء الله سبحانه ألَّا تضيع رحلته سُدًى، فكان من أمره وهو عائد إلى مكَّة أن جلس إلى حائط، بستان لأحد مشركي قريش، لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، ابني ربيعة، من بني عبد شمس، وأحسّا به، فأرسلا إليه بقطف من العنب، مع غلام نصراني خادم عندهما، فأخذ النَّبي ﷺ بعض العنب، وقال: «**بسم الله**». فعجب الغلام أنْ يسمع هذا، وقال: هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد. فقال: من أي البلاد أنت؟ قال: من نينوى. قال: «**من بلدة العبد الصالح يونس بن متى؟**». قال: ومن أين لك العلم به؟ قال: «**هو نبي، وأنا نبي**». وعرض النَّبي ﷺ عليه الإسلام، وتلا عليه بعض القرآن، فأسلم الرجل[2].

كان هذا أوَّل ثمار الرحلة.

٢ ـ إيمان الجن رسالته ﷺ:

وفي عودته أيضًا أرسل الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴿**فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٢٩] يقولون

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥)، عن عائشة.

(٢) سيرة ابن هشام (٤٢١/١).

QaradawiBooks.com

لهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

غير مرخصة للطباعة

٣ ـ رحلة الإسراء والمعراج:

ثم كان هذا التكريم، كان الإسراء، وكان المعراج.

بعث الله أمين الوحي «جبريل عليه السلام» إلى مُحَمَّد ﷺ، فغسل صدره بماء زمزم، وأخرج منه حظَّ الشيطان، وذهب به، راكبًا البراق: دابَّة كأنها من البرق، كأنها شيء يتصل نسبًا بالكهرباء، ركب هذه الدابة الَّتي لا نعرف كُنهها، من المسجد الحرام إلى القدس الشريف، فكَّ الله أسره.

مرائي النبي ﷺ ليلة المعراج:

وأراه الله ما أراه، أراه أجزية وعقوبات لأناس كثيرين.

رأى رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من النار، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟

فقال: الخطباء من أمتك، الَّذين يأمرون النَّاس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون[1]؟

ورأى عقوبة الَّذين يغتابون النّاس، يخمشون وجوههم بأظافر من نُحاس، ثمَّ تعود كما كانت، ثمَّ يخمشونها، وهكذا[2].

---

(١) رواه أحمد (١٢٢١١)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٥)، وابن حبان في الإسراء (٥٣)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه أحمد (١٣٣٤٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٨)، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ١٠٣٣: رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا والمسند أصح، عن أنس.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

رأى ما رأى في طريقه، وفي مسيرته ﷺ، حتَّى وصل إلى بيت المقدس، وكان هناك الأنبياء ينتظرونه.

فرضية الصلوات الخمس:

ثم من هناك صعد إلى السماوات العلى، إلى حيث ناجى ربَّه تعالى، وفرض عليه الصلوات، كانت في أوَّل أمرها خمسين صلاة، ولكنَّه بمشورةٍ من أخيه موسى عليه السلام ظلَّ يراجع ربَّه، فخفَّفها من خمسين حتَّى بلغت خمسًا، وقال الله تعالى: «**ما يُبدَّل القول لديّ، هي في العمل خمس وفي الأجر خمسون**»[(١)].

كانت هذه بداية فرضية الصلوات، عمود الدين، الَّتي هي الصلة اليومية بين الإنسان وربِّه، هي المعراج اليومي للمؤمنين.

وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد:

إذا كان رسول الله ﷺ قد عُرج به إلى السماوات العلى، فالصحيح أنَّه أُسري به، وعُرج به، بجسده وروحه معًا، وليس ذلك ببعيد على قدرة الله تعالى.

إنَّ البشر استطاعوا ـ بوسائلهم الخاصَّة، وبما علَّمهم الله ما لم يكونوا يعلمون ـ أنْ يطووا المسافات، ويختصروا الأزمان، ويصلوا إلى القمر، فكيف بصاحب القدرة الَّتي لا تُقهر؟! بمن لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض؟! لا نستبعد عليه أنْ يُسري برسوله، وأنْ يعرج به إلى السماوات العلى، جسمًا وروحًا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

عُرج به حتَّى فرض الله عليه في السماوات هذه الصلوات، وكان هذا فضلًا لهذه الفريضة على غيرها من الفرائض والشعائر؛ فالفرائض كلُّها فُرضت في الأرض، وهذه الصلاة فُرضت في السماء؛ دلالة على مكانتها في دين الله، دلالة على منزلتها، وأنَّها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الإسلام، ومن هدمها فقد هدم هذا الدين.

الصلاة معراج المؤمن:

الصلاة هي معراج كلِّ مؤمن إلى ربِّه، تستطيع أنْ ترقى إلى الله يوميًّا بهذه الصلوات، الَّتي تنتزعك من دنيا النّاس، ممَّا عليه يتصارع النّاس، تنتزعك من دنيا الغفلة، من دنيا الصراع، إلى حيث تقف بين يدي ربك تناجيه، فتناجي قريبًا غير بعيد، وتسأله، فتسأل كريمًا غير بخيل، وتستعينه، فتستعين قويًّا غير ضعيف، وكأنك تسمع له، وهو يقول في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجّدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»[1]. هناك تجاوب بين الله وبين عبده المصلى.

إنَّ التحفة والهدية والذخيرة الَّتي بقيت لنا من ذكرى الإسراء والمعراج، هي هذه الصلوات.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٣٩٥)، وأحمد (٧٨٣٦)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الصلوات الَّتي نرى كثيرًا من المسلمين يفرِّطون فيها، ويضيِّعونها ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

نرى من أبناء المسلمين، ممَّن يتسمَّى بأسماء المسلمين، بأسماء الأنبياء، بأسماء الصحابة، من اسمه مُحَمَّد وأحمد، وعلي، وعمر، وحسن، وحسين، ومع هذا لا يعرفون المساجد، ولا ينحنون لله راكعين، ولا يعفِّرون الجباه لله ساجدين، أهذا من الإسلام في شيء.

الصلاة بقيَّة الإسراء والمعراج:

الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

وكذلك بقي لنا من الإسراء والمعراج شيء مهم: هو الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ربط الله بينهما في كتابه، في هذه الآية الكريمة، الَّتي بُدئت بها سورة الإسراء؛ وذلك حتَّى لا يفصل المسلم بين هذين المسجدين، ولا يفرِّط في واحد منهما، فإنَّه إذا فرَّط في أحدهما أوشك أنْ يفرِّط في الآخر.

إذا تركنا المسجد الأقصى تأخذه «اليهود»، ويعبث به «اليهود»، ويعمل على تهديمه «اليهود»، ليقيموا مكانه «هيكل سليمان»، إذا فرطْنا في المسجد الأقصى، فلا يبعد أن نفرِّط يومًا في مسجد رسول الله ﷺ، أو في المسجد الحرام.

ولليهود أطماع في المدينة، حيث كان هناك: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير.

QaradawiBooks.com

لهم أطماع في مسجد رسول الله ﷺ، ولا تستبعدوا شيئًا، كُنَّا نستبعد ما وقع الآن حتَّى وقع، كلُّ ما نراه الآن، كان عندنا قديمًا شبه مستحيل، ولكن الأجيال الَّتي تنشأ اليوم على ما تراه، أصبح هذا الأمر واقعًا عندها، لا تستبعدوا شيئًا إذا نحن غفلنا وفرَّطنا.

ربط الله بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ حتَّى لا تهون عندنا حرمة المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، وإذا كان قد بارك حوله، فما بالكم المباركة له هو؟!

إذا كان ما حوله مباركًا، الأرض الَّتي حوله كلّها أرض مباركة، أرض النبوات، أرض الذكريات، وصفها الله في القرآن بالبركة في جملة مواضع، كما قال تعالى في إبراهيم: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

إنَّها أرض النبوّات، الأرض الَّتي رواها الصحابة والتابعون بدمائهم، وسقط فيها الشهداء، لا ينبغي للمسلمين أنْ يفرِّطوا فيها، أو يضيِّعوها.

ممَّا نتعلمه من رحلة الإسراء والمعراج، أنَّ الله قد ربط بين المسجدين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة، الَّتي لا تشدُّ الرِّحال إلَّا إليها، كما جاء في الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**لا تُشد الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد** ـ أي: للصلاة فيها قصدًا، كلُّ المساجد بعد ذلك تتساوى ـ **المسجد الحرام، ومسجدي هذا** ـ أي: مسجده ﷺ ـ **والمسجد الأقصى**»(١).

(١) سبق تخريجه صـ ١٨٢.

QaradawiBooks.com

رفض الاستسلام للأمر الواقع:

فعلينا أيُّها المسلمون أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها، لا ينبغي أنْ يصبح الأمر الواقع مفروضًا علينا، ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة، ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى، وسادة أرض النُّبوات.

إنَّ علينا أن نجاهد؛ حتَّى نسترد هذا المسجد، حتَّى نستردَّ القدس الشريف، حتَّى نستردَّ الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض الإسلام، وهي جزء من دار الإسلام، ووطن الإسلام، لا يجوز لأحد أن يفرِّط فيه، أو يبيعه، أو يخونه.

حتى لو أنَّ الفلسطينيين أنفسهم تخلَّوا عن هذا الوطن الإسلامي، عن هذه الأرض المقدسة، لوجب على المسلمين أن يدافعوا عنها؛ لأنَّ هذه الأرض الطيبة المباركة ليست أرض الفلسطينيين وحدهم، ولا أرض الأردنيين وحدهم، ولا أرض العرب وحدهم، ولا أرض المسلمين المعاصرين وحدهم، بل هي أرض الإسلام، أرض أُمَّة الإسلام في مختلف أجيالها.

فلو أنَّ هذا الجبل فرَّط، أو ضيَّع، أو خان، فإنَّ الأجيال التالية ستلعنه، وستحاول أنْ تتدارك ما فات، ولا بدَّ أنْ يأتي يوم يُقاتِل المسلمون فيه، عن إيمان ويقين.

لا بدَّ من يومٍ تقع فيه المعركة مع اليهود، يكون فيها النصر المؤزر للإسلام، هذا ما جاء في «الصحيح»، عن النَّبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله. إلَّا الغرقد؛ فإنَّه من شجر اليهود**»[1].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإنَّا لهذا اليوم لمنتظرون، وما ذلك على الله بعزيز ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هناك فتاتان من الفِلِبِّين أسلمتا، وهما تُصَلِّيان معنا الآن عند الأخوات، أرجو من الأخوات المُصَلِّيات أنْ يبادرن بمصافحتهما والسلام عليهما، وإشعارهما بروح الأُخُوَّة الإسلاميَّة.

وإنَّ واجبًا علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نعمل على أنْ يدخل هؤلاء الَّذين يعملون في دورنا وبيوتنا إلى الإسلام.

كان الأولى أن نستقدم المسلمين والمسلمات، فهم أولى، كما جاء في حديث النَّبي ﷺ: «**لا تصاحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقي**»[1].

أمَا وقد أصبح مئات وآلاف من هؤلاء في بيوت المسلمين، فعلى المسلمين أنْ يبلِّغوهم دعوة الإسلام، عليهم أنْ يعرضوا عليهم هذا الدين، فقد يجدون كثيرًا من الاستجابة.

كثير من هؤلاء ليسوا على دين حقيقي، بل هو دين وراثي، إذا وجدوا من يشرح لهم الإسلام شرحًا مبسطًا ميسّرًا، يعرِّفهم حقيقة هذا الدين، دون تكلُّف أو تعمُّق، العقيدة الإسلاميَّة الواضحة، عقيدة التوحيد، الشعائر الإسلاميَّة الميسَّرة، الأخلاق الإسلاميَّة، الأخوة الإسلاميَّة، هذه كلُّها ينبغي أن تُعرض على هؤلاء قولًا وفعلًا، فعسى أن

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٥)، وحسنه، وابن حبان في البر والإحسان (٥٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠١٨)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

نجدَ منهم من يستجيب و«**لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أنْ يكون لك حمر النعم**»(١)، «**خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت**»(٢)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الَّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصْلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ حَبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، وانصرنا على أعدائك أعداء الدين.

اللهمَّ انصرنا على اليهود، اللهمَّ انصرنا على الصليبيين، اللهمَّ انصرنا على الشيوعيِّين، اللهمَّ انصرنا على الملاحدة والمنافقين،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، عن سهل بن سعد. و«حمر النعم» هي: الإبل الحمراء اللون، وكان العرب يعتبرونها من أنفس الأموال.

(٢) رواه الطبراني (٣١٥/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٧١٥): رواه الطبراني عن يزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، ذكره المزي في الرواة عن أبي رافع، وذكره ابن حبان في الثقات. وبقية رجال الطريق الأولى ثقات.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعــداء الدين، اللهمَّ خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ونبيك ورسولك مُحمَّد، وعلى آله وصحابته والتابعين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٤
ليلة النصف من شعبان

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في شهر شعبان، مضى شهر رجب وهو من الأشهر الحُرم الَّتي عظَّم الله تعالى شأنها في كتابه، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٦].

مضى رجب وجاء شعبان، ويأتي بعد شعبان رمضان، أشهرٌ من أشهرِ الله تعالى، ليس رجب شهر الله وحده، كما جاء في حديث لا يثبت ولا يصح: «**رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي**»(١). ليس هذا بصحيح عن النَّبي ﷺ، الشهور كلُّها شهور الله، والشهور كلُّها شهور الأُمَّة، هو شهر الأمّة لمن ينتفع به.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٣٢)، وقال عقبه: قال الإمام أحمد: «هذا إسناد منكر بمرة، وقد روي عنه عن أنس غير هذا.. تركته فقلبي نافر عن رواية المناكير التي أتوهمها؛ لا بل أعلمها موضوعة، والله يغفر لنا برحمته». وانظر: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب لابن حجر صـ٧.

QaradawiBooks.com

صيام النبي ﷺ في شعبان:

شعبان شهرٌ كان النَّبيُّ ﷺ يصوم فيه أكثر ممَّا يصوم في غيره من الشهور، وكانت سُنة النَّبي ﷺ، كما رواها عنه أصحابه: أنَّه كان يصوم حتَّى يُقال: إنَّه لا يُفطر، ثمَّ يُفطر أيامًا تطول حتَّى يقال: لا يصـوم، وكان أكثر ما يصوم في شعبان، كان يصوم أكثره[1]. بل في بعض الروايات أنَّه كان يصومه كلَّه[2].

وروى عنه أسامة بن زيد أنَّه سـأله: يا رسولَ الله، لم أرَكَ تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شـعبان، قال: «**ذاكَ شهرٌ يَغْفُلُ النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ، وهو شـهر تُرفع فيه الأعمال إلـى ربِّ العالَمين، وأُحِبُّ أنْ يُرْفَع عملي وأنا صائم**»[3].

كما صحَّ عنه ﷺ أنَّه كان يصوم الاثنين والخميس من كلِّ أسـبوع، وفي بعض الأحاديث أنَّه سُـئل عن سـرِّ الحرص على صيامهما فقال: «**ذانك يومان تُعرض فيهما الأعمال على ربِّ العالمين، وأحبُّ أنْ يُعرض عملي، وأنا صائم**»[4].

فالصيام يقـرِّب العبد من الله تعالى، ويجعله أهلًا لاسـتجابة دعوته وتقبُّل عمله.

---

(١) كما في الحديث المتَّفق عليه عن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلَّا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان». رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)، كلاهما في الصيام.

(٢) عن عائشة، قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شـهرًا أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كلَّه». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)، كلاهما في الصوم.

(٣) رواه أحمد (٢١٧٥٣)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسـن. والنسـائي في الصوم (٢٣٥٧)، عن أسامة بن زيد.

(٤) سبق تخريجه صـ ٢١٠.

QaradawiBooks.com

من هنا حرص النَّبي ﷺ على كثرة الصيام في شهر شعبان، الَّذي يغفل النَّاس عنه بين رجب الشهر الحرام وبين رمضان الشهر المكرَّم، شهر القرآن، ومن هنا جاء فضل شعبان أنَّه يُشرع فيه الصيام، وعلى من فاته شيء من رمضان كأن كان مريضًا أو مسافرًا، أو كانت امرأة فاتها شيء بحكم الدورة الشهرية في رمضان، عليها أنْ تتدارك قبل أنْ يأتي رمضان القادم.

جواز قضاء ما فات من رمضان في شعبان:

يسأل كثير من الناس: هل يجوز قضاء ما فات الإنسان من رمضان في شعبان؟

نعم يجوز، وإذا لم يكن قد قضى ما فاته خلال عشرة أشهر ماضية، فعليه أنْ يتدارك الأمر، ويقضي ما فاته في شهر شعبان؛ فإنَّ أحدًا لا يضمن عمره، وإنَّ أحدًا لا يضمن صحته، فالصحيح قد يمرض، والحي قد يموت، بل كلُّ امرئ وكلُّ نفس ذائقة الموت.

فضل الله على عباده ليلة النصف:

هذا هو شهر شعبان، أمَّا ما جاء عن ليلة النصف منه، فقد وردت أحاديث ردَّها بعض العلماء جميعًا، وقالوا: لم يصح فيها شيء، كالإمام ابن الجوزي والإمام ابن العربي[1]، وهناك من حسَّن بعض أحاديثها، كحديث معاذ بن جبل: «**يطَّلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلَّا لمشرك أو مشاحن**»[2].

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١١٧/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، والعلل المتناهية لابن الجوزي (٦٦/٢ - ٧٢)، نشر إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) رواه ابن حبَّان في الحظر والإباحة (٥٦٦٥)، وقال الأرناؤوط: صحيح بشواهده. والطبراني =

QaradawiBooks.com

يطَّلـع الله عليهم اطـلاع رحمة ومغفـرة، ينظر إليهم نظـرةَ مغفرة وعطف، ونظره إلى الخلق جميعًـا دائم، وهو لا يغفل عنهم طرفة عين، ولا ينام عن عباده، إنَّما النظر هنا والاطلاع هنـا، اطلاع رحمة ومغفرة وعناية خاصَّة.

الشرك والمشاحنة يمنعان المغفرة:

يطَّلع عليهم هذه الليلة فيغفر لجميع خلقه إلَّا لمشرك أو مشاحن، أمَّا المشرك فقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء: ١١٦]، وأمَّا المشـاحن فهو الَّذي تكون بينه وبين أخيه المسلم شحناء، خصومة، عداوة، قطيعة، جفْوَة، هذا يُحرم من المغفرة، يُحرم منها في كلِّ أسبوع.

في يوم الاثنين ويوم الخميس، أو ليلة الاثنين وليلة الخميس، حيث يغفر الله تعالى لجميع خلقه إلَّا من كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: «**أنْظِروا هذين حتَّى يصطلحا، أنظروا هذين حتَّى يصطلحا، أنظروا هذين حتَّى يصطلحا**»[1].

هكذا في الموسم الأسبوعي، ثمَّ يأتي هكذا في شهر شعبان في ليلة النصـف، أي أنَّ أبواب المغفـرة موصدة، مغلقة أمام هـؤلاء الَّذين لم يُصفُّوا قلوبهم من الأحقاد، هؤلاء الَّذين لم يعرفوا معنى الصفاء والنقاء،

= في الأوسـط (٦٧٧٦)، وفي الكبير (١٠٨/٢٠)، وقال الهيثمي في مجمـع الزوائد (١٢٩٦٠): رجالهما ثقات. عن معاذ بن جبل.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكلِّ عبد لا يُشرك بالله شيئًا، إلَّا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنظروا هذين حتى يصطلحا، أَنظـروا هذين حتى يصطلحا». رواه مسـلم في البر والصلة (٢٥٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٦).

QaradawiBooks.com

الَّذين لا يدْعون بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أهمية سلامة الصدر:

سلامة الصدر من الضغائن والأحقاد أمر أساسي في الإسلام؛ فالإسلام يقيم حياة النَّاس على أمرين: على أنْ يُحسنوا صلتهم بربِّهم الَّذي خلقهم فسوَّاهم، وعلى أنْ يُحسنوا الصلة بين بعضهم وبعض، بحيث تقوم على الأخوة، على المحبَّة، إن لم تقم على الإيثار، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٩]، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم، وإن لم تقم على هذا المعنى العظيم الَّذي جاء في الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»(١). إن لم تقم على هذا وذاك، فلتقم على سلامة الصدر من الحقد، من الضغينة، من الغلِّ، من الحسد والبغضاء، داء الأمم من قبلنا، كما جاء في الحديث: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلِق الدين**»(٢).

هكذا علَّمنا النَّبي ﷺ وحذَّرنا، فلماذا يعيش النَّاس، لماذا يُصبحون ويُمسون ويضحون، وقلوبهم مليئة بهذه الأمراض؟ بهذه الأوبئة الفتَّاكة الَّتي تعمل في قلوب النَّاس وأرواحهم أكثر ممَّا تعمل الأمراض والأوبئة الحسيِّة بالأجساد؟ إنَّه داء الأمم، داء المجتمعات.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

ألا ما أجمل أنْ يعيش الإنسان نقيًّا صافيًا!

علام يتباغض الناس؟ على الدنيا؟! والله إنَّ الدُّنْيا لأهون من أنْ يتقاتل عليها النّاس، الدُّنْيا تسعك، وتسع أخاك، فلماذا تضيِّق ما وسَّع الله؟ لن يأكل أحد رزقك، كما لن تأكل رزقَ أحد!

علام يتحاسد الناس؟ على الدنيا؟! وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة! فليت شعري على أي جزء من جناح البعوضة يتقاتلون ويتباغضون؟

يأتي الاثنين ويأتي الخميس، وتأتي الجُمع والأشهر، ويأتي النصف من شعبان، ويأتي رمضان، والأحقاد كما هي، يغفر الله لمن يشاء أنْ يغفر لهم، ولكنَّه يؤخر أهل الحقد كما هم، أهل الحسد والبغضاء الَّذين لا تصفِّى الأيام سرائرهم، الَّذين لا تنقِّي الأحداث ضمائرهم، لا يتسامحون، لا يعفون، لا يغفرون، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]؟

لمَّا فعل ما فعل بعض النَّاس ـ مثل مسطح وغيره ـ الَّذين أشاعوا الإفك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقالوا فيها أسوأ ما يُقال عن امرأة عفيفة طاهرة من بيت أكرم خلق الله، حَلَف أبو بكر رضي الله عنه أنَّه لن يعطف على هؤلاء، لن ينالهم شيء من فضله ورفده، وقد كان يعطيهم ويودهم ويبسط يده إليهم، ولكنَّهم قابلوا المعروف بالنكران، وقابلوا بالإساءة الإحسانَ، ولكن القرآن نزَل يعلِّم المسلمين ما هو أعظم من غلِّ النفوس، وغضب القلوب، نزَل يرتقي بمستوى المؤمنين، فلا ينبغي أنْ ينزِل أبو بكر إلى هذا الحضيض، وأنْ يعامل النَّاس بمثل أعمالهم، وجاء في

QaradawiBooks.com

ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فلمَّا نزلت الآية قال أبو بكر الصديق ﷺ: بلى، نحبُّ أنْ يغفِر الله لنا(١).

هذا درس ينبغي أن نتعلمه من ليلة النصف من شعبان، ومن يوم الاثنين والخميس، حيث يغفر الله تعالى لكلِّ عبد لا يُشرك بالله شيئًا إلَّا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء.

جاء في الحديث الآخر: «**ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا**»(٢). كناية عن عدم قبولها، فلا تُرتفع ولا تصعد إلى الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ولكن هناك أعمالًا تُرد على أصحابها فلا تعلو، هناك شيء يجذبها إلى الأرض؛ لأنَّها من جنس طينها ملوثة، من هؤلاء الثلاثة: «**وأخوان متصارمان**»، متقاطعان، متخاصمان، فانظروا كم يخسر الإنسان بخصومته، بعداوته.

لم يرخِّص لنا الشارع إلَّا في ثلاثة أيَّام، تنطفئ فيها ثورة الغضب، حينما قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الَّذي يبدأ بالسلام**»(٣).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

(٢) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. عن ابن عباس.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٠)، عن أبي أيوب.

QaradawiBooks.com

تخصيص ليلة النصف بالعبادة:

لم يأت في ليلة النصف من شعبان تخصيصها بقيام، ولا تخصيص نهارها بصيام، ولا تخصيصها بدعاء خاصٍّ، وصلوات خاصَّة، كالتي رأينا النَّاس يفعلونها.

رأينا النَّاس من قديم يخصُّون هذه الليلة بالقيام، ونهارها بالصيام، ولم يصح في ذلك حديث، ولا يجوز أنْ تكون الأحاديث الضعيفة والواهية مدركًا لمثل هذه الأعمال والتعبدات؛ فإنَّ الأصل في العبادة المنع إلَّا ما جاء النص الصحيح الصريح بالإذن به؛ حتَّى لا يُشرِّع النَّاس في الدين ما لم يأذن به الله، فكلُّ محدثة بدعة وكلُّ بدعة ضلالة.

كنت أرى النَّاس في صغري يحتفلون بليلة النصف من شعبان، ويعتبرونها موسمًا من المواسم الإسلاميَّة، يذبحون فيها الذبائح، ويجتمعون في المساجد يقرؤون سورة «يس» وليس لهذا أصل، ثمَّ يصلُّون ركعتين بنية طول العمر! وركعتين أخريين بنية الغنى عن الناس! ويقرؤون دعاء مليئًا بالتناقض[1]، ففيه: اللهمَّ إن كنت كتبتني عندك في أمِّ الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقترًا علي في الرزق، فامحُ اللهمَّ بفضلك شقاوتي، وحرماني وطردي، وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا مُوَفقًا للخيرات كلِّها، فإنَّك قلت وقولك الحقُّ في كتابك المنزل وعلى لسان نبيك المرسل: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

(١) عرضت لهذا الدعاء وبيَّنت بطلانه وتناقضه بالتفصيل في فتويين لي في كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٣٧٩ ـ ٣٨٣).

QaradawiBooks.com

وهذا كلام ينقض آخره أوله؛ لأنَّه يقول: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، أي أنَّ أمَّ الكتاب لا محو فيها ولا إثبات، وفي الأوَّل يقول: «إنْ كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا فامح اللهمَّ بفضلك شقاوتي». كيف يستقيم هذا الكلام؟!

وأي دعاء هذا الَّذي يقول فيه: إن كنت فعلت كذا فامح كذا، أو افعل كذا، مع أنَّ النَّبي ﷺ أمرنا إذا دعونا أن نجزم المسألة فقال: «**لا يقل أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهمَّ ارحمني إن شئت، اللهمَّ ارزقني إن شئت، ليعزم مسألته فإنَّه يفعل ما يشاء لا مُكرِه له**»(١). لا ينبغي أن نقول: إن شئت، إن كنت كتبتني شقيًّا، لا، قل: اللهمَّ اغفر لي وارحمني، واجعلني من السعداء.

وفي هذا الدعاء أيضًا يقول القائل: إلٰهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المكرم، الَّتي يُفرق فيها كلُّ أمر حكيم ويُبرم.

وهذا خطأ؛ فالليلة الَّتي يُفرق فيها كلُّ أمر حكيم هي ليلة القدر كما جاء في سورة «الدخان»: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٣ ـ ٥]، والليلة الَّتي أُنزل فيها القرآن هي نفس الليلة الَّتي قال فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وهي بالنص والإجماع في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ما أحوجنا إلى أن ندعو الله تعالى في كلِّ وقت، ولكن ندعوه بالمأثور عن رسول الله ﷺ، وندعوه بما ورد به القرآن، وما أكثر ما ورد في القرآن من أدعية تنشرح بها الصدور، وتطمئن بها القلوب، كـ: خواتيم سورة البقرة، وخواتيم سورة آل عمران، وأدعية الأنبياء وغيرهم من المؤمنين والربَّانيِّين في القرآن.

تحويل القبلة ليلة النصف:

ولم يردْ في ليلة النصف من شعبان تخصيصها بشيء من هذا، كلُّ ما وردَ عن نصف شعبان حادثة عظيمة جرت فيه في السنة الثانية من الهجرة، وهي تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وكانت هذه أمنية رسول الله ﷺ؛ فقد كان قبل ذلك يصلي إلى بيت المقدس كما كان الأنبياء قبله يُصلُّون، وكان وهو في مكَّة يحاول أنْ يجمع بين الأمرين، فكان يصلي بين الركنين: بين الحجر الأسود والركن اليماني، فتكون الكعبة أمامه ويكون أيضًا بيت المقدس أمامه، ولكنَّه تعذَّر عليه ذلك حينما هاجر إلى المدينة، فكان يتمنَّى من قلبه أنْ يوجَّه إلى قبلة أبيه إبراهيم، باني البيت ورافعه، وابنه إسماعيل، والنبي ﷺ وارث ملَّة إبراهيم ومتبِعُها ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣].

كان يتمنَّى ذلك وينتظر الوحي، وينظر إلى السماء دون أنْ ينطق لسانه بشيء، أدبًا مع الله تعالى، حتَّى هيَّأ الله له ما أحبَّ ورضي، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤].

QaradawiBooks.com

انظروا إلى هذا الحبِّ: حقَّق لـه ما يرضاه في الدُّنْيا، ووعده بإعطاء ما يرضاه في الآخرة.

انظروا إلى هذه العبارة النديَّة في آية أخرى حيث قال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

وهنا قال له: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وجَّهه إلـى القبلة الَّتـي كان يتمنَّاها، إلى البيت الحـرام، إلى قبلة إبراهيم عليه السلام.

موقف اليهود من تحويل القبلة:

وهنا ثـارت ضجة، أثارهـا اليهود فـي المدينة، أقامـوا الدُّنْيا ولم يُقعدوهـا: إن محمدًا له كلُّ يـوم رأي، وكل يوم قبلـة، كيف اتجه إلى الكعبة وكان من قبل يتجه إلى بيت المقدس؟ إن كان ما مضى باطلًا فإن صلاة من صلى قبـل ذلك ضائعة، وإن كان حقًّا فكيـف غيَّر هذا الحقَّ اليوم؟ ونزل القرآن الكريم يردُّ على هؤلاء، نزلت آيات كثيرة تمهِّد لهذا الأمر، وتقرر أولًا حقَّ الله تعالى في نسخ ما يشاء من الأحكام والآيات، كما قال تعالـى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

ثم من ناحية أخرى حملت على هؤلاء السـفهاء الَّذيـن ينتهزون أي فرصة لإثارة الشـبهات واختلاق الأقاويل بلا علم ولا بيِّنة، وردَّت عليهم فأفحمتهم، قـال تعالـى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقـرة: ١٤٢]،

QaradawiBooks.com

المشـــرق والمغرب لله، الجهات كلُّها لله تســتوي صخرة بيت المقدس أو الكعبة في مكَّة، كلُّها لله تعالى، الله هو الَّذي يخصص ويأمر، وإلا فالجهات مستوية، كما قال تعالى في نفس السورة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]؛ فهو سبحانه من حقِّه أنْ يخصِّص الجهة الَّتي يريدها ويحبُّها لخلقه ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وقد هدى هذه الأُمَّة إلى أحسن الجهات، اختار لهم أفضل الأماكن، أوَّل بيت وضع للنّاس ليتجهـوا إليه، وليكونوا متعلِّقيـن بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وليجددوا ملَّته في التوحيد ومحاربة الأوثان والأصنام.

ومن هنا ذكر القرآن هذه الوسـطيَّة، وسـطيَّة هـذه الأُمَّة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فهم وسـط في كلِّ شـيء: فـي الاعتقاد، وفـي التعبُّد، وفي الأخلاق، وفي السـلوك، وفي التشـريع، حتَّى القبلة يقول عنها العلماء والباحثون اليـوم: إنَّ الكعبة البيت الحرام تعتبر وسـط العالم، وسـط الدائرة، مركز الدائرة، سُرَّة العالم، هكذا أثبت الأستاذ حسين كمال الدين.

الحكمة من تحويل القبلة:

أمَّا لماذا كانت الكعبة ثانيًا وبيت المقدس أولًا، فهذا سـرُّ الابتلاء، ولهذا يقول القرآن: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

لا بدَّ من امتحان كما حدث في الإسـراء والمعراج، لا بدَّ من تنقية الصفِّ قبل مرحلة الجهاد المقبلة الَّتي يواجه المسلمون فيها أعداء كثرًا: الجبهة الوثنيـة، والجبهـة اليهوديـة، والجبهـة النَّصرانيَّـة، والجبهة المجوسـية، وجبهة المنافقين، لا بدَّ من صفٍّ مؤمن متماسك كالبنيان

QaradawiBooks.com

المرصوص، فلا بدَّ من امتحانٍ يميـز الله فيه الخبيث من الطيب ﴿لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ المؤمـن يقـول: سـمعنا وأطعنا، والمذبذب ينقلب على عقبيه لأدنى شيء، فهذا لا خير فيه.

﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] كان هذا التحويل شـاقًّا بما صحبه من تهاويل، ولكن الَّذين هداهم الله بالإيمان استقبلوه بنفوس مطمئنة، وعرفوا أنَّ هذا من حقِّ الله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقـرة: ١٤٣] الَّذين صلُّوا قبل ذلك نحو بيت المقدس لم تضع صلاتهم، صلاتهم كانت صحيحة فـي وقتها، ولو صلُّوا بعـد هذه الآية إلى بيـت المقدس لبطلت صلاتهم؛ لأنَّ كلَّ حكم صحيح في وقته، فإذا نُسخ فلا يجوز أنْ يُعمل به.

ثم بيَّن الله تعالى بعد ذلك أنَّ المهمَّ في الأمور كلِّها هو صدق التوجُّه إلى الله، البرُّ الحقيقي هو برُّ العقيدة وبرُّ الخلق وبرُّ السـلوك، ولهذا ردَّ على اليهود الَّذين يقفون عند الرسوم والشكليات بقوله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ما سرُّ هذه الضجة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

نسأل الله تعالى أنْ يرزقنا برَّ العقيدة، وبرَّ العبادة، وبرَّ الأخلاق، وبرَّ السلوك، إنَّه سميع قريب.

ادعوا ربكم يَسْتجِب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحويل القبلة ووحدة الأمة:

إنَّ همومنا نحن المسلمين كثيرة ومصائبنا شتَّى، ولا ندري ما المخرج من هذه المصائب الَّتي تتوارد علينا؟ أصبحنا هدفًا لكلِّ السهام، لكلِّ النبال، تنوشنا من كلِّ جانب.

القوى الكبرى تضربنا عن يمين وشمال، ومن شرق وغرب، الشيوعية متمثلة في روسيا تضربنا في أفغانستان، والرأسمالية متمثلة في أمريكا تضربنا في ليبيا، والصليبية الَّتي يعاونها هؤلاء وهؤلاء تضربنا في الفلبين مرَّة، وفي إريتريا مرَّة أخرى، وفي فلسطين، وفي لبنان، عمن نتحدث؟ إنَّها مصائب كثيرة، إنَّها بلايا شتَّى، ما العمل؟ سنظلُّ نُضرب، وسنظلُّ نُطعَن، وسيظلُّ أعداؤنا يطمعون فينا ما دمنا متمزقين، ما دمنا متفرقين، الألف مليون لن تكون لهم قوَّة إلَّا إذا اتحدوا، الاتحاد يقوي القلَّة، والتفرُّق يُضعِف الكثرة.

ولا يمكن أن نتحدَ إلَّا إذا اتحدنا على الإسلام، لا وحدة لنا بغير الإسلام، إذا لم نتناد بالإسلام منهاجًا وشريعة ونظامًا لحياتنا، وأساسًا لوجودنا، سنفترق يمينًا ويسارًا وشرقًا وغربًا، هذا يوالي هؤلاء وهذا يوالي أولئك، وهذا قبلته هنا، وهذا قبلته هناك.

نريد القبلة الواحدة، نريد أن نتجه كلُّنا إلى الكعبة رمز التوحيد، نريد أن يكون قائدنا رسول الله ﷺ، نريد أن يكون كتابنا هو القرآن الكريم،

QaradawiBooks.com

نريد أنْ تكون شريعتنا ومنهاجنا الإسلام، بهذا وحده نتحد ونصبح قوَّة تنصر الصديق، وتُرهِب العدو، وإلا فلا منجاة لنا، سنظلُّ ندور وندور كالحمار في الرحي أو الثور في الساقية، والمكان الَّذي انتهينا إليه هو الَّذي ابتدأنا منه.

لا بدَّ من عمل، والعمل الأساسي أنْ تُوحد هذه الأُمَّة على الإيمان والإسلام، على أنْ تسير خلف رسول الله ﷺ، تلتمس القدوة وتلتمس الهدى والنور، وتتخذ كتاب الله أساسًا لحياتها، ولا تتخذه مهجورًا؛ حتَّى لا يخاصمها النَّبي ﷺ ويقول: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، هذا وحده هو سبيل الخلاص، ولا سبيل سواه، هذا وحده هو طوق النجاة ولا طوق غيره، وبدون هذا لن تُنتِج المؤتمرات، ولا الاجتماعات، ولا البرقيَّات، ولا الاستنكارات، لن يُنتج هذا كلُّه شيئًا.

لا بدَّ من عودة حقيقية إلى الله، أن نضع أيدينا في يد الله، أن ننتزع الأحقاد والعداوات، إن كان ضروريًّا بالنسبة للأفراد، فكيف بأحقاد الجماعات والدول؟ لماذا هذه الأحقاد، داء الأمم، الحالقة الَّتي تحلق الدين وتحلِق الوجود كله؟ لا بدَّ من عودة الأخوة، لا بدَّ من عودة الصفاء، ولا صفاء إلَّا بالإيمان، ولا أخوة إلَّا بالإسلام.

اللهمَّ اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإســلام، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهمَّ آمين. وأقم الصلاة.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥
يوم الامتحان الأعظم

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كلَّما أقبلت مواسم الامتحانات، ورأيتُ الطلاب والطالبات منكبِّين على دروسهم، منهمكين في مذاكرتهم، مشغولين بيوم آتٍ لا ريب فيه، هو يوم الامتحان، يوم يُكْرم المرء فيه أو يُهان، كلَّما رأيت هذه المواسم ورأيت الانشغال والجدَّ، والاهتمام والحرص، وترقُّب هذا اليوم بقلق وخوف، ذكَّرني ذلك بامتحان أكبر يغفل النَّاس عنه ويهملونه، ويضعونه دَبْر آذانهم، وتحت أقدامهم، ذلك الامتحان الأكبر هو امتحان يوم القيامة.

بين امتحان الدنيا والآخرة:

امتحانات الدُّنيا مهما تكن نتائجها تهون، النَّاس يُشغلون بها كلّ الشغل، ينشغل الطالب وأهلُه، ينشغل الأبناء والبنات، والآباء والأمهات، تنشغل الأسرة كلُّها بهذه الامتحانات، وتُسَرُّ إذا كانت النتيجة حسنة، وتُساء وتحزن إذا كانت النتيجة سيئة، فبيتٌ فرح مسرور، وبيتٌ آخر آسٍ حزين، ولكن لماذا يكون السرور؟ ولماذا يكون الحزن؟

QaradawiBooks.com

السـرور لأنَّ الإنسـان قد اجتنى ثمرة اجتهاده وجدّه، فمن حقَّه أنْ يفرح، ومن حقّ أهله أنْ يفرحوا، وآخر قد جنى نتيجة تفريطه، فمِن شأنه أنْ يحزن وأنْ يُساء، ومِن شأن أهله كذلك.

إلَّا أنَّ امتحانات الآخرة أشـدُّ خطرًا، وأبقى وأخلد أثرًا، امتحانات الدُّنْيا تهون؛ لأنَّ الامتحان يمكن أنْ يُعوَّض، يُمكن أنْ يكون له مُلحق، أنْ يكون له دور ثان، يمكن أنْ يُعيد السَّنَة ويستدرك ما فات.

صحيـح أنَّ هنـاك فرقًا بيـن السـابقين واللاحقيـن، والمتفوقين والمتأخريـن، ولكـن الأمور يمكـن أنْ تتدارك، لكـن امتحان الآخرة لا تدارك فيه، هنـاك يوم لا ريب فيـه، يُمتحن فيه المكلَّفـون جميعًا، عربهـم، وعجمهـم، ذكورهـم وإناثهم، غنيهـم وفقيرهـم، حكامهم ومحكوموهم، فهم جميعًـا يُمتحنون في هذا اليوم، فمـاذا قدَّموا لهذا اليوم، هل زرعوا فهم يحصدون؟ هل غرسـوا فهـم يجتنون؟ أو فرَّطوا وأضاعوا؟ اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، اليوم الغرس وغدًا اجتناء الثمرات، اليوم الزرع وغدًا الحصاد، وقد قال القائل:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر(١)

وهذا هو زمن البذر، الدُّنْيـا مزرعة الآخرة، فمـن أراد أنْ يحصد غدًا فليزرع اليوم، فليقدم لنفسه قبل أنْ يأتي يوم الامتحان، وهو يوم لا غِش فيه.

انشغال كل إنسان بنفسه في الآخرة:

إذا كان النَّاس يغشُّون في امتحان الدُّنْيا، ويتعاون بعضهم على الإثم والعدوان، فليس في امتحان الآخرة غش، وليس فيه مساعدة، لا يساعد

(١) من شعر خالد بن معدان. انظر: عيون الأخبار (٣٩٨/٢)، والعقد الفريد (١٣٣/٣).

QaradawiBooks.com

أحد أحدًا، لا يساعد الابن أباه، ولا الأب ابنه، ولا الزوج زوجه، ولا الصديق صديقه، كلُّ إنسان مشغول بنفسه، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ ـ ٣٧]، كلّ إنسان يقول: نفسي نفسي ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣].

كلٌّ يطلب النجاة لنفسه، لا يدري قد ينقص ميزانه حسنة واحدة فكيف يمنحها لغيره؟ الميزان بالحسنات والسيِّئات، التعامل ليس بالدرهم والدينار، ولا بالريال ولا بالدولار، ولكن العُملة الوحيدة في ذلك اليوم الحسنات والسيِّئات، فلا ينفع أحدٌ أحدًا، إنَّه يوم الأنانيَّة المفرطة، يوم الفرديَّة المطلقة، حتَّى الأبوة، حتَّى الأمومة، حتَّى هذه العواطف الحانية لا وجود لها في ذلك اليوم كلٌّ يقول: نفسي نفسي، النجاة النجاة.

جاء في «الصحيح»، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**يُحشر النَّاس حُفاةً عُراةً غُرلًا**». غير مختونين. قالت عائشة: فقلت: الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أشدُّ من أنْ يُهمهم ذاك**»(١).

الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض، كلٌّ مشغول بنفسه.

قيل: وما شغله؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

أجل، كلٌّ مشغول بمصيره: أيسعد سعادة الأبد أم يشقى شقوة الأبد؟ أيكون من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟ إنَّه يوم الحساب الأكبر، يوم الامتحان الأعظم، ولكنَّ النَّاس في غفلة عن هذا اليوم، الطالب المُجِدُّ

(١) سبق تخريجه صـ ١٢٥.

QaradawiBooks.com

يعدُّ ليوم الامتحان من أوَّل العام، يجتهد ويستذكر ويراجع وينتبه؛ حتَّى يجني الثمرة في النهاية نجاحًا وفلاحًا وتفوقًا يُبشَّـر به ويهنأ به، ولكن العاجز الكسلان يتبع نفسه هواها، ويتمنَّى على الله الأماني.

وكذلك النَّاس في الآخرة، هناك من يعدُّ للحساب عُدَّته، من يتهيأ ليوم الامتحان الأكبر، ومن يغفل عن هذا اليوم.

والناس في هذا أصناف ثلاثة:

الصنف الأول:

صنف لا يؤمن بالآخرة، يظنُّ أنَّه خُلق لهذه الدُّنْيا وحدها، لا يؤمن بحساب ولا جزاء ولا جنَّة ولا نار، أولئك هم الماديُّون والدهريّون والشيوعيون وغيرهم من الملاحدة قديمًا وحديثًا، أولئك الَّذين ظنُّوا قصة الحياة أرحامًا تدفع، وأرضًا تبلع، ولا شيء وراء ذلك ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

هكذا وُجِد من قديم وحديث أناس يظنُّون أنَّ هذه الحياة هي كلّ شيء، هي المبدأ والمنتهى، هي الأولى والآخرة، ولا شيء غيرها، لماذا إذن كان هذا الخَلْق؟ لماذا إذن كانت هذه الحياة؟ لماذا انتصب هذا السوق؟ إذا كانت هذه الدُّنْيا ستنتهي ولا حياة بعد ذلك، ولا بعث، ولا حساب، وقد نهب الناهب، وسرق السارق، وظلم الظالم، وقَتل القاتل، وطغى الطاغي، إذا كان كلّ هؤلاء ستطوَى صفحاتهم ولا يجازَى أحدهم بما عمل فأين العدل إذن؟ أين الحكمة؟ إنَّ بعض هؤلاء قد فرَّ من عدالة الأرض فأين عدالة السماء؟ قد هرب من عدالة الدُّنْيا، ألا توجد عدالة أخرى؟ بل بعض من هؤلاء من واضعي القوانين وحرَّاسها،

QaradawiBooks.com

حاميهـا حراميها! هؤلاء لم يجازوا في الدُّنْيا، أفـلا يوجد عدل؟ إذا لم يكن هناك آخرة فلا عدل.

كيف يُسـوَّى هؤلاء الظلمة الطغـاة بآخرين نصـروا الحق، وفعلوا الخير، وقاوَموا الظلم، وأمـروا بالمعروف، ونهوا عـن المنكر، فأعلن الطغاة حربًا عليهم، وساموهم سوء العذاب، فشُرِّد من شُرِّد، وعُذِّب من عُذِّب، وقُتل من قُتِل؟

ما الَّذي يعوِّض هؤلاء عما قاسوه في الدُّنْيا في سبيل الحق والعدل، إذا لم تكن هناك حياة أخرى؟

أينتهي الأمر بنجاة أهل الباطل والظلـم، وإبادة أهل الحقِّ والخير؟ وقد قُضي الأمر، وخُتِم الكتاب، وأُسدل الستار؟!

هذا هو الباطل الَّذي يتنزه الله تعالى عنه، هذا هو العبث الَّذي لا يليق بحكمته وجلاله، ولهذا يقـول الله تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ويقول الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]، لا والله لا يسـتويان ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الجاثية: ٢١، ٢٢].

الحق الَّذي قامت عليه السماوات والأرض أنَّه لا بدَّ من جزاء عادل، لا بدَّ من أنْ تُوفى كلُّ نفس ما كسبت وتُخلَّد فيما عملت، إنْ خيرًا فخير،

QaradawiBooks.com

وإنْ شرًّا فشرٌّ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

هناك عدالة إلهيَّة، هناك قصاص لا بدَّ منه، حتَّى إنَّه ليُقتص للشاة الجلحاء الَّتي لا قرن لها من الشاة القرناء، الَّتي اعتدت عليها ونطحتها كما جاء ذلك في «صحيح مسلم»[١]، دلالة رمزية على أنَّ العدل الإلٰهي عدلٌ شاملٌ، لا يمكن أنْ يهرب منه أحد، قسطاس مستقيم، وميزان عادل لا جَور فيه.

جاء رجل من أصحاب النَّبي ﷺ فقال: إنَّ لي مملوكين يكْذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقْتُص لهم منك الفضل الَّذي بقي قِبَلك**». فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي.

فقال له رسول الله ﷺ: «**أما تقرأ قول الله**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]».

فقال الرجل: يا رسولَ الله، ما أجد لي ولهؤلاء خيرًا من مفارقتهم، أُشهدك أنَّهم كلهم أحرار[٢].

(١) وفيه: «لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٢)، وأحمد (٩٣٣٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٦٤٠١)، وقال مخرِّجوه: حديث ضعيف. والترمذي في التفسير (٣١٦٣)، واستغربه. وصحَّح إسناده الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ما دامت المســألة بهذا التحديد وهذا التدقيق فليُرح نفسه ويعتقهم لوجه الله، لا بدَّ من حساب وميزان لحبَّة الخردل.

هناك أناس لا يؤمنون بالآخرة، لا يؤمنون بالبعث والحساب، يستبعدون علـى الله تعالى أن يعيــد خلقًا بــدأه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يـس: ٧٨، ٧٩]، هؤلاء هم الماديون المنكرون للآخرة، وهم الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨].

هذا صنف من النَّاس.

الصنف الثاني:

وهناك صنف آخر يؤمنون بالآخــرة، ويؤمنون بأنَّ بعد الموت بعثًا، وأنَّ بعد البعث حســابًا، وأنَّ هناك جنَّة ونارًا، ولكنَّهم غافلون عن هذا المصير، غرِقوا إلى آذانهم في دنياهم، عاشــوا ليومهم ونســوا غدهم، أحبُّوا الدُّنْيا ونسوا الآخرة، وأحبُّوا المال ونسوا الحساب، وأحبُّوا الخَلق ونسوا الخالق، وأحبُّوا القصور ونســوا القبور، هؤلاء مؤمنون بالآخرة، ولكنَّه إيمان نائم مخدر ضعيف، لا يبعث على عمل، لا يحفِّز إلى خير، ولا يردع عن شرٍّ، ليس هذا هو الإيمان المراد، نريد إيمانًا بالآخرة يدفع إلى عمل الخير، ويزع عن فعل الشرِّ.

أكثرنا للأســف من هذا الصنف الثاني، كلُّنا يؤمن بأن هناك آخرة، كلُّنا يؤمن بيوم القيامــة، كلُّنا يؤمن بالجنَّة والنَّــار، ولكن من منَّا الَّذي

QaradawiBooks.com

يذكر ذلك في مصبحه وممساه، وغدوته وروحته، وجلوته وخلوته؟! وقد قال النَّبي ﷺ لابن عمر: «**كن في الدُّنْيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[١].

ما يدريك أيُّها الإنسان أنَّكَ إذا أصبحت ستعيش إلى المساء؟ وما يدريك إذا أمسيت أنَّكَ ستبقى إلى الصباح؟ فالأمر ليس في يدك، إنَّما هو في يد غيرك، والأجَل مجهول لا يعرفه أحد ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، ونحن نعرف في هذا العصر موت الفجأة، الموت بالذبحة الصدرية، أو بالسكتة القلبيَّة، أو بغير ذلك من الأمراض الَّتي عرفها النَّاس في هذا العصر، ونعرف الموت بالحوادث، حوادث السيارات أو حوادث الطائرات أو حوادث البواخر، أو غير ذلك.

وقد لا تخطئ أنت، ولكن يأتي من يخطئ فيدهمك ويَقضي عليك، قد تكون ماشيًا على قدميك، فيأتي من يصعد إلى حافة الطريق ويصدمك فتلقى أجلك، كلُّ هذا وارد، فهل أعددنا للموت ولما بعد الموت عُدَّته؟

الموت أهون ما بعده وأشدُّ ما قبله، الموت أشدُّ من أي شيء عرض للإنسان في حياته، ولكنَّه أهون من كلّ المراحل الَّتي تأتي بعد ذلك.

بعد الموت هناك القبر، وبعد القبر هناك الحشر، الموقف، الحساب، الميزان، الصُّحف، الصراط، الجنَّة، النَّار، هذا كلُّه بعد الموت.

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦).

QaradawiBooks.com

كان عثمان بن عفان ﵁ إذا وقـف على قبر يبكي حتَّى يبلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنَّة والنَّار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟

فقال: إنِّي سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**القبر أوَّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ**».

قال: وسـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**ما رأيت منظرًا قط إلَّا والقبر أفظع منه**»[1].

يقول هانئ مولى عثمان: وسمعتُ عثمان ينشد على قبر:

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّـي لَا إِخَالُـكَ نَاجِيًـا[2]

إن تنج من هذه المنزلة من منـازل الآخرة تنج من ذي عظيمة، تنج من هول شديد، وإلا فانتظر ما بعده.

«**ما رأيـت منظرًا قـط إلَّا والقبـر أفظع منـه**». ما أصدقهـا كلمة! وما أبلغها! ولكن لإلفنا هذا المنظر أصبح لا يؤثر فينا.

تصوروا إنسـانًا يعيش في حياة ناعمة، في بيـت مكيف، في أثاث ورياش، وربَّما في قصر ضخم، وحوله خدم وحشم، ينتقل بعد ذلك إلى

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، كلاهما في الزهد، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. والحاكم في الجنائز (٣٧١/١)، وصحَّحه، وقال الذهبي: ابـن بحير ـ أحد الرواة ـ ليس بالعمدة. ومنهم مـن يقويه، وهانئ روى عن جماعة، ولا ذكر له في الكتب السـتة اهـ. والعجب أنَّ الذهبي وافق الحاكم على تصحيح حديث من طريق ابن بحير قبل هذا الحديث مباشـرة. وابن بحيـر وثقه ابن معين وغيره، واضطرب فيه قول ابن حبان، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٣).

(٢) الترغيب والترهيب (١٩٢/٤)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. والبيت نسبه الجاحظ للأسود بن سريع ﵁، انظر: البيان والتبيين (٢٩٣/١).

QaradawiBooks.com

هذه الحفرة، ويوضع فيها وحده، لا أنيس، لا جليس، لا خدم، لا حشم، لا حرَّاس، ليس معه شيء إلَّا عمله، ماذا يصنع بما ترك خلفه؟ هبْ أن عنده الملايين هل يصحب منها شيئًا؟ هل توضع معه صناديق الذهب؟ ولو وضعوها معه هل يُرشى منكر ونكير؟ لا، لا ينفع أحدًا شيء ممَّا خلَّفه وراءه من دنياه وتراثه.

إذا مات العبد قالت الملائكة: ماذا قدَّم؟ وقال الناس: ماذا خلَّف؟ النَّاس يسألون: كم ترك من رصيد في البنوك؟ كم ترك من عمارات وبنايات؟ كم ترك من عقار وأموال؟ ماذا خلَّف وراءه؟

والملائكة تسأل: ماذا قدَّم أمامه؟ لأنَّ الَّذي ينفعه ليس ما خلَّفه وإنَّما ما قدَّمه. ما خلَّفه قد ينفعه وقد لا ينفعه، بل كثيرًا ما يتضرر به؛ لأنَّه جمعه من غير حلِّه، أو بخلَ به عن حقِّه، وتركه لمن لا يؤدون حقَّ الله فيه.

وبعد القبر يأتي المحشر، يأتي الموقف، يأتي الحساب، تأتي هذه المراحل كلُّها، ولذلك كان الموت أهون من كلّ ما بعده.

رأى الحسن البصري رضي الله عنه ميتًا يُدفن فقال: إنَّ أمرًا هذا آخره لجدير أنْ يزهد في أوله ـ أي: في الدُّنْيا الَّتي قبله ـ وإنَّ أمرًا هذا أوله لجدير أنْ يخاف آخره، أي: لما يأتي بعد ذلك من مواقف القيامة(١).

الناس أصناف ثلاثة.

الصنف الثالث:

صنف لا يؤمن بالآخرة، من الماديين الجاحدين أعاذنا الله من شرِّهم. وصنف يؤمن بالآخرة، ولكنَّه غافل عنها، لا تعيش الآخرة نصب

(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٨٢).

QaradawiBooks.com

عينيه، بل يدَعها وراء ظهره، كأنَّما جعلها نسـيًا منسـيًّا، أو كتابًا مطويًّا لا يريد أنْ يفتحه.

والصنف الثالث هم الَّذين يؤمنون بالآخرة ويعيشـون لها ويسعَوْن سعيها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩] هؤلاء هم المؤمنون الصادقون الَّذيـن يعلمـون أنَّ الدُّنيا إنَّما هـي دار ممر لا دار مقـر، وأنَّها مزرعة للآخـرة، وأنَّهم لم يُخلقوا للدنيـا وإنَّما خُلِقت لهم الدُّنيـا، هم خُلِقوا للآخرة، خُلِقوا لله، فهم يتخذون الدُّنْيا مطيَّة يرتحلونها في سـفرهم إلى الله، ولا يتخذونها ربًّا فتتخذهم عبيدًا.

وهم يذكرون الآخـرون دومًا، كان عمر بـن الخطاب رضي الله عنه يقول: لولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون[1]. أي: كان كلُّ إنسان يصنع ما بدا له، ويفعـل ما يحلو له، يعبُّ من الشـهوات عبًّا، ويرتكب من الموبقات ما يرتكب، ويعتدي علـى كلِّ ضعيف، وكانت الحياة غابة يفترس فيها القويُّ الضعيفَ، ولكن القيامة هي الَّتي جعلت عمر يعفُّ عن المال العام، ويعيش بثوب مُرقَّع، وكنوز كسـرى وقيصر تأتي إليه من هنا وهناك.

كانوا يعلمون أنَّ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدُّنْيا، فلا يريدون عيشهم، إنَّما أرادوا أنْ يعيشوا في الدُّنيا بقلوب أهل الآخرة ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧] خوف يوم القيامة هو الَّذي قطَّع نِياط قلوب المؤمنين، وجعلهم يعشون دائمًا بآمال الآخرة.

(١) رواه أبو داود في الزهد (٩٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٧/٨).

QaradawiBooks.com

سُئل بعض السلف: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ قريبًا أجلي، بعيدًا أملي، سيئًا عملي[١].

وسُئل الإمام الشافعي: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ سأله المُزَني في علَّته الأخيرة فقال: أصبحت عن الدُّنْيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله تعالى واردًا، ولا أدري روحي تصير إلى الجنَّة فأُهنِّيها أم إلى النَّار فأُعزِّيها؟ ثمَّ أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سُلَّمَا
تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنتُه ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تزل ... تجودُ وتعفو منَّةً وتكرُّما
ولولاك لم يصمد لإبليس عابدٌ ... فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما[٢]؟

لو أنَّ النَّاس استحضروا الآخرة، استحضروا الموت، استحضروا القبر، استحضروا القيامة، استحضروا الميزان والصراط، استحضروا الجنَّة والنَّار، لانحلت مشكلات هذه الحياة، لما رأينا الصراع على هذا المتاع الأدنى، ما رأينا الإنسان يقاتل أهله، ويجافي إخوانه، ما رأينا تنازع البقاء أو تنازع الفناء الَّذي نشهده.

الغفلة عن الآخرة أشر ما يصيب الإنسان:

إنَّ مشكلة النَّاس في عصرنا أنَّ الآخرة غائبة عنهم، لو أنَّ الآخرة حاضرة مشهودة في وعيهم، في عقولهم، في قلوبهم، لحلّت المشكلات، لتسامح النَّاس، لأُعطي كلّ ذي حقٍّ حقَّه، لما تظالم النَّاس ولا طغى

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٦/١٥٧)، والقائل: محمد بن واسع الأزدي.
(٢) المصدر السابق (٥٠/٣٣١، ٣٣٢).

QaradawiBooks.com

بعضهم على بعـض، ولكنَّها الغفلة عن الآخرة، والغفلة شـرٌّ ما يصيب النّاس، ولهذا قال الله تعالى في ذمِّ قـومٍ جعلهم حطب جهنم: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وكان من دعاء السـلف رضي الله عنهم: اللهمَّ لا تدعنا فـي غمرة، ولا تأخذنا على غِرَّة، ولا تجعلنا من الغافلين.

نسأل الله تعالى ألا يجعل الدُّنْيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وأن يجعل الآخرة نصب أعيننا.

اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله لي ولكم، فاسـتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة:

التبكير يوم الجمعة:

ألاحظ أنَّ هناك بعض الإخوة يحضرون متأخرين، وهؤلاء يُفوِّتون على أنفسهم ثوابًا عظيمًا، فقد صحَّت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن «**من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثمَّ راح في الساعة الأولى ـ أي: في الفوج الأوَّل ـ فكأنما قرَّب بدنَة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»[1]. كأنَّ السِّجل الَّذي يُكتب فيه الحضور والغياب طُوي، انتهى؛ لأنَّه جاء بعد الوقت المحدد، فهذا يحرِم نفسه خيرًا كثيرًا، ثمَّ يضطر إلى تخطي الرقاب فيؤذي الآخرين، ولهذا أوصي الإخوة بالتبكير.

إنَّ كلَّ لحظة تبقاها في المسجد تُكتب لك صلاة، الإنسان في المسجد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة حتَّى يُحدث أو يخرج من المسجد، وما دام في المسجد ينتظر الصلاة فإنَّ الملائكة تصلي عليه، تدعو له، تقول: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه، حتَّى يُحدث أو يخرج من المسجد[2].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي ـ يعني عليه الملائكة ـ ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه». متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٧٧)، ومسلم في المساجد (٦٤٩).

QaradawiBooks.com

فاحرص على أن تجلس في المسـجد بنيَّة الاعتكاف لله تعالى، ليكن لك عبادة ومثوبة عند الله، وبخاصَّة أننا مُقبِلون على الموسم العظيم، على شهر رمضان، شـهر القرآن، شـهر العبادة، شـهر الصيام والقيام. فهيئوا أنفسـكم له بالنية الصادقة، بالتوبـة النصوح، بالعـزم المصمم على أن تخرجوا منه مغفورًا لكم فـ «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[1]، «**ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[2].

اللهمَّ اغفر لنا ما مضـى، وأصْلِح لنا ما بقي، واجعل يومنا خيرًا من أمْسِـنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِـن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ آمين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخـاري في الإيمان (٣٧)، ومسـلم في صلاة المسـافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليـه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠١)، ومسـلم في صلاة المسـافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٦
فضل شهر رمضان

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إنَّ لربِّنا في دهرنا نفحات، تأتينا نفحةٌ بعد نفحة، تذكِّرنا كلَّما نسينا، وتنبِّهنا كلُّما غفلنا، وتقوينا على عزائم الخير كلَّما ضعفنا.

إنَّها مواسم للخيرات، يتيحها الله تعالى لعباده؛ ليتزوَّدوا منها ما استطاعوا، وخير الزاد التقوى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

رمضان أعظم مواسم الخير:

وإنَّ أعظم مواسم الخير هو هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، الَّذي فضَّله الله تعالى بنزول القرآن فيه، أعظم الكتب، كلام الله الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دستورٌ خالد لهداية الخلْق، وقانون السماء لهداية الأرض ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

إنَّ الله تعالى منَّ على هذه الأُمَّة بهذا الشهر من كلِّ عام، يزورها

QaradawiBooks.com

ضيفًا كريمًا، فمن النَّاس من يُحسن وفادته، من النَّاس من يُكرمه، ومن النَّاس من يخرج عنه رمضان وهو يحمل له أسوأ الأثر والذكريات.

فطوبى لمن شُفِّع فيه رمضان، وطوبى لمن شُفِّع فيه القرآن «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ، منعته الطعام والشهوة فشفِّعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه. قال: فَيُشَفَّعَانِ**»[١].

رمضان موسمٌ للخيرات يُتيحه الله تعالى للإنسان، هو موسم المتَّقين ومتْجر الصالحين، لكلِّ بضاعة موسم، ولكلِّ تجارة مَوْسم، يترقَّبه أهلها، لماذا؟ ليزيدوا من حسناتهم ويضاعفوا من جهدهم، عسى أن يزيد ربحهم، وما قيمة الربح؟ إنهم يزيدون النشاط، فيركبون الأخطار، ويصِلُون الليل بالنهار في سبيل ربح قد يكون وقد لا يكون، وإذا كان فقد ينتفعون به وقد لا ينتفعون، وإذا انتفعوا به يومًا فإنهم عنه زائلون، إنْ دام لهم فهم أنفسهم لا يدومون.

هَب الدُّنيا تُساق إليك عفوًا ... أليس مصيرُ ذاك إلى انتقالِ
وما دُنياك إلَّا مثل ظلٍّ ... أظلَّك ثمَّ آذن بالزوال[٢]

إنَّ للدنيا تجارًا، وإن للآخرة تجارًا، تجار الدُّنْيا يترقَّبون مواسمها ليربحوا، وتجار الآخرة يترقبون مواسمها أيضًا ليربحوا، ولكن ربح هؤلاء غير ربح أولئك، إنَّ ربحهم مغفرة من ربِّهم وجنَّات تجري من

---

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/١٣)، والحاكم في فضائل القرآن (٦٦٢٦)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٨١): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) البيت لأبي العتاهية، انظر: لباب الآداب للثعالبي صـ١٧٢، نشر دار الكتب العلمية، ط١.

QaradawiBooks.com

تحتها الأنهار، تجّار الآخرة هم كما وصفهم الله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

إدراك رمضان فرصة وغنيمة:

يأتي رمضان كلَّ عام فرصة للإنسان المسلم؛ ليزداد من الخيرات، ويقلِّل من أسباب السيِّئات.

الخير مفتوحة أبوابه، الجنَّة مفتَّحة أبوابها، والنَّار مُغلَّقة أبوابها، والشياطين مُقيَّدة مُصفَّدة، دلالة على أنَّ أسباب الخير كثيرة متوافرة، وأسباب الشرِّ قليلة محدودة.

فيا سعادة من انتفع بهذه الفرصة، جاء في «الصحيحين»، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنّة، وغُلِّقت أبوب النار، وصُفِّدت الشياطين**»[(١)].

وجاء في بعض الأحاديث: «**وينادي منادٍ: يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر**»[(٢)].

يا باغيَ الخير أقبِل، الفرصة أمامك، بحسبك من الغفلة عن الله أحد عشر شهرًا مضت، يا طالب الخير أقبل، الحسنات تُضاعف، الباب مفتوح، ضع يدك في يد الله تعالى، يا باغي الخير أقبل على الله بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وابن خزيمة (١٨٨٣)، ثلاثتهم في الصيام، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الصيام المطلوب:

حسن الصيام: ألا يكون صيامك مجرد صيام البطن والفرج، ولكن لسانك مفطر، وعينيك مفطرتان، وأذنيك مفطرتان، وجوارحك مفطرة.

عينك مفطرة بالنظر إلى الحرام، ولسانك مفطر بالكذب أو الغيبة أو النميمة أو السخرية أو اللغو، وأذنك مفطرة بسماع الأغاني الفارغة، وسماع الألفاظ السخيفة، لا ينبغي لك ـ أيُّها المسلم ـ أن يصوم بطنك وفرجك، وكلُّك مفطر. تصوم عمَّا أحلَّ الله من الطعام والشراب، وتُفطر على ما حرَّم الله من المعاصي، يقول الحديث الصحيح: «**من لم يدعْ قولَ الزور والعمل به، فليس لله حاجة أنْ يدع طعامه وشرابه**»(١). لم يتأدب بأدب الإسلام، ما دام لم يحصِّن نفسه من المعاصي: «**والصيام جنَّة** ـ درع من المعاصي ومن الآثام في الدُّنْيا، ومن النَّار في الآخرة، جنَّة كجنة أحدكم من القتال ـ **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحد، أو قاتله، فليقل: إنِّي صائم، إنِّي صائم**»(٢).

لا يقابِل السيِّئة بالسيِّئة، بل يقابل السيِّئة بالحسنة. يتذكَّر أنَّه في عبادة ينبغي ألا تُخدَش ولا تُجرَح، فيقول بقلبه ويقول بلسانه، مخاطبًا نفسه ومخاطبًا من يسبُّه ويشتمه، يقول: إنِّي صائم، إنِّي صائم.

الأمر إذنْ ليس كما يفعل كثير من سفهاء النّاس، يتطاول أحدهم بلسانه على الخلق، ثمَّ يقول: اعذرني فإنِّي صائم، كأنَّ الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس! لا، بل ينبغي للصائم أنْ ينضبط، أنْ يهذِّب نفسه، أنْ يصون لسانه، كما يصون أذنه، كما يصون عينيه، كما يصون جوارحه

(١) رواه البخاري في الصيام (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كلها «**رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع**»[١]. أتعب نفسه، وأجهد جسمه، وأجاع بطنه، ولكنَّه لم يقم للصيام بحقِّه.

هل المعاصي تفطر الصائم:

ذهبت عائشة رضي الله عنها، وذهب الأوزاعي، وذهب الظاهرية، وذهب عدد من فقهاء السلف، إلى أنَّ الغيبة والنميمة والكذب والمعاصي كلَّها تفطر الصائم، ومن ارتكب شيئًا من ذلك فعليه أنْ يقضي يومًا بدل هذا اليوم[٢].

وقال سائر الصحابة وجمهور العلماء: إنَّها لا تفطر الصائم، ولكنَّها تَذهبُ بثوابه وأجره عند الله.

وهل هذا هين؟

أن تجوع وتظمأ، ويجفَّ ريقك يومًا كاملًا، ثمَّ بعد ذلك لا يكون لك مثوبة عند الله، تخرج خاوي الوفاض، بادي الإنفاض، ليس لك شيء.

صُن نفسك، صُن لسانك، صُن أذنيك، صُن عينيك، صُن يديك، صُن رجليك، صُن جوارحك كلَّها، حتَّى لا تمس حرامًا، ولا تفعل حرامًا.

رمضان شهر التطهر والسمو الروحي:

حاوِل أنْ تتطهر في هذا الشهر الكريم، إنَّه شهر التطهُّر، الله أتاح لنا فرصة بعد فرصة لنتطهر. علم الله أنَّ فينا ضعفًا، وأنَّه خلقنا خلقًا مزدوج الطبيعة، فينا الطين وفينا الروح، فينا الصلصال والحمأ المسنون، وفينا

(١) رواه أحمد (٩٦٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه (١٦٩٠)، والحاكم (٤٣١/١)، كلاهما في الصوم، وصحَّحه الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٠١)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: المحلى بالآثار (٣٠٥/٤ ـ ٣٠٨)، نشر دار الفكر، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سـرُّ قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]. فأحيانًا يغلب الإنسـان جانبه الطيني، فيهوى إلى الأرض ويخلَد إليها، وأحيانًا يغلب جانبه الروحي، فيرقى حتَّى يصعد إلى الملائكة.

الصيام شـرعه الله لنا لنرقى إلى أفق الملائكة، ليرتقـي فينا الجزء الرباني السماوي على الجزء الأرضي الطيني.

الإنسان ليس جسـمًا فقط، الإنسـان جسـم وروح، بل الروح هو الحقيقة، والجسـم هو الغُلاف، فلا يجوز له أنْ يعيش لجسـمه وبدنه، ويُغفِل نفسه وروحه الَّتي بين جنبيه.

يا خادمَ الجسم كم تشقَى بخدمته ... أتطلبُ الربحَ ممَّا فيه خُسـران؟!
أقبل على النفسِ واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفسِ لا بالجسم إنسان(١)

من هنا شرع الله الصيام ليرقى بالإنسان، ليرقى بنفسه وروحه؛ حتَّى يكون إنسـانًا حقًّا، فلقد عاش بعض الأحيان أقرب إلى الحيوان، وربَّما أقرب إلى الشيطان، ورمضان فرصة ليتطهر ويصعد إلى أفق أعلى.

الصيام تدريب على العبودية لله:

هذه فرصتك أيُّها الإنسـان المسـلم، الصيام يقرِّبك من الله تعالى؛ لأنَّك حرَمت نفسك ممَّا اعتدته من قبل، لا لشيء إلَّا لإرضاء الله تعالى.

ما الَّذي غيَّر نظام حياتـك؟ كنت تأكل في الصبـاح، وتأكل في الظهيرة، فغيَّرت هـذا النظام، ثُرت على مألوفاتـك، ما الَّذي جعلك تفعل هذا؟

(١) من شعر أبي الفتح البُستي، انظر: قصيدة عنوان الحكم صـ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

إنَّه العبوديَّة لله تعالى، ولذلك جـاء في الحديث: «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلَّا الصوم فهو لي وأنا أجزي بـه، يدَع الطعام من أجلي، ويدَع الشـراب من أجلي، ويدَع لذَّته من أجلي، ويدَع زوجته من أجلي**»(١).

من أجل الله وحدَه، يترك الإنسان ما تشـتهيه نفسه، ولهذا نسب الله هذه العبادة إليه.

الإنسان المسـلم في رمضان يرتقي ويتطهَّر، الله أعطانا فرصة يومية للتطهُّر بالصلوات الخمس «**أرأيتم لو أنَّ نهرًا على باب أحدكم، يغتسل فيه كلُّ يـوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شـيء؟**». هكذا سـألهم النَّبي ﷺ ـ قالوا: لا يبقى من درنه شـيء. قال: «**فذلـك مثَل الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الخطايا**»(٢).

فرصة يومية، حمَّام يومي يغتسل فيه الإنسان كلَّ يوم خمس مرات؛ ليتطهر من أوضار ذنوبه، وأنجاس خطاياه.

ثم تأتي فرصة أسبوعية في يوم الجمعة.

ثم تأتـي الفرصة السـنوية في رمضـان، بصيامه وقيامـه، جاء في الحديث الصحيح: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»(٣)، و«**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه**»(٤).

---

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، عن أبي هريرة، وأصل الحديث في الصحيحين.

(٢) متَّفـق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسـلم في المسـاجد (٦٦٧)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٧٨.

(٤) سبق تخريجه صـ ٢٧٨.

QaradawiBooks.com

أي: من الصغائر كما دلت الأحاديث الأخرى، أمَّا الكبائر فلا بدَّ لها من توبة نصوح.

وفي «الصحيح»: «**الصلوات الخمس، والجُمعة إلى الجُمعة، ورمضان إلى رمضان مكفِّرات لما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**»[(١)].

الصيام والقيام من أسباب المغفرة:

الصيام والقيام يؤديان بك إلى مغفرة الله تعالى، إذا أردتَ أنْ تخرج من هذا الشهر مغفورًا لك، فعليك بأنْ تُحسن الصيام، وتُحسن القيام. أنْ تصوم صومَ المؤمنين المحتسبين، وتقوم قيام المؤمنين المحتسبين.

ولهذا يا ويل أولئك الَّذين يأتي عليهم رمضان، ولا يفرِّقون بينه وبين غيره من شهور العام، أولئك الَّذين يتسمَّون بأسماء المسلمين، ويعيشون بين ظهرانينا، وينتهكون حرمة هذا الشـهر الكريم، هل يجوز أنْ يَحدث هذا في مجتمع مسلم، لا والله. أولئك إما فُسَّاق عُصاة، أو مرتدون كفَّار والعياذ بالله.

حكم الاستخفاف بحرمة الشهر:

من استخف بحرمة هذا الشــهر، من أنكر فرضيته، فهو كافر مارق، ينبغي أن يفرَّق بينه وبين زوجته وأولاده، أن يُحكم عليه بالردة والمروق من الإسلام.

ومن اعتــرف بحُرمة هذا الشــهر وفرضيته، ولكنَّه أعلــن أنَّه عاصٍ بعمله، فهذا فاسق عاص، لا يُحكم عليه بالكفر.

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية

تدريب الصغار على الصوم:

كان المسلمون قديمًا يصومون ويصوّمون صبيانهم وهم صغار، حتَّى كانوا يأتون لهم باللُّعب من العِهن، الصوف المنفوش، يسلُّونهم بها حتَّى يحين وقت الإفطار.

ومن هنا كان على المسلم أن يدرِّب أولاده على الصيام حتَّى ينشؤوا على هذه العبادة.

وينشأ ناشئ الفتيان منَّا على ما كان عوَّده أبوه(١)

بعد السابعة إن أطاق الصبي الصيام يؤمر به، فيصوم أيامًا ويُفطر أيامًا، حتَّى يمكنه بعد ذلك صوم الشهر كلَّه، وفي العاشرة يُشتد عليه إنْ أطاقه.

الخير عادة، والشرُّ عادة، وكما قال الشاعر:

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إنَّ الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ولن تلين إذا قوَّمتها الخشب(٢)

إنَّ الله تعالى فرض علينا شهرًا واحدًا، يقول بعض الأدباء: احمدوا الله، هناك ربيع أوَّل وربيع ثان، وجمادى أولى وجمادى آخرة، ولكن رمضان واحد. ليس هناك رمضان أوَّل ورمضان آخر، هو رمضان واحد، شهر من اثني عشر شهرًا، وطلب الله منَّا الصيام فيه من الفجر إلى غروب الشمس.

---

(١) من شعر أبي العلاء المعري، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) من شعر صالح بن عبد القدوس. انظر: حماسة البحتري (٤٦١)، تحقيق محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وما أعظمَ نعمة الله علينا في هذه البلاد، إنَّها ساعات محدودة، هناك من يصوم عشرين ساعة أو أكثر في شمال أوربا وأمريكا وكندا، هناك من سألوني عن الصيام في ذلك النهار الطويل، ماذا يصنعون؟ نحن نصوم ساعات محدودة معدودة، يستطيع أي إنسان عنده عزْم وقوَّة أنْ يصومها.

ومع هذا كلِّه فإنَّ الله رخَّص للإنسان أنْ يُفطر لأعذار شتَّى: المرض عُذر، والسفر عُذر، والشيخوخة عُذْر، والعمل الشاقُّ عُذر. من كان يعمل في عمل شاقٍّ لا يقدر أنْ يقوم به يمكنه أنْ يُفطر ويقضي بعد ذلك.

ولكن رأينا النَّاس والله في القرى والأرياف، رأينا العُمَّال الَّذين يعملون في البناء والأعمال الشاقة، يتحمَّلون حرَّ الشمس في وقدة الصيف، ويظلُّون صائمين إلى آخر النهار، إنَّها عزائم المؤمنين.

الامتحانات والصيام:

وهنا يسأل كثير من الطلاب في هذه الأيام عن الصيام والامتحانات قائمة أو على الأبواب، وأنا أقول: إنَّ على كلِّ مسلم أنْ ينوي الصيام، وأنْ يعزم ويصمم عليه، وأنْ يتسحر ويستعد، ثمَّ يجرب نفسه: هل يستطيع أنْ يواصل أم لا يستطيع؟ فإن وجد نفسه لا يستطيع أنْ يستوعب، أو أنْ يفهم، أو أنْ يهضم أو أن يؤدي الامتحان بجدارة، فعنده رخصة في الإفطار ثمَّ عليه القضاء بعد ذلك.

أمَّا أنْ ينوي الإفطار مقدمًا دون أنْ يحاول الصوم، فمن أين له: أنَّه لا يستطيع؟

وهناك أناس يستطيعون أنْ يغيِّروا نظامهم، كثير من النَّاس يسهرون الليل كلَّه في رمضان، فيستطيع الطالب أنْ يذاكر طوال

QaradawiBooks.com

الليل وأن ينام النهـــار لا يقوم إلَّا للصلاة، ومن تيسَّـــر له ذلك كان الأمر ســـهلًا عليه. المهم العزم على الصيام، والصيـــام بآدابه الَّتي شرعها الله تعالى.

آداب الصيام:

تعجيل الفطر:

على المسلم أنْ يصوم من الفجر إلى غروب الشمس عن المفطرات كلِّها، حتَّى إذا غربت الشمس بادر بالإفطار، فإنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لا يزال النَّاس بخيرٍ ما عجَّلوا الفطر**»(١).

وكان تعجيل الفطر وتأخير السحور من هديه وهدي أصحابه، يقول الرســـول الكريم: «**إنَّا معاشـــر الأنبياء، أُمرنا أن نعجِّل فطرنا، وأن نؤخِّر سحورنا، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**»(٢).

وعن عمرو بن حريـــث(٣)، وعمر بن ميمون(٤) قـــالا: كان أصحاب رسول الله ﷺ أسرعَ النَّاس إفطارًا وأبطأَهم سحورًا.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٧)، ومســـلم (١٠٩٨)، كلاهما في الصوم، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه الطيالسي (٢٧٧٦)، وابن حبان في الصلاة (١٧٧٠)، وقال الأرناؤوط: إسناد صحيح على شرط مســـلم. والطبراني في الأوســـط (١٨٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨٨٠): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٨٦)، عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن أبي شـــيبة في الصيام (٩٠٢٥)، وقـــال الهيثمي في مجمع الزوائـــد (٤٨٧٣): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه عبد الرزاق في الصيام (٧٥٩١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٨٧٤): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

الإفطار على تمرات:

وكان رسـول الله ﷺ يُفطر قبل أنْ يصليَ على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حَسوَات من ماء[١].

تأخير السحور:

تعجيل الإفطار وتأخير السحور إلى ما قبيل الفجر سُنّة.

ليس هناك فترة تسـمَّى فترة الإمساك أو الاحتياط، وليس في الشرع شيء من هذا، بل هذا نوع من الغلو الَّذي يرفضه الإسلام. النَّبي ﷺ نهى عن صوم يوم الشك، اليوم الَّذي بعد التاسع والعشرين من شعبان، نهى عن صومه منفردًا إلَّا أنْ يكون يوم عادة له صادف يوم خميس يصومه أو نحو ذلك[٢].

لماذا؟

حتى لا يُحدث النَّاس غُلوًّا في الدين، ويصبـح بعد مدَّة أمرًا عاديًّا مشتركًا للأُمَّة كلِّها. الإسلام يسر، الشريعة حنيفيَّة سمحة، في آية الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

علينا أن نُحسِن الصيام، وعلينا أن نُحسِـن القيام «**من قام رمضان إيمانًا واحتسـابًا غُفِر له ما تقدَّم مـن ذنبه**»[٣]. أنْ يقـوم قيام المؤمنين

(١) رواه أحمد (١٢٦٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وقال: حسن غريب. كلاهما في الصوم، عن أنس.

(٢) إشـارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلَّا أنْ يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم». رواه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢)، كلاهما في الصوم.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٧٨.

QaradawiBooks.com

المحتسبين، ليس المقصود ركعات يؤديها الإنسان دون خشوع ولا اطمئنان، والطمأنينة ركن في الصلاة.

المواظبة على قراءة القرآن:

نريد أنْ يعيش الإنسان مع كتاب الله، يعيش في رحاب القرآن، فرمضان شهر القرآن.

يعيش معه قارئًا، يتلو ما استطاع من هذا الكتاب، فله بكل حرف عشر حسنات.

صلاة التراويح:

ويعيش معه مستمعًا، وما أحلى صلاة التراويح يقضيها الإنسان مع القرآن الكريم.

ليس المقصود هذه الصلوات الَّتي نراها في المساجد، لا يخشع فيها قلب، ولا يُراقب فيها ربّ، ولا يستقرُّ فيها صُلب، هذه الصلاة الَّتي نرى أصحابها كأن وراءهم من يُلهب ظهورهم بسوط، ليست هي الصلاة المقصودة.

نريد الصلاة الخاشعة المطمئنة، نريد أنْ يكون رمضان شهرًا لله تعالى، أنْ يخرج الإنسان من هذا الشهر، وحظُّه من المغفرة والرحمة والعتق من النَّار، أنْ يكون من عتقاء الله تعالى من النَّار، ولله في كلِّ ليلة عُتقاء.

هذا هو شهر رمضان ـ أيُّها الإخوة، شهر رمضان، شهرٌ أتاحه الله لنا لنتطهر؛ نتطهر من سيئاتنا، ونتزود من الحسنات، ونحاول أن نزيد من رصيدنا عند الله تعالى، النَّاس يحاولون أنْ يضاعفوا من رصيدهم في

QaradawiBooks.com

المصارف والبنوك، ومهما حاولوا فإنَّ هذا لـن يكون معهم يوم القيامة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

لا حرج على الإنسـان أنْ يزيد من رصيده إنْ كسبه من حلال، ولم يخلْ به عن واجب، ولكن الأهـمَّ من ذلك كلِّه، هو الرصيد الَّذي ينفع في يوم لا عُملة فيه إلَّا الحسنات والسيِّئات.

حاولوا أيُّهـا الإخوة المسـلمون، أنْ تزيدوا مـن رصيدكم عند الله تعالى، اعزموا ـ ونحن في أوَّل الشـهر ـ أنْ تجعلوا هذا الشـهر شـهرًا خالصًا لله تعالى، أنْ تجعلوه شهرًا للصيام وللقيام وللخيرات، وأنْ تبذلوا فيه لله تعالى، أخرِجوا زكاة أموالكم، أدُّوا ما عليكم من حقوق، من كان عليه دَيْن فليقض دَيْنه؛ فإنَّ الديون يُسـأل عنها الإنسـان يـوم القيامة، ولا ينفع فيها صلاة ولا صيام ولا حج ولا عُمرة.

رمضان شهر التوبة:

نحن الآن في زمان تكاثرت فيه علينا المصائب من كلِّ جانب، وتداعت الأمم علينـا كما تتداعى الأكلة إلـى قصعتها، يختلف أولئـك فيما بينهم ويتفقون علينا نحن المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

لا ينجينا أيُّها الإخوة ممَّا نحن فيه إلَّا رجعة صادقة إلى الله تعالى، إلَّا أن نقرع باب الله قرعَ التائبين المنيبين، الراجين الخائفين، وهذا أوان هذه الرجعة، هذا هو موسم التوبة والإنابة، فلنقلْ جميعًا ما قال أبونا آدم وأمُّنا حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

رمضان شهر الدعاء:

ما أحوجنا أن نرجع إلى الله في هذا الشهر، أن ندعوه بقلوب خاشعة

QaradawiBooks.com

ضارعة، وأيد ممدودة إليه مبتهلة، أن ينجينا ممَّا نحن فيه، أن يكشف عنَّا غُمَّتنا، ويفرِّج كُربتنا.

ما أحوجنا إلى أن ندعو، وللصائم دعوة ما تردُّ عند فطره، كما جاء في الحديث: «**إنَّ للصائم عند فطره لدعوة ما تردُّ**»(١).

وجاء في الحديث الآخر: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حين يفطر ـ وفي رواية: الصائم حتَّى يفطر ـ والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعدَ حين**»(٢).

ما أحوجنا إذا ما أقبل الليل من ههنا، وأدبر النهار من ههنا، وغربت الشمس، وتهيأنا للإفطار أن نمدَّ أيدينا إلى الله داعين لأنفسنا وأهلينا والمسلمين في كلِّ مكان بالمغفرة والرحمة، وللمضطهدين والمعذبين والمجاهدين بالفتح والنصر والنجاة ونقول: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى**»(٣).

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، وادعوه يَسْتجِب لكم.

* * *

(١) رواه ابن ماجه في الصيام (١٧٥٣)، والطبراني (٤٧٦٠٢/١٣)، والحاكم في الصوم (٤٢٢/١)، وقال البوصيري في الزوائد (٨١/٢): إسناد صحيح رجاله ثقات. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٥)، والدارقطني (٢٢٧٩)، وحسن إسناده. والحاكم (٤٢٢/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، أربعتهم في الصوم، وحسَّن إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة:

صلاة النساء في المسجد:

رمضان شهر الصيام والقيام، فعلى كلِّ مسلم ـ ومسلمة أيضًا ـ أنْ يتهيأ للقيام تهيؤه للصيام.

وينبغي للزوج أنْ يتيح لزوجته أنْ تذهب إلى المسجد لصلاة التراويح، فتكسب الصلاة، وتكسب الموعظة والدرس، ويشاركها في الأجر، دون أنْ ينقص من أجرها شيء، وقد كان النساء في عصر النَّبي ﷺ يذهبْن إلى المسجد ويشهدْن صلاة الجماعة، حتَّى الفجر والعشاء حتَّى إنهنَّ كن يدخلن مع الرجال من باب واحد، فقال النَّبي ﷺ: «**لو تركنا هذا الباب للنِّساء**»[1]. فجعلوه للنِّساء، ولا زال يسمَّى «باب النساء» إلى اليوم، بمسجد الرسول ﷺ.

علينا أن نتيح الفرصة لزوجاتنا وبناتنا للذهاب إلى صلاة التراويح، وأن نحرص عليها في المساجد الَّتي تؤديها أداءً حسنًا؛ حتَّى يكون حظنا أوفرَ عند الله تعالى، ونحن على العادة ـ إن شاء الله ـ سنصلي التراويح في «الجامع الكبير» كما هي عادتنا.

ونصيحتي للإخوة الَّذين يحرصون على صلاة التراويح هناك، أنْ يأتوا متجمعين ما أمكن، أي: كلُّ مجموعة من الأصدقاء والجيران يأتون

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح أبو داود والدارقطني في العلل (٢٩٢٢) الموقوف، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود مرفوعًا (٤٨٣)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

في سيارة واحدة، نظرًا لضيق المواقف هناك، وأن تُخلى الأماكن القريبة لمن يأتي ومعه أسرته، وهذا من باب التعاون، ورمضان شهر المواساة، شهر التعاون، كما أنَّه شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنَّة.

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا في هذا الشهر من المقبولين.

اللهمَّ أخرجنا من هذا الشهر الكريم مغفورًا لنا.

اللهمَّ اجعل حظَّنا منه الرحمة والمغفرة والعتق من النَّار.

اللهمَّ أعِنَّا على أن نصوم نهاره إيمانًا واحتسابًا، وأن نقوم ليله إيمانًا واحتسابًا.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجْعل كلمة الإسلام هي العليا، واجْعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفلَّ حدَّهم، وأحبط مكرهم، وخذهم ومن ناصرهم أخذَ عزيز مقتدر.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ربنا واجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

QaradawiBooks.com

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدك ونبيك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وأقم الصلاة.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١٧

الذكرى السنوية للانتفاضة(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

انقضى عام على ثورة المساجد، بدأت ثورة المساجد تدخل عامها الثاني بتوفيق من الله تعالى وتأييده.

أقول: ثورة المساجد، فهذا هو العنوان الحقيقي لها، ليست مجرد انتفاضة، الانتفاضة أمرٌ عارض يطرأ ثمَّ يزول وهكذا كانوا يظنُّونها، زوبعة في فنجان، أو شرارة تتطاير ثمَّ سرعان ما تنطفئ.

ما علموا أنَّها إعصار فيه نار، يدمِّر كلَّ شيء بأمر الله، كلَّ شيء من جبروت اليهود، وباطل اليهود، وغطرسة اليهود.

إنَّها ثورة المساجد:

دخلت ثورة المساجد عامها الثاني، الثورة الَّتي انطلقت من بيوت الله أساسًا، وهكذا كان يُطَّلع عليها مدَّة من الزمن، ثمَّ رُئِيَ أنْ يُخفى هذا

(١) انطلقت الانتفاضة المباركة من مخيم «جباليا» في الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧م في قطاع غزة، بقيادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

QaradawiBooks.com

العنوان «ثورة المساجد»، ليظهر عنوان آخر: ثورة الحجارة، وأطفال الحجارة، ولا بأس بذلك.

إنَّها حجارة من سجِّيل إن شاء الله، حجارة من سجِّيل تحملها طيرٌ أبابيل، هم أشبال غزة والقدس والخليل، تحمل هذه الحجارة لترميَ أعداء الله وسلالة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، لتجعل كيدهم في تضليل، وتجعلهم بإذن الله كعصفٍ مأكول.

«الحجارة» هذا السلاح الجديد، أصبح شيئًا مرعبًا، مخيفًا.

انظروا أيُّها الإخوة، كيف يتحول الشيء البسيط إلى سلاح مُرعِب مخيف! إنَّ الدبَّابات، وإنَّ المدافع وإنَّ البنادق وإنَّ الذخائر الحيَّة، وإنَّ الأسلحة الَّتي تُشترى بالملايين لا تُغني شيئًا إذا لم تجد المجاهد الَّذي يُحسن استعمالها، ويحملها بقلب لا يهاب الموت، فهو يراه عين الحياة ما دام في سبيل الله، وهو ينشد مع ذلك المجاهد القديم:

ولستُ أبالي حينَ أُقتل مسلمًا ... على أي جنبٍ كان في اللهِ مصرعي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ ... يبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ[1]

الأسلحة لا تقاتل بنفسها:

في سنة (١٩٦٧م) دخلوا بأسلحة تسدُّ عين الشمس، أسلحة اشتُرِيت بأقوات الشعب، وعصارة الأرزاق، ودُفع فيها ما دفع من ملايين، بل بلايين ولكنَّها لم تجد الجندي المؤمن الَّذي يموت دونها، بل وجدت من يترك دبَّابته ويُولِّي الأدبار، ويقول: الفرار الفرار، انجُ سعد فقد هلك سعيد، اذهب بنفسك. لم يكلِّف خاطره أنْ يشعل فيها عود ثقاب، فلا لي

(١) هو سيدنا خبيب بن عدي. رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩).

QaradawiBooks.com

ولا لأعدائي، ولكن إذا وُجِد الخذلان، أصبح كلُّ شيء ضدَّك، حتَّى السلاح الَّذي في يدك.

الأسلحة لا تقاتل بنفسها، وكما قال الشاعر العربي قديمًا:

وما تنفعُ الخيلُ الكرامُ ولا القنَا إذا لم يكن فوقَ الكرامِ كرامُ[(١)]

ماذا تغني الخيل، وماذا تغني الرماح؟ وماذا يغني السلاح؟ إذا لم يكن فوق الفرسَ فارسٌ، إذا لم يَعلُ ظهر الخيلِ خيّالٌ.

الأسلحة لا تُغني وحدها، لا بدَّ من المقاتل المؤمن، صاحب الرسالة، الَّذي يُقاتل عن هدف. ولهذا حينما وُجد هذا المقاتل، ولو كان صبيًا يافعًا في مَيْعة الصبا، وزهرة العمر، يجد من الحصى سلاحًا، يجد من الحجارة ـ التي عن يمينه وشماله وطالما مشى عليها ووطئها بقدميه ـ سلاحًا يرمي بها عدو الله وعدوّه، فإذا بهذا العدوُّ يستخذي، ويختبئ ويخاف ويحتار: ماذا يصنع أمام هذا السلاح الَّذي لا يُفلُّ؟!

وصدق الله العظيم حينما قال في حصيات رمى بها النَّبي ﷺ يوم بدر في وجوه المشركين، حفنة من تراب رمى بها في تلك الوجوه العكرة، وقال: «**شاهت الوجوه**»[(٢)]. ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، فما بقي مُشرك إلَّا دخل هذا التراب عينيه وأنفه وفمه، ومضى لا يلوي على شيء، قال الله تعالى في ذلك: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

(١) ديوان المتنبي صـ٣٩٠، نشر دار بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٧٧)، عن سلمة بن الأكوع.

QaradawiBooks.com

الله رمى برمية رسوله، والله رمى اليهود برمية هؤلاء الغلمان، الصبية اليافعين، رمى الله اليهود بهذه الحجارة.

المهم إذن هو الإنسان المؤمن، الإنسان الَّذي يقاتل لهدف، الَّذي يقف على أرض صلبة، لا يتزلزل ولا يتزعزع، الإنسان الَّذي يرى الجنَّة أمامه، ويجعلُ رضا الله مَرامَه، هذا هو الإنسان الَّذي نريده.

المساجد مصنع الرجال:

نريد لهذه المرحلة هذا الإنسان، وهذا ما صنعته ثورة المساجد؛ ربَّت الأطفال على حصير المساجد، ربَّتهم على القرآن، على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وَضعتْ أمامهم نماذج الصحابة والتابعين، صورةَ الأبطال الفاتحين، صورةَ أبي عبيدة، وخالد، وعمرو، وعماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، وَضعتْ أمامهم صورة السابقين واللاحقين من الشهداء الأبرار، ربَّت هؤلاء على هذه المعاني الحيَّة، فكانت منهم الأيدي المتوضئة، كما سماها أديب العربيَّة والإسلام «مصطفى صادق الرافعي» منذ أكثر من نصف قرن، قصة الأيدي المتوضئة الَّتي كانت تعمل من أجل فلسطين وقضية فلسطين.

نريد الأيدي المتوضئة، الأيدي الطاهرة النظيفة، والقلوب الطاهرة النظيفة وراء هذه الأيدي.

ثورة المساجد صنعت هذا، هيَّأت هذه الفئة، فئة الإنقاذ، الطائفة المنصورة المختارة، الَّتي تنبأ بها رسول الله ﷺ، وبشَّر بها منذ أربعة عشر قرنًا، فيما رواه أحمد عن أبي أمامة، عن النَّبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم،**

QaradawiBooks.com

إلَّا ما أصابهم من لأواء - أي: من شدَّة وأذى - **حتَّى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك»**.

قيل: يا رسولَ الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكْناف بيت المقدس**»(١).

هذه الفئة المؤمنة هي مَعقِد الأمل، هي موطِن الرجاء، هي الَّتي تُعلَّق عليها الآمال في المستقبل لتحرير فلسطين، فإنَّ فلسطين لا تُحرر إلَّا بهؤلاء.

الصراع مع اليهود صراع عقيدة وحضارة:

المعركة مستمرة، وهي معركة شرسة ومعركة طويلة الأمد، هذه طبيعتها، إنَّها صراعٌ بين عقيدتين، وصراع بين حضارتين.

إنَّه الصراع بين الإسلام واليهودية، صراعٌ بين الحضارة الإسلاميَّة الربَّانيَّة الأخلاقية الإنسانيَّة، وحضارة العجل، العجل الذهبي، حضارة أُمَّة تعبد الذهب، ولا تبالي في سببه بأي شيء!

ولهذا نرى وجودها في أرضنا وفي منطقتنا خطرًا، خطرًا علينا، خطرًا على عقائدنا، خطرًا على قِيَمنا، خطرًا على تقاليدنا، خطرًا على وحدتنا، خطرًا على استقلالنا، خطرًا على اقتصادنا، إنَّها الشوكة الَّتي في جنوبنا، إنَّها الخنجر في ظهورنا، إنَّها الداء الوبيل الَّذي غُرس فينا.

لا تستطيع هذه الأُمَّة أنْ تتوحد وهذه موجودة فيما بيننا، هي الَّتي تنشر الوباء، تنشر السموم البيضاء، تنشر المخدرات، تنشر السموم بشتى ألوانها.. الدعارة الظاهرة والخفية، إنَّها دولة سوء، إنَّها بؤرة فساد وإفساد.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ إلخ، وهذا إسناده ضعيف. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادةً عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

السلام لا يُتصور مع اليهود:

ولهــذا لا نتصور أن يوجد بيننا وبينها ســلام، أي ســلام بين لصٍّ يدخل الدار ويغصبها من صاحبها، وبين صاحب الدار؟!

يقولون: الأرض مقابل الســلام، ما معنى هذا؟! أنا لســت محترفًا للسياسة، ولكنِّي أفهم في اللغة، فما معنى الأرض مقابل السلام؟ أرض من؟ أرضنا نحن مقابل ســلامهم؟! يعطوننا أرضنا مقابل أنْ يعيشوا هم على أرضنا أيضًا في سلام؟! الأرض الَّتي اغتصبوها قديمًا، نتركها لهم مقابل أنْ يتركوا لنا جزءًا من أرضنا؟! لا أستطيع أنْ أفهم، لا أفهم شيئًا!

لا أفهم أنَّ العدوان الجديد يضفي الشــرعيَّة علــى العدوان القديم، العدوان عدوان مهما طال زمنه.

إنَّ فلسطين كلَّها أرض عربية إسلاميَّة، قلتُ وسأظلُّ أقول: إنَّها مِلك للفلسطينيين، ومِلك للعرب، ومِلك للمسلمين؛ وليست مِلكًا لهذا الجيل من المسلمين، بل مِلك الأجيال الإســلاميَّة جميعًا، ولا يملك أحد أنْ يبيع منها شبرًا.

لو أنَّ الفلســطينيين تنازلوا عنها ما وسعنا نحن أن نتنازل عنها، إنَّها أرض المسجد الأقصى، إنَّها أرض النُّبوات، الأرض الَّتي وصفها القرآن: بأنَّ الله بارك فيها للعالمين فقال: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبيــاء: ٧١]، أرض الإســراء والمعراج، فيهــا أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، هذه الأرض لا نتنازل عن شبرٍ منها.

لا أســتطيع أنْ أقول: إنَّ «يافا» و«حيفا» و«عــكَّا» و«اللد» و«الرملة» وسائر هذه البلاد ليست من فلسطين.

QaradawiBooks.com

لقد قُدِّر لجيلي أنْ يعيشوا هذه المأساة من وقت بعيد، لعلَّ كثيرًا من الشباب الَّذين يسمعونني اليوم لم يعايشوا ما عايشتُ، ولم يُعاصروا ما عاصرتُ.

لقد شهدنا هذه المدن، عرائس البحر، تسقط واحدة بعد أخرى، وكأنَّ عضوًا من أعضائنا يسقط، وكأن قطعة من قلوبنا تُقطع، وكنا نقول: لا بدَّ من أنْ تعود، لا بدَّ أنْ ترجع، ولا يمكن أن نتصور فلسطين بدون «حيفا» أو «يافا» أو «عكا» أو هذه البلاد.

هذه الأرض أرضنا، عاش عليها آباؤنا وأجدادنا، ارتفعت فيها المآذن، ودوَّت بـ«لا إلٰه إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله»، ودُفِن فيها، في ترابها، في ثراها المؤمنون، عاشوا عليها أحياء، ودُفنوا في ثراها أمواتًا.

هذه أرضنا لا بدَّ أن نُقاتل عنها:

ثورة المساجد مستمرة، حتَّى تُحرر فلسطين، كلُّ فلسطين، يمكن للساسة أنْ يلعبوا بما شاؤوا كرًّا وفرًّا، يأخذون بعض ما يأخذون، لا أريد أنْ أتهم أحدًا بخيانة، فللنَّاس أنْ يجتهدوا، ولكنِّي أقول من منطلق ديني ومنطلق إسلامي: إنَّ الأرض الَّتي عاش عليها الإسلام لا يمكن التسليم بذهابها إلى الأبد، لا بدَّ أنْ تعود.

ليكرُّوا ويفرُّوا كما شاؤوا في مجال السياسة، ومن حقِّ الفلسطينيين أنْ تكون لهم دولة، وأنْ تقوم لهم دولة، وهذا هو الحدُّ الأدنى، ولكن على أنْ يكون ذلك مرحلة من مراحل الكفاح، مرحلة من مراحل الجهاد، ليس هو نهاية المطاف. لا، لا يمكن أنْ يكون ذلك نهاية المطاف، إنَّ المعركة مستمرة.

QaradawiBooks.com

الغطرسة اليهودية:

والعجيب أنَّــه رغم التســاهلات، ورغم التنازلات، فإنَّ الغطرســة اليهودية الصهيونية ترفــض ذلك كلَّه، تقول: لا، لا نعطي شــيئًا، ليس أمامكم إلَّا الخروج مــن هذه الأرض، اذهبوا حيث شــئتم، ابحثوا عن وطن بديل، هذا ما يريده هؤلاء. يرضى القتيل وليس يرضى القاتل!

إنَّ الأمرَ جدٌّ، إذن لا بدَّ أن نأخذ حقَّنا بأيدينا:

قضية فلسطين قضية مستمرة:

الحجارة وثورة الحجارة، وأطفال الحجارة ستستمر، ستفرِض عليهم إن شــاء الله أن يتنازلوا هم. لا، لا أقول: يتنازلوا، ســتفرِض عليهم أنْ يعترفوا بما لأهل فلسطين من حقٍّ.

إنَّ هــذه القضية الَّتــي طالت وطالت منــذ كنت طالبًا في القســم الابتدائي بالأزهر، وأنا أتحدث عن فلســطين أتحدث عنها نثرًا، وأنظم فيها شعرًا منذ كُنَّا طلابًا، كُنَّا نقود المظاهرات، ونُسيِّر المسيرات في كلِّ عام من أجل فلســطين، فــي يوم (٢ نوفمبــر) في ذكرى وعــد بلفور، ونتحدث في ذكرى الإسراء والمعراج في كلِّ عام عن المسجد الأقصى، ولا زال الأمر مستمرًّا.

القضية مستمرة، المعركة مستعرة الأُوار، ولا بدَّ لها من وقود يُقدَّم، الأبناء والأشــبال، الفتية الَّذين آمنوا بربِّهم وزادهــم الله هدى، يقدِّمون الشهداء، يقدِّمون الضحايا. الشباب اليافع، الفتاة المحجبة، الأم الشجاعة الصبور، الشيخ الفاني الَّذي لا يزال قلبه شــابًّا، هؤلاء هم الَّذين نراهم وراء هذه الثورة المؤمنة.

QaradawiBooks.com

ضُربوا بالرصاص البلاستيكي، وضُربوا بغازات الأعصاب الَّتي تفعل فِعلها في الأبدان والأنفس، ودُقَّت عظامهم بأعقاب البنادق، ودُفن من دُفِن منهم أحياء، وجرفتهم الجرافات تحت التراب، على أنْ يَفتَّ ذلك في أعضادهم، أنْ يُدخل الرعب على قلوبهم، ولكن هؤلاء الشباب لن يخافوا؛ لأنَّ معهم الناصر الَّذي لا يُهزم، القوَّة الَّتي لا تُغلب، معهم الله تعالى.

يدُ الله أعلى من أيدي أولئك، وقدرة الله فوق قدرتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢].

المعركة مع اليهود معركة قديمة:

إنَّ المعركة بيننا وبين اليهود قديمة جديدة. قديمة منذ عهد بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، الَّذين عاهدهم النَّبي ﷺ فغدروا به، وانضموا إلى أعدائه، فكان جزاؤهم ما عرفه التاريخ.

هؤلاء اليهود ضمَّهم الإسلام في رحابِه، أدخلهم تحت جناحه، فتح لهم صدره الحنون، رفضتهم الدُّنْيا ولفظتهم لفظ النواة، وشرَّدهم العالم من شرق وغرب، فلم يجدوا كهفًا يأوون إليه إلَّا دار الإسلام، لم يستظلُّوا إلَّا بظلِّ المسلمين، ثمَّ نجدهم تغلب عليهم طبيعتهم الغادرة، فينقلبون على من آواهم وحماهم، ويأبون إلَّا أنْ يقيموا في أرض الإسلام وطنًا لهم في فلسطين.

عُرضت عليهم أوطان أخرى بديلة، فأبوا إلَّا هذه الأرض، والأمر كما قال المجاهد الكبير الحاج «أمين الحسيني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب، حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن! فلسطين لها شعبها وأهلها.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هؤلاء انقلبوا على المسلمين، يريدون أنْ يُخرجوا أهلَ فلسطين، وقد فعلوا إلى حين إلى حدٍّ ما، استطاعوا أنْ يُخرجوا أهلَ فلسطين من ديارهم، وقد أَخرجوا منهم من أَخرجوا، وأرادوا أنْ يُهوِّدوا الباقين، الَّذين يعيشون في قلب ما سموه «إسرائيل»، والذين سموهم «عرب إسرائيل».

أرادوا أنْ يهوِّدوهم فكرًا وشعورًا، وثقافة وسلوكًا، إن لم يقدروا على تهويدهم ديانة وعقيدة.

وفعلًا في وقت من الأوقات كاد هؤلاء يذوبون في المجتمع الإسرائيلي، لم تكد تُعرف لهم هُوية، إذا دخلت في الأرض المحتلة من سنة (١٩٤٨م) لا تكاد تعرف «محمدًا» من «حاييم»، ولا تكاد تعرف «فاطمة» من «راشيل»، لا تكاد تعرف المسلم من اليهودي، الكل قد ساروا في موجة هذه الحضارة الزائفة الوافدة.

الصحوة الإسلامية تقلب الموازين:

كادوا يقتلعون الهُوية الإسلاميَّة من الشعب الفلسطيني الَّذي يعيش في ظلِّ تلك الدولة الملعونة، ولكن جاءت الصحوة الإسلاميَّة فردّت إلى هؤلاء الروح، وسرت في الجسد الميت حياة جديدة، انتبَه هؤلاء إلى أنفسهم، بدأ المسلم يعرف أنَّه مسلم، بدأت المسلمة تشرف بانتمائها ونسبها.

بدأ في هذا المجتمع شيء جديد قلَب الموازين، قلَب الحسابات والمعادلات، وكان ثمرة هذه الصحوة هذه الانتفاضة، أو هذه الثورة، أو هذه الحركة، حركة المقاومة الإسلاميَّة، كان هذا كلُّه نتيجة وثمرة للصحوة الإسلاميَّة، الصحوة الإسلاميَّة هي صانعة هذا التيار الجديد، التيار الَّذي أقلق إسرائيل، ومَن وراء إسرائيل.

QaradawiBooks.com

لقد فرضت هذه الفئة المؤمنة الجديدة نفسـها على التاريخ، بعد أنْ كاد التاريخ ينسـاها، بعد أنْ أصبحت قضية فلسطين قضية لاجئين، بعد أنْ أصبح الأمر ميؤوسًـا منه، فلا السياسـة العربيَّة قادرة على شـيء، ولا المنظمات والهيئات الفدائية قادرة على شـيء، اسـترخى الجميع، واستناموا، وأصبحت حركة شبه يائسة، ماذا نصنع؟

أعادت هذه الصحوة، وهذه الانتفاضة، وهذه الثورة المؤمنة الربَّانيَّة الجديدة، أعادت الروح إلى الجسـد الهامد. بدأ العالم كلُّه يتحدث عن الانتفاضة، عن الثورة، عن صبية الحجارة.

الأمة لا تنهض إلَّا بالعقيدة:

إنَّنا نحن أبناء هذه الأُمَّة، لا يحرِّكنا شيء كما تُحرِّكنا كلمة الإيمان، لا يُنهضنا شـيء كما تُنهِضنا العقيدة، لا تفعل فينا كلمة كما تفعل كلمة «لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر».

في سنة (١٩٦٧م) حينما كان شـعارهم: بر.. بحر.. جو، لم ينتصروا في برٍّ ولا بحرٍ ولا جوٍّ.

وفي سنة (١٩٧٣م) أو (١٣٩٣هـ) على الحقيقة، فأنا أُفضِّل أنْ أسميها: حرب العاشر من رمضان، لا حرب السادس من أكتوبر.

في ذلك الوقت كان الشعار: الله أكبر، الله أكبر، فعلت فِعلها.

قُد هذه الأُمَّة بالإيمان تصنع الأعاجيب، ارفع أمامها المصحف وقلْ: يا رياح الجنَّة هُبِّي، ويا خيل الله اركبي، ويا كتائب الله سـيري، ثمَّ انظر ماذا ستصنع هذه الأُمَّة!

QaradawiBooks.com

فلطالما عزفوا على معزوفات: القومية، والاشتراكية، والديمقراطية، والتقدمية، فلم تحرِّك هذه ساكنًا، ولم تُنبِّه من الأُمَّة غافلًا، ولكن حينما حُرِّكت هذه الأُمَّة بالإيمان، بالإسلام، بالتوحيد، بـ«لا إله إلَّا الله» عادت إليها الروح.

هذه الحقيقة أكَّدها التاريخ، من يقرأ التاريخ في مدِّه وجزره، في أيَّام النصر وأيام الهزيمة، في معارك التاريخ القريبة والبعيدة، يجد أنَّ الإيمان هو الَّذي يحرِّك هذه الأُمَّة.

الإيمان، الإسلام، القرآن، أحلام الجنَّة هي الَّتي تحرِّك الأُمَّة، هذا ثابت بيقين، ونحن محتاجون إليه دائمًا، ولكننا أشدُّ ما نحتاج إليه في وقتنا هذا وفي قضية فلسطين خاصَّة!

قضية فلسطين لا يمكن أنْ تنتصر إلَّا إذا أصبحت قضية إسلاميَّة؛ ذلك لأنَّ عدُوَّنا يقاتلنا باسم الدين.

العقيدة اليهودية تجمع اليهود:

اليهود تجمَّعوا في فلسطين من شرق وغرب، ومن أمريكا ومن روسيا، من بلاد العرب والعجم، ومن هنا ومن هناك، ما الَّذي جمعهم من شتات؟ ما الَّذي جاء بهم من الشرق والغرب، والشمال والجنوب؟

إنَّها العقيدة اليهودية، إنَّها الأحلام التوراتية، إنَّها التعاليم التلمودية، إنَّها اللغة العبرية، هذا هو الَّذي جمعهم.

لقد كانوا في بلادهم يعيشون آمنين، بل كان منهم من يملك الملايين، ومن لهم نفوذ يستطيعون أنْ يؤثروا به على السلاطين، ولكنَّهم تركوا هذا كلَّه، وجاؤوا من أجل أنْ يقيموا دولة، دولة لها اسم

QaradawiBooks.com

ديني تاريخي، سميت باسم نبيهم الكبير: إسرائيل، يعقوب عليه السلام .. دولة تقدِّس تعاليمهم، تمنع العمل يوم السبت منعًا تامًّا، دولة فيها أحزاب دينيَّة متطرفة، وغير الدينيين منهم يخضعون للدين أيضًا، وجاؤوا بدوافع دينيَّة، ويقاتلون بدوافع دينيَّة هكذا كانوا يقولون. قال موشي ديان: إنَّ جيش إسرائيل ليست مهمته حماية المؤسسات، إنَّما مهمته حماية المقدسات.

كلُّهم يهود، وأنا لا أستطيع أنْ أفرِّق بين يهودي وصهيوني، كلُّ يهودي صهيوني؛ لأنَّ أحلام التوراة وتعاليم التلمود، تجعل كلَّ يهودي صهيونيًّا. هذا هو الأصل، والنادر لا حكم له، أنا أتكلَّم عن التيار العام.

قضية فلسطين يجب أن تكون إسلامية:

إنَّ قضية فلسطين يجب أن تكون إسلاميَّة، إذا قاتلونا باسم اليهودية نقاتلهم باسم الإسلام، إذا رفعوا التوراة رفعنا نحن القرآن، إذا قالوا: التلمود قلنا: البخاري ومسلم، إذا قالوا: الهيكل. قلنا: المسجد الأقصى. إذا قالوا: السبت. قلنا: الجمعة، ولا يفلُّ الحديد إلَّا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

نحن أصحاب الدين الحقِّ، ونحن أصحاب الأرض وأهل الدار، ندافع عن مقدساتنا، وندافع عن ذاتنا، وندافع عن أرضنا وعرضنا وأهلنا، مهما يكن لدينا من ضعف مادي، فإنَّ الحقَّ الَّذي معنا يقوِّينا، وهذا ما فقهه أولئك الشباب، الشباب الَّذين انطلقوا من المساجد، هذا ما فهمته هذه الثورة الربَّانيَّة الجديدة، الثورة الَّتي منطلقها المساجد، وراياتها المصاحف، وشعاراتها: «لا إِلٰه إلَّا الله والله أكبر».

QaradawiBooks.com

نصر الله قريب:

إنَّنا ننتظر لهذه الثورة النصر بإذن الله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: ٥١] إنَّ الَّذي يُقاتل لا يسأل: متى هو؟ ولكن يقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]، ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

بشَّرنا النَّبي ﷺ أنَّ المعركة مستمرة مع اليهود، حتَّى ينتصر عليهم المسلمون، حتَّى يقول الحجر والشجر: «**يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله**»[1]. وإنا لهذا اليوم ولهذه المعركة لمنتظرون.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك وأعدائنا وأعداء العرب والمسلمين، اللهمَّ آمين.

ادعوا ربَّكم يَسْتجِب لكم.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤٤.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

واجب الأمة تجاه قضية فلسطين:

إذا كانت ثورة المساجد تؤدي دورها، فعلينا ـ نحن المسلمين ـ أن نؤدي دورنا، أن نكون معهم، أن نشدَّ أزرهم ماديًّا وأدبيًّا، وأن ندعو لهم في صلواتنا، والنصرُ آتٍ لا ريب فيه.

إنَّ الله تعالى الَّذي أيَّد إخواننا في أفغانستان حتَّى أجبروا الروس على أنْ يجلسوا معهم وجهًا لوجه على مائدة واحدة، سيجبر اليهود على أنْ ينسحبوا من أرض المسلمين بالسيف، بالجهاد، الجهاد الخالص المخْلِص.

علينا أن نشدَّ أزر هؤلاء، وأن نمدَّ إليهم يدَ المعونة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

اللهمَّ انصرنا على اليهود، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدَهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ آمين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٨

اتفاقية غزة وأريحا
من مأساة البُوسنة إلى مأساة فلسطين

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الإسلام يُناوَش من كل جانب:

قُدِّر علينا أن نعيش حتَّى نرى الإسلام يناوَش بالسهام من كلِّ جانب من الجوانب، وتُصبُّ عليه سياط العذاب من كلِّ فئة من الفئات.

تفرَّق الكفر شيعًا وأحزابًا، ولكنَّهم اجتمعوا على هذا الدين وعلى أهله، فالكفر ملَّة واحدة، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فلا عجب أن نرى في هذا العصر كلَّ فئات الشرك والكفر تتآمر على المسلمين، تريد أنْ تقتلع جذورَهم، وأنْ تهدم عليهم بنيانهم، وأنْ تأخذهم من دينهم وعقيدتهم.

اجتمع على ذلك اليهود والذين أشركوا والصليبيون الجُدد، هذا ما نراه على خريطة الحياة في عصرنا.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

تآمر الصليبيين على المسلمين في أوربا:

الصليبيــة الجديدة فــي أوربا نراها فــي أولئــك الصربيين. هؤلاء الوحوش المفترســون، الَّذين حــدُّوا أنيابهم ليأكلوا المســتضعفين من المسلمين. أهل البوسنة والهرسك.

أرادوا أنْ يقضوا على هؤلاء مرَّةً واحدة، ولكن الله تعالى نفخ الروح في هذا الطين، هذا الفُتات، هؤلاء الَّذين بقوا تحت حكم الشيوعية نحو نصف قرن، هؤلاء الَّذين كانوا تحت وطأة الاستبداد والتسلط الاستبدادي الشيوعي الأحمر، تحت حكــم (تيتو)، هؤلاء الَّذين عُزِلوا عن الإســلام فلم يكادوا يعرفون عنه شيئًا إلَّا مجرد «لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رسول الله» حتَّى الأسماء لم تعدْ إسلاميَّة، حتَّى الختان، لم يكن الكثيرون منهم يختنون أبناءهم الذكور «ألف باء الإســلام» لم يكونوا يعرفونها، عُزِلوا عن جسم الأُمَّة الإسلاميَّة، وجهلوا الإسلام، ثمَّ شاء الله أنْ تنهار الشيوعية في بلادها الأم.

الغرب لا يريد دولة إسلامية في أوربا:

الشيوعية الَّتي كانت تحلم بأن تغزو العالم، وغزت أفغانستان لتنطلق منها إلى بلاد المســلمين، وتصل هنا إلى الخليج وإلى ما بعد الخليج، شاء الله أنْ تنهار الشيوعية، وتزول دولتها، ويذهب ريحُها.

وكان ممَّا سُلِّطت عليه الشيوعية ما كان يسمى «يوغسلافيا» وانقسمت يوغسلافيا، انقسم الكروات وأقاموا لهم دولة اسمها «كرواتيا»، ولما أراد المسلمون في «البوسنة والهرسك» أنْ يكون لهم ما للكروات، وصوَّتوا لذلك، ونالوا أغلبية باســم الديمقراطية الَّتي يتغنى بها الغرب، واعترف الغربيُّون أنفسهم واعترفت الأمم المتحدة بالدولة الجديدة، ولكن كيف

QaradawiBooks.com

تقوم دولة فيها رائحة الإسلام، فيها بقايا الإسلام، تحمل عنوان إسلامٍ ما في أوربا؟! هذا ما جنَّ له جنون الغرب كلِّه.

وتآمر هؤلاء وحملوا الصليب من جديد، ليعلنوها حربًا على الإسلام، حربًا على المسلمين. كانوا يظنُّون أنَّ هؤلاء سيسقطون بعد أسبوع أو أسبوعين، هذا ما قُدِّر لـ «سرايفو» أنَّها لن تحتمل أكثر من أسبوعين أو ثلاثة.

ولكن هؤلاء الَّذين لم يكونوا يعرفون من الإسلام إلَّا القليل، والأقل من القليل، أيقظتهم الأحداث الهائلة، والقوارع النازلة فجأة، ليتعرفوا على الإسلام.

حينما وجدوا النَّاس يقاتلونهم من أجل الإسلام، يُقطِّعون رقابهم من أجل الإسلام، يُهدِّمون عليهم بيوتهم من أجل الإسلام، يغتصبون أمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم من أجل أنهنَّ مسلمات، يخرِّبون عليهم مساجدهم، يدمِّرون عليهم مدارسهم، يحرقون مزارعهم وحقولهم، لا لذنب إلَّا لأنَّهم مسلمون.

لهذا بحثوا عن هذا الإسلام الَّذي لا يعرفونه، وأرادوا أن يتشبثوا به وبدؤوا يحفِّظون أبناءهم سُورًا من القرآن، يحفِّظونهم سورة «الفاتحة» وسورة «الإخلاص» وسورة «العصر» بعد أن كانوا لا يحفظون إلَّا نشيد:

أيها الرفيق تيتو لا نحلف إلَّا باسمك

أصبحت أناشيدهم الجديدة: سُور القرآن، وقصار السور من كتاب الله.

هؤلاء استطاعوا أنْ يصمدوا! وما الَّذي جعلهم يصمدون ويستمرون ويقاتلون هذه القوَّة العاتية، الجيش الصربي الَّذي يعتبر رابع الجيوش في أوروبا، وهم لا يملكون شيئًا يُذكر من الأسلحة؟!

QaradawiBooks.com

وحرَّمت هيئـة الأمم المتحدة، وحرَّم مجلـس الأمن الدولي عليهم وصول السلاح، حُظر بيع السلاح؛ حتَّى لا يستمر القتال، ولا يكثر سفك الدماء! يعني هذا أنَّهم أرادوا أنْ يكون القتل من جانب واحد فحسـب! أي: أرادوا أنْ يُقتل المسلمون بسرعة، وتنتهي القضية.

كيف يُمكَّن طرف واحد من كلِّ الأسلحة، والطرف الآخر يُحظر عليه أدنى سلاح؟

ولكن هؤلاء المسلمين الجُدد، بمـا نُفخ فيهم مـن روح الإيمان الجديد، استطاعوا أن يصنعوا ذخائر للأسـلحة بأيديهم، واستطاعوا أن يعيشوا رغم الحصار المضروب عليهم، يعيشـوا بأقلِّ القليل، ويزرعوا الخضروات في البيوت الَّتي يعيشون فيها حتَّى يأكلوا، ويأكلون القليل، ويكفيهم القليل، ويؤثـر بعضهم على بعض ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

هؤلاء ما الَّذي جعلهم يصمدون، ويثبتون، ويقفون كالطود الشـامخ ستَّة عشر شهرًا؟

إنَّه الإسـلام الجديد، إنَّه الإيمـان الَّذي خالطت بشاشـتُه قلوبَهم، وسرى فيهم مسرى الماء في العود، أنشأهم شيئًا آخر.

ربَّ ضارة نافعة:

ولذلك يقول الكثير منهم ممَّـن لقيناهم: إنَّ هذه نعمة من الله علينا، هذه المحنة في طيها منحة، قد كان يمكن أن نعيش، ولكنَّا سنعيش غير مسلمين، اليوم يموت منَّا من يموت ولكن من يحيا منَّا سيكون مسلمًا، ليس المهمُّ أن نعيش ولو بغير دين، إنَّما المهمُّ أن نعيش مؤمنين.

هذا منطق هؤلاء أيُّها الإخوة.

QaradawiBooks.com

ومن هنا نقول: إنَّه رغم قساوة الظروف المحيطة بإخواننا، ورغم غلظ المحنة الَّتي يمرُّون بها، فإنَّ من وراء هذه المحنة منحًا، وربَّ ضارة نافعة، ومن الشرِّ ما يأتي بالخير، والخير قادم إن شاء الله.

لقد أرادوا أنْ يقتلعوا الإسلام من شرق أوربا، وألا تقوم للإسلام قائمة، ولا يُبقوا فيه من باقية، ولكنَّهم باؤوا بالإخفاق.

وبقي الإسلام، وسيظلُّ الإسلام، وسيخرج من ضئضئ هؤلاء من يرفع راية «لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رسول الله».

هذا ما صنعته الصليبية الجديدة، الصليبية الغربيَّة، في عصر يتنادى النَّاس فيه بحقوق الإنسان، بميثاق الأمم المتحدة، بحقِّ الشعوب في تقرير المصير، وكأنهم يقولون: إنَّ الشعوب كلَّها لها حقُّها في تقرير المصير، إلَّا الشعوب الإسلاميَّة، إلَّا أن يكون الشعب مسلمًا!

الله وحده مالك الكون:

ولكن هؤلاء ليسوا هم الَّذين يملكون هذا الكون، الَّذي يملِك هذا الكونَ ربُّه تعالى، إنَّ الَّذي هدم الاتحاد السوفيتي يمكن أنْ يهدم هؤلاء، والله لن يُبقيَ الظلمَ يتحكَّم في العباد، ويذلُّ الرقاب، إنَّ دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]. صدق الله العظيم.

هذا ما صنعته الصليبية في أوربا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عداء الوثنية الهندوسية للمسلمين في الهند:

ونجد على الجانب الآخر في الشـرق: الوثنية المتعصبة، الهندوسية الَّتي تذبح المسلمين بغير حساب، وتهدِم مساجدهم، وتهدِم وجودهم، هذا ما نسـمعه ونقرؤه ونراه، حتَّى إن أحد علماء المسلمين الكبار قال لي: كانت تُعدُّ لنا مجزرة هائلة، ولكن الأحداث الَّتي حدثت في «بومبي» جعلت هؤلاء يعيدون حساباتهم من جديد!

والمسلمون في الهند ليسـوا شـيئًا قليلًا، إنهم ما يقرب من مائتي مليـون، يحاولون أنْ يقللوا العدد فيقولون: المسـلمون فـي الهند مائة وخمسون مليونًا، إنَّما هم حوالي مائتي مليون أو يزيدون، أي: ما يقارب العالم العربي كلّه!

لا بدَّ من الوقوف في وجه الباطل، لا بدَّ مـن الصمود أمام الطغيان الظالم، لا يجوز للمسلم أنْ يستسلم ويلقي السلاحَ مهما تكن قوَّة أعدائه.

قضية فلسطين إحدى مصائب الأمة:

وثالثة الأثافي أيُّها الإخوة: هو ما يجري في قضية القضايا، في قضية المسلمين الأولى، قضيـة فلسـطين، أرض النُّبوَّات، أرض المسـجد الأقصى، أرض أولى القبلتين، مسرى رسول الله ﷺ.

ها نحن نرى اليوم فصلًا جديدًا من فصول هذه الرواية.

لقد عايشنا قضية فلسـطين منذ وعينا على هذه الدُّنْيا، منذ بدأنا نعي أن هناك عالمًا إسلاميًّا، وأنَّ هناك مآسي وقضايا له، فكانت قضية فلسطين هي القضية الأولى الَّتي تشـغلنا، تشـغل الفكر، وتشغل القلب، وتشغل اللسان، في كلِّ سنة، في ذكرى ما سمي وعد «بلفور»، في «٢ نوفمبر».

QaradawiBooks.com

بلفور وزيــر الخارجية البريطانــي، الَّذي وعد اليهــود أيَّام الحرب العالمية الأولى بوطنٍ قومي لهم، وقد علَّق على ذلك من قال: وعدَ مَن لا يملِك مَن لا يســتحق! وعلَّق عليه مفتي فلسطين الأكبر الحاج «أمين الحسيني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: إنَّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب، حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن!

ولكن جرت الأحداث، وصنعــت بريطانيا ما صنعت خلال الأعوام الثلاثين الَّتي حكمت فيها فلســطين، وهيأت لأبناء «الصهيون» الفرصة ليستوطنوا ويهاجروا من أوربا الشرقية وغيرها هجرات جماعية وفرديَّة، وقامت العصابات الصهيونية بأعمالها الإرهابية، إلى أن حدث ما حدث في سنة (١٩٤٨م).

قبل ذلك كان هناك قرار التقســيم الَّذي رفضه الفلســطينيون، ورفضه العرب بالإجماع، كيف يقسَّم بلد بين أهله وبين الغرباء عنه؟! لا يستطيع أنْ يقسِّــم داره بينه وبين لصٍّ جاء واقتحم عليه داره، هل يستطيع الإنسان أنْ يقسِّم زوجته بينه وبين عادٍ عليه يريد أنْ يهتك عرضه، وينتهك حرمته؟!

كان التقسيم مرفوضًا، ومع هذا حدث ما هو شرٌّ من التقسيم، وقامت دولة «إســرائيل»، واعترفت بهــا أمريكا، ثمَّ اعترفت بها روســيا، وقال الجميع: إنَّ إسرائيل خُلقت لتبقى.

ودخلت الجيوش العربيَّة السبعة إلى فلسطين، وبالخيانات والتآمر، والأســلحة الفاســدة الَّتي كانت تقاتل بهــا بعض الجيــوش، انهزمت الجيوش السبعة أمام العصابات.

كنا نقول عن إســرائيل، وكانت أجهزة إعلامنا المقروءة والمسموعة

QaradawiBooks.com

ـ لم تكن هناك أجهـزة مرئية في ذلك الوق ـ الصحافـة ومثلها الإذاعة كانت إذا ذكرت إسرائيل تقول: إسرائيل «المزعومة» بين قوسين، وظللنا سنوات نقول عن إسرائيل: «المزعومة».

ثم خجلنا من أنفسنا حينما كانت هذه المزعومة تركلُ هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهـة، وتعتدي هنا وهناك، ولا يملِـك العرب المعتدى عليهم إلَّا أن يشجبوا وينكروا هذا العدوان، ويحتجُّوا لدى مجلس الأمن وهيئة الأمم، وهناك آلاف الاحتجاجات والاستنكارات.

بعد هذا خجلنا من أنفسنا أن نقول عن إسرائيل: «المزعومة» بعد أن أوشكنا أن نكون نحن: المزعومين!

وظلَّ هذا الوهم إلى أنْ هيَّأ الله الفرصة لجهاد فلسـطيني يقوم على أكتاف أبناء فلسـطين أنفسـهم؛ وقامت «فتح» وقامـت فصائل مختلفة تجاهـد وتنادي: ثـورة حتَّى النصـر، إلـى أنْ قامت حركـة المقاومة الإسلاميَّة، الجهاد باسم الإسلام، ثورة المساجد، الثورة الَّتي انطلقت من بيوت الله، وكانت صيحاتها من فوق المـآذن، من ميكروفونات المآذن: حي على الجهاد، حي على الجهاد، راياتهـا المصاحف، القرآن الكريم مرفوعًا، شعاراتها: لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر، أناشيد أبنائها وأشبالها:

خـيـبـر خـيـبـر يـا يـهـود ... جيش مُـحَـمَّـد سـوف يعود

هذه الثورة المسـجدية الإيمانيـة قلبت الموازيـن، وجعلت هؤلاء يحسبون ألف حسـاب لهذه الروح الجديدة، فما كانوا يخافون كثيرًا أنْ يكون الجهاد باسم «الوطنية»، أو تحت شعار «القومية»، إنَّما الَّذي كان يخيف يهود وأبناء صهيون: أنْ ينطلق الجهاد باسم الله، باسم الإسلام.

QaradawiBooks.com

كانوا يريدون أنْ يكون جهادهم أو نضالهم أو قتالهم هو تحت اسم الدين، تحت اسم التوراة، التلمود، أمَّا المسلمون فما كانوا يحبون أن ينطلق لهم جهاد تحت راية الإسلام، ولكن هذا الَّذي حدث.

ومن هنا كان الضغط المستمر على المقاومة الإسلاميَّة، وكان تكسير العظام، وكان القتل، وكان التشريد والإبعاد، وكان السجن والاعتقال، وكان هدم البيوت، إلى آخره، ولكن لم يفُت ذلك في عَضُد هؤلاء المجاهدين الجدد، إنَّه الإسلام، الإسلام أنشأهم خلقًا جديدًا، يرون أنَّ الموت في سبيل الله هو عين الحياة!

ما أخشى ما يخشاه الناس؟

النَّاس يخشون على أمرين: يخشون على الرزق، ويخشون على العمر.

والرزق بيد الله، والعمر بيد الله، لا يستطيع أحد أنْ ينقص من رزقك لُقمة أو درهمًا، ولا يستطيع أحد أنْ يؤخِّر أجلَك يومًا أو ساعة، أو لحظة من زمن، الأرزاق والآجال بيد الله.

ولهذا لم يخف هؤلاء من الموت، لم يبالوا أوقعوا على الموت، أم وقع الموت عليهم، فإمَّا أن نعيش سعداء، وإمَّا أن نموت شهداء. إنَّما هي إحدى الحسنيين ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. هذه الروح الجديدة وهذا الجهاد الجديد، هو الَّذي جعل أبناء صهيون يفكِّرون تفكيرًا جديدًا.

الخوف من الخطر الإسلامي:

دعوكم من كلِّ ما يُكتب ويُقال أحيانًا. تذكُر وكالات الأنباء وتقريرات الصحف الأجنبية والعالمية ما وراء السطور، قالت «رويترز»:

QaradawiBooks.com

إنَّ الَّذي جعل الإسرائيليين يُعجِّلون بالاتفاق الجديد، هو خوفهم من تنامي الأصولية الإسلاميَّة.

إنَّ هذه الأصولية يصلُب عودها يومًا بعد يوم، قامت ثورة إسلاميَّة في إيران، ووصل حكم إسلامي إلى السودان، وفاز إسلاميون في الأردن، وفي اليمن، وأوشك الإسلاميون في الجزائر أن يصلوا إلى الحكم بطريق ديمقراطي، وهذا هو الخطر!

العالم كلّه الآن يتنادى بالتحذير ـ أقصد: العالم الغربي اليهودي والصليبي ـ يتنادى بالتحذير ممَّا سموه: الخطر الأخضر، يقصدون به الخطر الإسلامي!

زال الخطر الأحمر الَّذي كان يتمثل في الشيوعية العالمية، بقيادة الاتحاد السوفيتي، والخطر الأصفر الصيني لم يعد يُخوِّفهم، الخطر الجديد هو: الخطر الإسلامي.

هل الإسلام خطر والمسلمون بهذا الضعف؟! وفي مؤخرة الأمم، وفي ذيل القافلة؟!

هل يُعتبر هذا خطرًا تُحشد القوى للتخويف منه، وتضخيم مخاطره، وغرس هذه المعاني في العقول والنفوس؟!

الإسلام سرعان ما يقوى وينهض:

صحيح أنَّ الإسلام ضعيف الآن، ولكنَّهم يقولون: لقد عرفنا من طبيعة الإسلام أنَّه يكون ضعيفًا ثمَّ سرعان ما يقوى، متفرقًا ثمَّ سرعان ما يتجمَّع، نائمًا ثمَّ سرعان ما يستيقظ، إذا وُجد من يقود الأُمَّة باسم الله، ومن يخاطبها بكلمة الله، فسرعان ما يظهر هذا العملاق، ويخرج من

QaradawiBooks.com

قمقمه، ويتحدى الدُّنْيـــا، كما فعل ذلك أيَّام صـــلاح الدين، وأيام قطز، وأيام مُحَمَّد الفاتح وغيرهم من الأبطال.

إنَّهم يخشون أن يعود صلاح الدين من جديد، هذا ما يخشاه هؤلاء، ولذلك ســارعوا لمثل هذا الاتفاق، الَّذي لا يُعطي للشــعب الفلسطيني ما كان يتنادى به من ســنين طويلة: من حقِّ تقرير مصيره، وإقامة دولته الوطنية المستقلة على كامل ترابه، وإعادة اللاجئين المشرَّدين إلى أهليهم وديارهم وأوطانهم الَّتي أُخرجوا منها بغير حقٍّ، وأن تكون عاصمة هذه الدولة المستقلة: القدس الشريف، هذا ما كانوا يتنادون به.

اتفاق غزة أريحيا لم يأت بجديد:

ولكن للأسف لم نجد هذا في الاتفاق الجديد، فمما قاله الَّذين مثَّلوا الجانب الفلســطيني: إنَّنا نأمل أن تُحلَّ المشكلات الصعبة في المرحلة القادمة، مشكلات القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود، فإذا كانت هذه المشكلات مُعلَّقة، فما الَّذي حُلَّ من مشكلات إذن؟!

إنَّ «رابين» عشية ذهابه إلى «واشنطن» لحضور حفل التوقيع، صرَّح لوكالات الأنباء: أنَّ القدس ستظلُّ العاصمة الموحَّدة الدائمة لإسرائيل، وأنَّ علَم فلسطين لن يخفق فوقها يومًا من الأيام.

أراد بذلك أن يبلِّغ رسالة إلى الجانب الفلســطيني: أنَّ هذه القضية إحدى الثوابت الَّتي لا تقبل التغيير أو التعديل أو التنازل.

وفي كلمته في حفل التوقيع قال: نحن قادمون من «أورشليم» أو من «القدس» العاصمة التاريخيَّة والأبدية للشعب اليهودي.

QaradawiBooks.com

لا يمكن التنازل عن القدس والأقصى:

هل يمكن أن نقبل تنازلًا عن القدس؟ عن المسجد الأقصى؟ عن أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين؟ هل يمكن أن يصبح هذا أمرًا هامشيًّا يُترك إلى نهاية المفاوضات، بعد أن يكون كلُّ شيء قد تمَّ؟ وتمَّ الاعتراف، وتمَّ التطبيع، وتمَّ الاختراق، وتمَّ، وتمَّ؟ ماذا يملك الَّذين يمثِّلون فلسطين عند ذلك؟ هل يرجعون في كلِّ ما تمَّ إذا تصلَّب الجانب الإسرائيلي، وهو متصلِّب من اليوم.

كيف نفرِّط في القدس؟ كيف نسكت عن اللاجئين، الملايين الأربعة المشرَّدين؟

ذكر «رابين» في كلمته: يهود الشتات، اليهود المشتتين، وهؤلاء اليهود المشتتون ـ كما يسميهم ـ يهود عاشوا في أقطارهم قرونًا من الزمن، ولِدوا فيها، ونشؤوا هم وآباؤهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم، ومع هذا يسميهم: يهود الشتات، وسكتنا نحن عن فلسطيني الشتات، وكثير منهم ولِد في فلسطين، عاش فيها ونشأ فيها وشهد بنفسه مجازر «دير ياسين» وغيرها، كيف نسكت عن هذا، ولا نقول كلمة واحدة عن هؤلاء المشتتين، وما عانوه، وما يعانونه؟! هذه قضية اللاجئين.

قضية الاستيطان: ما زال المستوطنون يصولون ويجولون، هؤلاء الَّذين جاؤوا من خارج فلسطين، أصبحوا يتحكمون في أرض فلسطين، وفي أهل فلسطين في الضفة الغربيَّة وغيرها.

الاتفاق يعطي القوات الإسرائيلية الحقَّ في التحرك بحرية في الطرق

QaradawiBooks.com

ما بين غزة وأريحا، أين الانســحاب إذن؟! كيف رضينا بالهوان؟! كيف قبلنا هذا الدون؟!

لقد وقفنا ضد اتفاقية «كامب ديفيد»، وقلنا: إنَّها خيانة، فما هو الَّذي جعلنا نقبل ما هو شـرّ منها؟! ولهذا البعض الآن يقولــون: إن «كامب ديفيد» الأولى خير من «كامب ديفيد» الثانية، كما قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيَّام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن[1]!

ما السرُّ في هذا؟

إنَّه الوهْــن، الوهْن الَّذي أصــاب القائمين على هــذه القضية، وهو ما حذَّر منه القرآن فقال تعالى: ﴿ **فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿ **فَلَا تَهِنُوا۟** ﴾، أي: لا تضعفوا.

هــؤلاء يقولون: ليــس معنا أحد، ذهبــت روســيا الَّتي كانت تعضدنا، والعالم العربي ممزَّق وضعيف، فلم يبقَ أمامنا إلَّا أن نقبل ما يُعرض علينا.

هذا هو الوهن، الوهن الَّذي يصيب الأمم في مرحلة الضعف، وحذَّر منه النَّبي ﷺ الأُمَّة في المرحلة الغُثائية، حينما تصبح كثرة كغثاء السيل، قال ﷺ: «**ولينزِعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن**». قال قائل: يا رسـولَ الله، وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهية الموت**»[2].

(١) البيت للأمير يحيى بن علي باشا الإحسائي، كما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي الحموي (٤/٤٧٦)، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

هذا هو الوهن النفسي، أن يخلُد النَّاس إلى الدُّنْيا، إلى المناصب، إلى الشهوات، ويكرهوا الموت في سبيل الله.

لهذا نهى القرآن عن الاستسلام لهذا الوهن والضعف ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾؛ لأنَّ الإسلام يعلو ولا يُعلى، وإذا تخلَّت عنكم روسيا أو غيرها، حسبُك أن يكون الله معك، ومن كان الله معه فلن يضيع، ومن نصره الله فلا يُغلَب ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

البوسنة مثل يُحتذى:

لنأخذ مثلًا من إخوتنا في البوسنة والهرسك، هؤلاء الصامدون الَّذين رأيناهم كما نشرت الصحف من أيام: ثمانية عشر رجلًا منهم في سجن من سجون الكروات، يقتسمون رغيفًا من طول ما أهلكهم الجوع، كلُّ واحد يأخذ منه لُقيمة، ومن شدة العطش لعقوا بأفواههم الثرى، عسى أنْ يجدوا فيه بعض النَّدى.

هؤلاء صمدوا، فأين أبناء فلسطين؟ لماذا لا يصمدون؟ لماذا يهنون ويستكينون؟ وقد قال الله تعالى في شأن قوم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧]، أي أنَّهم اتهموا أنفسهم: إذا كُنَّا أُصبنا في بعض المعارك، فلا بدَّ أن نكون قد أذنبنا أو قصَّرنا، ولذلك سألوا الله المغفرة، قبل أن يسألوه التثبيت والنصر.

QaradawiBooks.com

نهى القرآن عن الاستسلام للوهن ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

إن قلتم: إنَّنا قد ضحينا وعانينا وتعبنا، فالعدو أيضًا يضحي ويعاني ويتعب، ولكن فرق بين من يعاني في سبيل الله، في سبيل الحق، في سبيل الشرف والعدل، ومن يعاني ويتعب في سبيل الطاغوت، في سبيل الظلم والباطل ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.

الاتفاق ليس شأنًا فلسطينيًا فقط:

يا أيُّها الإخوة، ربما يقول البعض: هذا شأن فلسطيني، وهل نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين، ومَلَكيون أكثر من الملِك كما يُقال؟!

ونقول: صحيح، إنَّ هذا ربَّما كان في المقام الأوَّل شأنًا فلسطينيًّا، ولكن هل دُعيت السلطة الشرعيَّة الوطنية الأولى للفلسطينيين في مثل هذا الأمر الجلل؟ هل دُعي المجلس الوطني الفلسطيني قبل أن يصدر قرار ويفاجأ بالأمر الواقع؟ لم يحدث!

ثم إنَّ هناك فصائل لها شأنها في الجهاد الفلسطيني، إسلاميَّة وغير إسلاميَّة ترفض هذا، لم يُجمع إذن الشعب الفلسطيني.

ثم من يقول: إنَّ فلسطين، إنَّ المسجد الأقصى، إنَّ قبة الصخرة، إنَّ أرض الإسراء والمعراج، هي ملك للفلسطينيين وحدهم؟

QaradawiBooks.com

لا، إنَّها ملك المسلمين جميعًا، مِلك هذه الأُمَّة من مشرق الأرض إلى مغربها، مِلك الأجيال الإسلاميَّة كلِّها. حتَّى لو وهن هذا الجيل وتخاذل، فليس من حقِّه هذا؛ لأنَّه يقطع الطريق على الأجيال القادمة.

فلسطين أرض المسلمين، إنَّ الَّذي حرَّر المسجد الأقصى من الصليبيين من قبل، بعد بقائه تسعين عامًا في أيديهم لم يكن فلسطينيًّا، ولم يكن عربيًّا، بل كان رجلًا كردي الأصل، وإن عرَّبه الإسلام، كان كرديًّا اسمه «صلاح الدين الأيوبي» هذا هو الَّذي هيَّأ الله على يديه النصر، وقامت معركة حطين، وفتح بيت المقدس، لهذا نقول: إنَّ هذه القضية قضية المسلمين حيثما كانوا.

بشائر الرسول ﷺ في قتال اليهود:

لا ينبغي أنْ تسقط الراية أبدًا، سيظل الجهاد مستمرًّا، وعندنا بشائر من رسول الله ﷺ، إنَّ المعركة بيننا وبين اليهود قائمة، نقاتلهم ويقاتلوننا. قال ﷺ: «**تقاتلكم اليهود** ـ وفي رواية: **تقاتلون اليهود** ـ **فتسلطون عليهم، حتَّى يختبئ أحدهم وراء الحجر والشجر فيقول الحجر: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**»[1].

وفي بعض الألفاظ: «**حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله**»[2].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٣)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢١)، عن ابن عمر.

(٢) هذه رواية أبي هريرة، سبق تخريجها صـ ٢٤٣.

QaradawiBooks.com

هذا ما رواه البخاري ومسلم، عن ابن عمر، وعن أبي هُرَيْرة.

وروى عبد الله بن أحمد في «المسند»، والطبراني في معجمه «الكبير» بسندٍ رواته ثقات، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، ولعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم أو جابههم، إلَّا ما أصابهم من لأواء**». أي: من أذى كأن يسقط منهم شهداء وضحايا. قالوا: يا رسولَ الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكْناف بيت المقدس**»[1].

هؤلاء المرابطون مستمرون.

بشائر رسول الله ﷺ تُعطينا الأمل، وتزرع في نفوسنا الرجاء، أنَّ هذه الأُمَّة منصورة، وأنَّ هناك طائفة ستظل مستمسكة بعروة الحقِّ لا انفصام لها، لا تستخذي، لا تنحني، لا تستسلم، مهما عصفت الريح من حولها؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ نصر الله آت لا ريب فيه، وأنَّ هناك معركة قادمة، سيكون كلُّ شيء فيها مع المسلمين، ولصالح المسلمين، حتَّى الحجر والشجر ينطق، هل ينطق بلسان الحال، أو ينطق بلسان المقال؟!

أيًّا ما فسَّرنا هذا الأمر، فعندما يأتي النصر يكون كلُّ شيء معنا. وعندما يُقدَّر عليك الخذلان، فكلُّ شيء ضدك، حتَّى السلاح الَّذي في يديك، كما رأينا هذا في سنة ١٩٦٧م.

المعركة مع اليهود دينية إسلامية:

إنَّ المعركة قادمة، وفلسطين هي أرض الإسلام، والأقصى يجب أنْ يكون إسلاميًّا، وفي يد المسلمين، والقدس هي عاصمة فلسطين.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٠١.

QaradawiBooks.com

إنَّنا ينبغي أن نؤكـد على أمور لا بدَّ منها، وهـي: أنَّ المعركة دينيَّة إسلاميَّة، هذه هي الحقيقة، ومن أجل ذلك نتحدث عنها على هذا المنبر.

لا يظنُّ بعض النَّاس أنَّنا نتحدث في السياسـة، نحن نتحدث في الدين، في صُلْب الدين، نتحدث في أرض الإسراء والمعراج، وفي المسجد الأقصى.

القضية إسـلاميَّة، كما أنَّها من جانب «صهيون» يهودية، يهودية لحمًا ودمًا.

هل شاهدتم وسمعتم حفل التوقيع؟ هل سمعتم ما قال «رابين»؟!

إنَّه انتهـز فرصة أنَّ العالم يسـمعه، فأراد أنْ يؤكـد يهودية القضية، فاستشـهد بالتوراة وقرأ فقرات من «سـفر الجامعة» أحد أسـفار العهد القديم، وتحدث عن السَّـنة العبرية اليهودية. استشـهد بالتوراة، ولم نر أحدًا من وفدنا استشـهد بآية من القرآن، أو جاء على لسانه مجرد ذكر الإسلام، أو ذكر مجرد كلمة «المسجد الأقصى»، فيا للهوان! ويا للضياع!

لا نستعجل الثمرة قبل أوانها:

القضية إسـلاميَّة هذا ما ينبغي أن نؤكده، والنصر ينبغي أن نؤمنَ به، قد يبطئ علينا، وهذه سُـنَّة من سُنن الله، حتَّى نسـتكمل عُدَده، وحتى تُمحِّصنا الأحداث؛ ليمتحن الله ما في صدورنا، وليمحص ما في قلوبنا، ولتفرز المعركة الأبطال الحقيقيين، ويتميز الخبيث من الطيب، ولكن النصر آت لا ريب فيه.

لا ينبغي أن نسـتعجل الثمرة قبل أوانها، ونفرِّط في تاريخ الجهاد، ويضيع دم عـزِّ الدين القسـام، وعبد القـادر الحسـيني، وأبي جهاد، وغيرهم، وتضيع الدماء في دير ياسين، وصبرا، وشاتيلا عبثًا، ينبغي ألا نفرِّط في هذه الدماء.

QaradawiBooks.com

في معرض الكتاب بالدوحة الَّذي عُقد في ديسمبر من عام ١٩٩٣م، وأقيمت فيه ندوة شعرية، ألقيت قصيدة أُنْكِر فيها ما يُعرض في مؤتمرات السلام هذه، أُنْكِر فيها أن نرضى بأنْ تكون فلسطين تحت الرعاية الصهيونية والعَلم الإسرائيلي، وقلت فيما قلت في ذلك الوقت:

فيا عجبًا لمن يجري ... وراء سرابِهِ النفسي
يظنُّ له به ريًّا ... ويرجعُ فارغَ الكأسِ
يفرِّط في دمِ الشُّهداء ... يا للعارِ والبؤسِ!
يبيعُ الأرضَ والتاريخَ ... بالأرخصِ من فِلسِ
بحكمٍ في حمى صهيونِ ... يا للثمنِ البخسِ!
فلا دولته قامت ... ولا أبقَى على النفسِ
وضاعَ جهادُ أجيالٍ ... فقد دفنوه في الرمْسِ
جهودٌ كلُّها ذهبت ... «كأنْ لم تغنَ بالأمسِ»
فما معنى فلسطين ... بلا أقصى ولا قدسِ؟
فلسطين بلا قدسٍ ... كجثمانٍ بلا رأسِ(١)

ولكنا قبلنا الجثمان بغير الرأس!!

القضية إسلاميَّة، والنصر آت، وينبغي أن نُعلِّم ذلك لأولادنا، ونُلقِّنه أبناءنا هؤلاء المظلومين، إنَّنا نشفق والله على أبنائنا وأحفادنا الَّذين ظللنا نُحفِّظهم أناشيد العودة، وأغاني البطولة والقدس والأقصى، ثمَّ بعد ذلك نسكت عن هذا كلّه مرَّة واحدة.

(١) انظر ديواننا: المسلمون قادمون صـ١٣٥ ـ ١٤٦، قصيدة: سراب السلام أو سلام السراب.

QaradawiBooks.com

ماذا نقول لأبنائنا:

إسرائيل الَّتي قلنا: إنَّها خطر اقتصادي وثقافي وديني وسياسي وعسكري... الآن نمدُّ إليها اليد، ونرى أعداء الأمس شركاء اليوم! ماذا نقول لأبنائنا وأحفادنا؟

ينبغي أن نحمي أبناءنا من الخطر القادم الآن، وهو عملية غسيل المخ.

احذفوا إذن من القرآن: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢].

احذفوا إذنْ من القرآن: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

احذفوا من البخاري ومسلم: «**تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم**»(١).

اغسلوا أمخاخ أبنائكم وأحفادكم!

لا والله، سنثبت، ونصبر، ونقاوم، القضية لم تنته بعد، وهي مستمرة.

صيانة الدم الفلسطيني:

كلُّ ما نريده من أبناء فلسطين ـ وقد حدث ما حدث ـ ألا يضرب بعضهم رقاب بعض، ألا يسفك بعضهم دماء بعض، حرام أن تُراق قطرة دم فلسطينية من أجل ما يريده اليهود، دعوا الانتفاضة تعمل عملها خارج غزة وأريحا في الأرض المحتلة الباقية، وهذا أضعف الإيمان؛ لأننا ظللنا

(١) سبق تخريجه صـ ٣٢٨.

QaradawiBooks.com

سنين نقول: إسرائيل كلُّها قائمة على الاغتصاب والعدوان، وما قام على الباطل فهو باطل، ولا حقَّ لها في الوجود.

حتى لو رضينا بالذل، بما لا يقبله مسلم بمنطق الإسلام والإيمان، حتَّى لو رضينا بهذا، لا يجوز أن تُقمع الانتفاضة، ويُقمع الجهاد من أجل حماية أمن اليهود، لا يجوز هذا.

هذا ما نرجوه من إخوتنا في فلسطين أمام هذا الوضع الجديد.

لا يأس ولا تشاؤم:

يا أيُّها الإخوة، نحن في أوضاع ربَّما يقابلها بعض النَّاس بالتشاؤم أو باليأس ولكنِّي أقول والله: إنَّ هذه الأوضاع لن يكون من ورائها إلَّا إيقاد الجذوة، وإلا استمرار الصحوة، وإلا نفخ روح القوَّة، وإلا أنَّ هذا العملاق سينتفض من جديد.

لطالما أصاب الإسلامَ مِحنٌ طوال تاريخه، منذ حروب الرِّدة، ومنذ حروب التتار، ومنذ غزوات الصليبيين، ومنذ الاستعمار الَّذي احتل ديار الإسلام، ولكن الإسلام لم يمت، وهذه الأُمَّة لم تمت، وإن قدَر الله لهذه الأُمَّة أنَّها لا تموت، وأنَّها ستظلُّ تفرز الأبطال يومًا بعد يوم.

إنَّ الَّذي أخرج طارق بن زياد من قديم، وصلاح الدين الأيوبي، ومحمد بن مراد الفاتح، وعبد القادر الجزائري، وعمر المختار، وعز الدين القسام، وغير هؤلاء من المجاهدين المقاتلين، سيخرج أمثالهم وأمثالهم، وقد أخرج، وها نحن نرى والحمد لله ما يطمئن النفوس.

إنَّ فلسطين إسلاميَّة، والمعركة إسلاميَّة دينيَّة، لن يُبنى الهيكل على

QaradawiBooks.com

أنقاض المسجد الأقصى، لن تنتصر اليهودية المنسوخة على الإسلام الخالد، لن تنتصر التوراة المحرَّفة على القرآن المحفوظ، لن ينتصر الباطل على الحقِّ، بل الحقُّ سينتصر؛ لأنَّ الله هو الحقُّ المبين ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يَسْتجِب لكم، إنَّه نِعْم المولى ونِعْم النصير.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة[١]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عِصمة أمرنا، وأصْلِح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصْلِح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجْعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحْسِن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجِرْنا من خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العُليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السُّفلى.

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود، اللهمَّ انصرنا على الصليبيين، اللهمَّ انصرنا على الوثنيين، اللهمَّ ردَّ عنَّا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، وأذلَّ دولتهم، وأذهِب عن أرضك سلطانهم، ولا تدَع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المسلمين.

اللهمَّ ارفع بنا راية الإسلام، وأعل بنا كلمة القرآن، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله تعالى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ على عبدك ونبيك ورسولك مُحمَّد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٩

خطبة عيد الفطر(١)

أمَّا بعد، فيا أيُّها المسلمون:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير.

التكبير زينة أعيادنا:

زينة أعيادنا ـ نحن المسلمين ـ التكبير؛ فالله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبـــر الله أكبر، لا إلٰه الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر شعار المسلمين، يدخل المســلم صلاته في كلِّ يوم خمس مرات بهذه الكلمة العظيمة: الله أكبر.

يؤذِّن للصلاة كلَّ يوم خمس مرات، ويفتتــح أذانه بهذه الكلمة: الله أكبر الله أكبر.

يقيم لصلاتــه كلَّ يوم خمس مرات، يفتتح إقامتــه بهذه الكلمة: الله أكبر الله أكبر.

إذا ذبح المسلم ذبيحة، سمَّى الله وكبَّر: بسم الله والله أكبر.

(١) أُلقِيت في ميدان عابدين بالقاهرة سنة ١٩٧٧م.

QaradawiBooks.com

الله أكبر هي شعار المسلم في كلِّ حين، إذا دخل المسلم معركة، كانت الصيحة الَّتي تملأ قلوب الأعداء فزعًا وخوفًا هي صيحة: الله أكبر الله أكبر.

الله أكبر هي زينة العيد، فكبّـروا الله، وقولوا: الله أكبر الله أكبر، لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

العيد فرح بتوفيق الله للطاعة:

أيُّهـا الإخوة المسـلمون، هذا يـوم العيد، هـذا يوم عيـد الفطر، وللمسلمين عيدان: عيد الفطر وعيد الأضحى، وكلُّ عيد يأتي بعد عبادة من العبادات الكبرى، وبعد فريضة من الفرائض العُظمى، عيد الأضحى يأتي بعد الحـج، وعيد الفطـر يأتي بعد الصيـام ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

جاء هذا العيد، ليفرح فيه المؤمنون بتوفيـق الله، و«**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرِح بفطره، وإذا لقي ربَّه فَرِح بصومه**»(١).

إذا أفطر كلَّ يوم فرح، وإذا أفطر بعد الفـراغ من رمضان فَرح فرحة أخرى، هي فرحة التوفيق لطاعة الله تعالـى، هي أنَّ الله تعالى أنعم عليه بنعمة الصيـام والقيام، وجـاء العيد متممًـا لهذه النعمـة، وفيه يفرح المؤمنـون بتوفيـق الله ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

المسلم يشرك الفقراء معه فرحة العيد:

ومن شُكْر نعمة الله على توفيقه ألا يعيش المسلم فرحة العيد وحده، بل يجتهد أن يُشرك معه الفقراء والمسـاكين من عباد الله، ولهذا فَرضَ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام زكاةَ الفطر من رمضان، يؤديها المسلم عن نفسه وعمَّن يمونه ويلي عليه من زوجة وأولاد، وهي مقدار يسير يجب على من يملكه فاضلًا عن قوت يوم العيد وليلته ولو لم يكن مالكًا للنصاب عند جمهور العلماء.

فقد أراد الإسلام أنْ يعوِّد المسلمَ العطاء والإنفاق في السراء والضراء، وأنْ تكون يده العليا يومًا، فهو يعطي وإن كان فقيرًا، وقد يعطي الصدقة من ناحية، وتجيئه لفقره صدقات من ناحية أخرى، وفي الحديث: «**أمَّا غنيكم فيزكّيه الله، وأمَّا فقيركم فيردّ الله عليه أكثر ممَّا أعطى**»(١).

والمسلم يَطلب المسكين في هذا اليوم ويوصل إليه الصدقة في مكانه، كما جاء: «**أغْنُوهم عن الطواف في هذا اليوم**»(٢).

أيُّها الإخوة:

يوم العيد أشبه بيوم الوعيد، أشبه بيوم القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤١].

أمَّا المستبشرون الفرحون، فأولئك الَّذين أتمَّ الله عليهم نعمة الصيام والقيام، فهم في هذا اليوم يفرحون، وحُقّ لهم أنْ يفرحوا.

وأمَّا الوجوه الَّتي عليها غبرة، ترهقها قَتَرة، فوجوه أولئك الَّذين لم يقدّروا نعمة الله، ولم يمتثلون لأمر الله في الصيام والقيام، فيا ويلهم ثمَّ

(١) رواه أحمد (٢٣٦٦٤)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦١٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٤٦٨)، عن عبد الله بن ثعلبة.
(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي في الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يا ويلهم ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٥].

العيد ليس انطلاقًا للشهوات:

أيُّها الإخوة المسلمون، هذا يوم عيدنا، يوم العيد ليس يوم انفلات ولا انطلاق للشهوات، بعض المِلل والنِّحل عيدها عيد شهوات، عيد إباحيّة ولذّات، ولكن عيد المسلمين يبدأ بالتكبير ويبدأ بالصلاة.

فيه المعنى الرباني، فيه معنى الصلة بالله تعالى، فأوّلُ شيء في يومنا هو التكبير، وثاني شيء هو الصلاة.

العيد ليس قطعًا للصلة بالله:

العيد ليس معناه انطلاقًا من كلِّ قيد، لا، وليس العيد قطعًا للصلة بالله تعالى، إنَّ بعض النَّاس يظنُّون أنَّ انقضاء رمضان، هو انقضاء العهد بالمساجد والجماعات والصلوات والطاعات، لا، لا يا إخوتنا المسلمين. لا، من كان يعبُد رمضان فإنَّ رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت.

إنَّ رمضان موسم المتَّقين، ومتْجر الصالحين، والتاجر يضاعف نشاطه في الموسم، ولكنَّه لا يُغلق دكَّانه بعد الموسم. إنَّ رمضان موسم نشحن فيه بطاريات القلوب بمعاني الإيمان والتُّقى، والرغبة فيما عند الله، والإقبال على ما عند الله. وعلامة القبول في رمضان أنْ يظلَّ الإنسان موصولًا بحبل الله بعد رمضان، ألَّا يقطع الوُدَّ بينه وبين ربِّه، وقد كان بعض السلف يقولون: بئس القوم قومًا لا يعرفون الله إلَّا في رمضان، كن ربانيًّا ولا تكن رمضانيًّا.

QaradawiBooks.com

لا تكن إنسانًا موسميًّا يعرف الله شهرًا في العام، ثمَّ بعد ذلك ينقطع عن طاعة الله، وعن عبادة الله.

من كان قد قُبِل صيامه، وقُبِل قيامه، فلذلك علامة. علامة هذا أن نجد أثر ذلك بعد رمضان ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

فمن علامة قبول الحسنة، ومن ثواب الحسنة: الحسنة بعدها.

ومن عقوبة السيِّئة: السيِّئة بعدها.

فيا أخي المسلم كن مع الله دائمًا، إنَّ الله يُحبُّ الطاعة في كلِّ زمان، ويكره المعصية في كلِّ أوان، وربُّ رمضان هو ربُّ شوال، هو ربُّ ذي القعدة، هو ربُّ سائر الشهور.

كن مع الله أبدًا، اتق الله حيثما كنت، في أي مكان كنت، وفي أي زمان كنت، وعلى أي حال كنت ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

صلاة العيد في الخلاء سنة:

أيُّها الإخوة المسلمون، نحن في يوم العيد، عيد الفطر، نحن في يومٍ من أيَّام الله، نحن في يوم مهرجان إسلامي، كان النَّبي ﷺ يصلي العيد في الخلاء، ولم يَرِد أنَّه صلّى العيد في مسجد، إلاَّ ما روي أنَّ السماء أمطرت يومًا فاضطر إلى إقامة العيد في المسجد[1]. وإنَّما كان يصلي في

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١١٦٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣١٣)، والحاكم في صلاة العيدين (٤٣٥/١)، وصحَّحه. وحسَّن النووي إسناد أبي داود في خلاصة الأحكام (٢٩٠٧)، وضعَّف ابن حجر إسناده في التلخيص الحبير (١٦٦/٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الخلاء؛ ليجتمع المســلمون الَّذين في المدينة جميعًا في صعيد واحد، وفي مكان واحد، في مهرجان إسلامي كبير، يجتمع فيه الرجال والنساء، حتَّى إنَّ النَّبي ﷺ سُئل: إذا كانت إحدانا ليس لها جلباب (أي: عباءة، أو ملاءة، أو ثوب خارجي تلتحف به وتخرج)، فماذا تفعل يا رسول الله؟

قال: «**لتُعِرْها أختها من جلبابها**»[1]. تستعير جلبابًا وتخرج للصلاة.

وكان الصبيان يخرجون، وكانت المرأة تخرج، حتَّى المرأة الحائض، الَّتي ليس عليها صلاة، ولا يُقبل منها صلاة، كانت تحضر العيد، تعتزل الصلاة، ولكنَّها تشهد الخير ودعوة المسلمين.

إحياء السنن المهجورة:

والحمد لله قد أحيا الشباب الإسلامي في هذا البلد هذه السُّنَّة، الَّتي أُميتت زمنًا طويلًا، سُنَّة مشاركة المرأة المسلمة في صلاة العيد، فجعلوا جناحًا للأخوات المسلمات، وجعلوا كذلك مُتسعًا للصبيان، وشجعوهم بالحلوى والهدايا، وهكذا ينبغي أن نكون.

ينبغي أن نحيي السُّنن المهجورة، السُّنن الَّتي أماتها النَّاس في عصور التخلف والانحطاط، ونحمد الله تعالى أنَّ سُــننًا كثيرة قد أُحييت بفضل الحركة الإسلاميَّة، حركة الإسلام، وحركة الشباب المسلم في هذا البلد.

كانت هناك سُنَّة لم يكن يعرفها إلَّا القليل النادر، أو الشاذ من النَّاس، وهي سُــنَّة الاعتكاف في رمضان، وفي العشــر الأواخــر من رمضان. والحمد لله أُحييت هذه السُّنَّة بفضل هذا الشباب الإسلامي في كثير من المساجد، فالحمد لله ما زال الإسلام بخير.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٥١)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٠)، عن أم عطية.

QaradawiBooks.com

رأينا عشرات ومئات من الشباب يتحدُّون «المودات»، ويتحدُّون البِدع الوافدة من الشرق والغرب، يُطلقون لحاهم، ويُحيون سُنَّة رسول الله ﷺ.

رأينا أخوات مسلمات، يقفن ضد التيار، التيار الزاحف بالفجور والتحلل ويتحجبن، بل ويتنقَّبن. إنَّ هذا النقاب الَّذي يعترضه بعض النَّاس ـ وإن كنت لا أقول بوجوبه ولا استحبابه في عصرنا ـ إنَّما يمثل التحدي، التحدي للحضارة الغربيَّة: حضارة التحلل والعُري والإباحية، والتحدي لعبيد الحضارة الغربيَّة وتلاميذها.

ظهور الحركة الإسلامية:

هذه الحركة الإسلاميَّة نجدها والحمد لله في كلِّ مكان، شباب مسلم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يصومون الاثنين والخميس، يقرؤون القرآن، يقرؤون السُّنن والسِّيَر، يتفقهون في دين الله، يقومون بخدمة المجتمع، يستَبِقُون الخيرات.

كان النَّاس قد ظنُّوا يومًا أنَّ الحركة الإسلاميَّة في هذا البلد لن تقوم لها قائمة، فلقد ضُربت ضرباتٍ وحشيةً متلاحقة.

في عهد الطغيان[1]، اختلطت السياط باللحوم والدماء، في رجال وشباب من أبناء هذا البلد، ولكنَّهم ظلُّوا رجالًا والرجال قليل.

كان هناك من يتحدَّى الله فوق سماواته وفوق عرشه، كان هناك من يقول: هاتوا ربَّكم وأنا أحطه في زنزانة[2]!

(١) يعني: عهد عبد الناصر وزبانيته في السجن الحربي وغيره.

(٢) هو اللواء حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، الذي قُتل في حادث سيارة فمزقته شرَّ مُمزق، ولم يُغن عنه تطاوله شيئًا.

QaradawiBooks.com

كان هناك المتجبِّرون المتكبِّرون، أين هؤلاء؟!

لقد ذهبوا، ذهبوا ولم يعُد لهم إلَّا ذكر السوء، ولعنة السوء عليهم من الله والملائكة والنَّاس أجمعين.

وبقي الإسلام، وبقيت حركة الإسلام، بقيت هذه الحركة، لم يُطوَ بساطها كما ظنُّوا، لم تُنكَّس أعلامها، بل ظهرت في مثل هذه التجمعات الإسلاميَّة، الَّتي يدعو إليها الشباب المسلم المثقف.

الأمة ما زالت موصولة بالإسلام:

يا أيُّها الإخوة، الإسلام بخير إذ وعيناه، وفهمناه، وعملنا له، والتففنا حوله.

إنَّ هذه الظاهرة، ظاهرة الشباب الإسلامي، في كلِّ مكان، المعسكرات الإسلاميَّة، المخيمات الإسلاميَّة، الوعي الإسلامي، إنَّها ظاهرة صحيّة.

إنَّها ظاهرة ترينا بكلِّ وضوح أنَّ هذه الأُمَّة لم تكْفر بربِّها، ولا بقرآنها، ولا بمحمدها ﷺ. إنَّها ما زالت موصولة بالإسلام، وإنَّما تحتاج إلى من ينبِّهها من غفلتها، إلى من يُوقظها من نومها، إلى من يجمع شتاتها، إلى من يُحيي مواتها، إلى من ينفخ فيها روح الإيمان، وإلى من يناديها بـ«الله أكبر».

الإسلام وحده هو من يوقظ الأمة:

«الله أكبر» هي الكلمة الَّتي تفعل الأعاجيب.

«الله أكبر» هي الكلمة الَّتي توقظ القلوب من الغفلات، هي الَّتي تجمع النَّاس من الفُرقة والشتات.

QaradawiBooks.com

هذه الأُمَّة فيها خير، فيها كنوز مرصودة، ولكن أين من ينبش عنها؟ ليس هناك شيء يُحرّك عزائم هذه الأُمَّة مثل كلمة الإيمان وكلمة الإسلام.

لن تحرِّكها الاشتراكية، ولا الثورية، ولا الديمقراطية، ولا العروبة، ولا الوطنية، ولا القومية، وإنَّما حرَّكتها كلمات الله، حرَّكتها كلمة الإسلام، حرَّكها «قطز» يوم نادى فيها نداءه المعروف: واإسلاماه، واإسلاماه، ولا زال الأمر كذلك.

هذه الأُمَّة إنَّما تُقاد باسم الله، باسم الإسلام، باسم الإيمان، بغير هذا لا يمكن أن تجدَ هذه الأُمَّة نفسها، ولا أن نصنع منها شيئًا ذا بال.

إنَّ لكلِّ أُمَّة شخصيَّة، ولكلِّ شخصيَّة مفتاح، إنَّك إذا أردت أنْ تفتح قُفلًا بغير مِفتاحه، لن يُفتح إلَّا إذا كان قُفلًا غير أصيل. القُفل الأصيل لا يُفتح إلَّا بمفتاحه الخاص.

الخوف من الصحوة الإسلامية:

وهذه الأُمَّة مِفتاحها الإيمان، حرِّكها بالإيمان تتحرك، قُدْها بالإيمان وهي تنقاد، اجعل منها أُمَّة الأمم إذا حرَّكتها بدوافع الإيمان بالله تعالى، إنَّها تتخطى العقبات، وتصنع المستحيلات، وتُنشئ البطولات، وتُعيد لنا عهد خالد، وطارق، وصلاح الدين من جديد، وهذا ما يخشاه أعداء هذه الأُمَّة.

يخشون أن تتحرك هذه الأُمَّة بالإسلام، ولهذا يضعون العقبات وراء العقبات، ويحاولون تشويه الحركة الإسلاميَّة، والتخويف منها، والتنفير من دعوتها، وإطلاق الشائعات حولها، وما رأينا أنظف من هذه الحركة،

QaradawiBooks.com

ولا أمثل منها أهدافًا وطرائق وأسـلوبًا ورجالًا وشبابًا وشابَّات، النظافة في كلِّ شيء، الإخلاص في كلِّ شـيء، الإيمان في كلِّ شيء، هذا أيُّها النَّاس ما ينبغي أن نسجِّله، وهذا ما يفرح به المؤمنون.

الجهر بالإفطار في رمضان:

وفي مقابل هذا أريد أنْ أسـجِّل شيئًا: لقد جئت قبل انقضاء رمضان بيومين، ولكنِّي رأيت عجبًا، ما كنت أراه من قبـل في هذا البلد، البلد الَّذي دينه الإسلام، بلد المساجد، بلد الأزهر، بلد العِلم والقرآن.

رأيت عجبًا أيُّها الإخوة المسلمون، رأيت النَّاس يعالنون بالإفطار في رمضان، رأيت محلات العصير والنَّاس عليها مزدحمون، رأيت من يبيع «العِرقسوس» و«الكولا» وغيرهما في الشوارع في نهار رمضان، حتَّى في حي الأزهر.

رأيت وسـمعت أنَّ النَّاس يُجاهرون بشـرب الدُّخان في الشوارع، رأيت أشياء من هذا النَّوع.

أين نحن؟! أنحن في أوربا أم في أمريكا؟! ألسـنا في مصر، والَّتي حملت الإسلام وحمت ذِماره أكثر من ألف عام؟ ألسنا في بلد الأزهر؟ ألسنا في بلد العلماء؟ ألسنا في بلد القرآن؟

ما هذا؟ ولمَ السكوت على هذا المنكر؟

إنَّ أشدَّ من المنكر أنْ يُسكت على المنكر، أنْ يحدث هذا ولا يجد المفطِر المجاهر من يقول له: أيُّهـا المفطر اختبئ إن كنت معذورًا، وإن كنت فاجرًا فلا تُظهر فجورك على النَّاس.

QaradawiBooks.com

لمْ يفعل هذا الشعب، ولَمْ تفعل هذا الشرطة، ولم يفْعل ذلك أحد، فأين نحن؟! وكيف ننتظر نصر الله تعالى إذا كُنَّا نرتكب المنكرات عيانًا بيانًا، جهارًا نهارًا؟ ونصر الله لا يأتي إلَّا إذا نصرناه.

والله تعالى قد حدَّد صفة المنصورين، الَّذين يستحقُّون نصره بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

كيف يحدث هذا في بلد إسلامي، بل في بلد واجهته الإسلام، ويفتخر بالإسلام، كيف تحدث هذه المنكرات؟!

كنت أعلمُ من قديم أنَّ النَّاس قد يتركون الصلاة، ولكن إذا جاء رمضان صلُّوا، وإذا جاء رمضان صاموا. كان الإنسان الفاجر، الإنسان الشـرِّير، لا يجرؤ على انتهاك حُرمة رمضان، كان لرمضان حُرمة وهيبة في قلوب النَّاس، حتَّى النَّصارى كانوا يتركون شُرب الشاي والتدخين في مكاتبهم طوال نهار رمضان؛ رعاية لحرمته عند المسلمين، فليت شعري أين ذهبت هذه المهابة؟! وأين ضاعت هذه الحُرمة؟!

إنَّ النَّبي ﷺ حذَّرنا من هذا العصر الَّذي تموج فيه الفتن كمَوْج البحر، والَّتي تضل النَّاس عن عقائدهم ببريق المادة، وجاذبية الطين، يقول عليه الصلاة والسلام: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بِعَرَض من الدُّنْيا قليل**»[1].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١١٨)، وأحمد (٨٠٣٠)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

بعض فتن العصر:

ومن فِتن هذا العصر الَّتي حذَّرت منها الأحاديث: طغيان النساء، وفِسق الشباب، وترْك الجهاد في سبيل الله، وترْك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بل اضطراب المعايير، حتَّى يرى النَّاس المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا! وهو ما جاء في الحديث الَّذي رواه أبو أمامة، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**كيف أنتم إذا طغى نساؤكم، وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟**»

قالوا: وإن ذلك كائن يا رسول الله؟!

قال: «**نعم والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون**».

قالوا: وما أشدُّ منه؟

قال: «**كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟**».

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟!

قال: «**نعم والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون**».

قالوا: وما أشدُّ منه؟!

قال: «**كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟**».

قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم والَّذي نفسي بيده، وأشدُّ منه سيكون، يقول الله تعالى: بي حلفت لأتيحنّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران**»[1].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا (٣٢)، وعبد الغني المقدسي (٥٦)، كلاهما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ٧٨٤: إسناده ضعيف. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

المخرج من الفتن:

نحن في هذه الفتنة الَّتي تَذر الحليم حيران، ولكن لهذه الفتنة مخرجًا واحدًا، هو الرجوع إلى الإسلام، إلى القرآن، دستور هذه الأُمَّة ومِنهاجها الرباني.

روى الترمذي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم**». قلت: يا رسولَ الله، وما المخرج منها؟ قال: «**كتاب الله تعالى، فيه نبأُ مَن قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الَّذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعَّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملُّه الأتقياء، ولا يَخْلق على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الَّذي لم تنته الجنُّ إذا سمعته أنْ قالوا: إنَّا سمعنا قرآنًا عجبًا، من علِم عِلمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حَكم به عدل، ومن عمِل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم**»(١).

القرآن هو المخرج لهذه الأُمَّة، لا القوانين الوضعية، ولا الأنظمة اليمينية أو اليسارية، إنَّه القرآن وحده، علينا أن نعود إليه ونتبع هداه.

وقد ذكَّرنا رمضان بالقرآن؛ فرمضان شهر القرآن؛ يقول تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]؛ فبركة

---

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

QaradawiBooks.com

القرآن في اتباعه والعمل بما فيه، والحُكم بما أنزل الله فيه. ليست البركة فيه أن نعلِّقه لافتات للزينــة، أن نقرأه على الموتى، أو نجعل منه حجابًا للحبالى والأطفال.

القرآن حِرز للإنسانيَّة كلِّها من الضلال، القرآن قد نزل ليحكم الأحياء لا ليُقرأ على الأموات، القرآن نزل ليطبَّق في المحاكم لا ليتلى في المآتم، القرآن دستور هذه الأُمَّة، فينبغي أن نعود إليه، لنتدبر آياته، ونُحسِن فقهه، ونُحسِن تطبيقه، ونجعله لنا خُلقًا، كما وُصف النَّبي ﷺ بأنَّه خُلقه القرآن[(١)]: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فشل الحلول المستوردة في بلادنا:

أيُّها الإخوة المسلمون، ما أجدرنا في هذا الجمع الحاشد أن نتداعى جميعًا إلى العودة إلى الإسلام، إلى القرآن، إلى دين هذه الأُمَّة. لقد جرَّبنا الأنظمة يمينية ويسارية، المستوردة من الشـرق والمستوردة من الغرب، جرَّبنا هذه الحلول، جرَّبنا التسوّل من موائـد الآخرين، من هنا وهناك، فماذا صنعت هذه الحلول المسـتوردة، والأنظمة المتسوِّلة؟ إنَّها لم تجْنِ علينا إلَّا الهزيمة، والعار، والنكسات، والوكسات، والتفكك الاجتماعي، والاضطراب الاقتصادي، والاسـتبداد السياسـي، والفسـاد الأخلاقي، والتحلل الأُسري، وشكَّ الإنسان في أخيه، وزعزعة الثقة بين النَّاس.

ما حقَّقنا نصرًا عسـكريًّا، ولا رخاء اقتصاديًّا، ولا استقرارًا سياسيًّا، ولا ترابطًا اجتماعيًّا، ولا رُقيًّا أخلاقيًّا، ولا سموًّا روحيًّا.

ماذا حقَّقنا من وراء هذه المذاهب، وهذه الحلول المستوردة المتسوِّلة[(٢)]؟

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

(٢) من أراد التوسع في هذا؛ فليرجع إلى كتابنا: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حـــرامٌ على الغني أنْ يتســوّل. تســوُّل الأغنياء أمــرٌ تعاقِب عليه القوانين، وتُنكره الأخلاق، ونحن أغنياء بمبادئنا الإسلاميَّة، بشريعتنا الربَّانيَّة، بمناهجنا المحمَّدية، بتراثنا العظيم، فلماذا نستورد؟! ولماذا نتسوّل؟!

يا أيُّها الإخوة،

لنعُد إلى قرآننا: النُّور الإلٰهي، وإلى سُنَّة نبينا: النُّور النبوي، الأنوار بجوارنا، لا ينقصنا إلَّا أن نضغط على الزر لتنير الحياة من حولنا، أنوارٌ في كتاب الله، وفي سُنَّة رســول الله، والخلاص في أن نعود مستمسكين بعُرى التوحيد، بمعنى لا إله إلَّا الله مُحَمَّد رســول الله، بمعنى أن نعود مسلمين كما كُنَّا، مسلمين حقيقة لا بالأسماء، ولا بالوراثة، ولا بالوجود في أرض الإسلام.

المسلم الذي نريده لتحقيق النصر:

لا نريــد مســلمين جغرافيين، لا نريد مســلمين وراثيــين، لا نريد مسلمين شكليِّين، إنَّما نريد مسلمين مستعدين أنْ يبذلوا في سبيل دينهم، مستعدين أنْ يضحوا من أجل هذا الدين، فكلُّ أصحاب ملَّة، وكلُّ أرباب نِحلة يبذلون في سبيل مِلَلهم، وفي ســبيل نِحَلهم، فما بالنا لا نضحي نحن في سبيل الإسلام؟!

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ هذا الدين منصور لا محالة، ولكن إنَّما ينتصر بفضل الله، وبالمؤمنين، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

إنَّ عدد المســلمين في العالــم يقاربون وربَّما يتجــاوزون البليون:

QaradawiBooks.com

الألف مليون[١]، ولكنَّ العِبرة ليست بالأعداد الوفيرة، ولا بالجموع الغفيرة، العِبرة بالكيف لا بالكمِّ، يوم كان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، حقَّقوا نصرًا عظيمًا، سمّى الله يومهم: «يوم الفرقان»، وفرّق فيه بين الحقِّ والباطل، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

يوم كانوا قلَّة مع الله، يوم كانوا قلَّة مع الإسلام الحقِّ، نصرهم الله. ونحن الآن مئات الملايين، ولكن ما قيمة هذه المئات الَّذين تجمعهم زمّارة وتفرِّقهم عصا؟! ما قيمة آلاف وملايين إذا كانوا كما قال القائل:

يزحمون الأرض من كثرتهم ... ثم لا يغنون في أمرٍ جَلَل[٢]؟!

ما قيمة الملايين ومئات الملايين إذا كانوا على غير ما وُصف الأنصار رضي الله عنهم: يكثرون عند الفزع ويقلّون عند الطمع[٣]؟!

ما قيمة هذه الملايين إذا كانوا كما وصفهم النَّبي عليه الصلاة والسلام حينما وصف مسلمي آخر الزمان بأنَّهم كثرة كغثاء السيل[٤]؟! الغثاء: هو القش والحطب والورق والرَّغاوَى، والأشياء الخفيفة الَّتي يحملها السيل، فهذه

---

(١) هذا التقدير منذ أكثر من (٢٥) عامًا.

(٢) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر تعريبه لفتح العرب لمصر لألفريد ج. بتلر صـ١٥٩ هامش (٣)، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

(٣) رواه الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن محمود بن لبيد. كما ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) سبق تخريجه صـ ٣٢٥، وفيه: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

تذهب جُفاء ولا تنفع النَّــاس: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

ما قيمة هذه المئات من الملايين إذا كانت كما قال الشاعر قديمًا:

ما أكثـرَ النَّاس لا بل مــا أقلَّهم … الله يعلــمُ أنِّي لــم أقُــل فَنَـدا!

إنِّي لأفتــحُ عيني حيــن أفتحها … على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا[1]!

إنَّ هذا الجمع الَّذي لا أرى آخره على مدِّ بصري في هذه الساحة، هذا الجمع الَّذي احتشــد لله، لا ليهتف لفلان أو لعــلان، إنَّما ليهتف بهذه الصيحة: الله أكبر، الله أكبر، هذا الجمع جدير أن يصنع شــيئًا، إذا خرجنا من هنا وقد عقدنا مع الله صلحًــا، أن نكون لله، أن نكون لدين الله، أن يستمر نشــاطنا بعد رمضان، كما كان في رمضان أو قريبًا ممَّا كان في رمضان.

إذا خرجنا من هنا بتوبة نصوح، بنيَّــة صالحة، بعزيمة صادقة، بعقدٍ نعقده مع الله؛ لننفذ الصفقة الَّتي عقدها الله معنا، الصفقة الَّتي بِعنا نحن فيها لله واشــترى الله منَّا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

يقول الحسن البصري: ما أعظم فضل الله، اشترى منَّا أنفسًا هو الَّذي خلَقها، وأموالًا هو الَّذي رزقها[2]، ثــمَّ أعطى ثمنًا غاليًا هو جنَّة عرضها السماوات والأرض.

---

(١) من شعر دعبل بن علي الخزاعي، انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢).

(٢) ذكره الزمخشــري في تفســيره (٣١٣/٢) نشــر دار الكتاب العربي ببيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، والرازي في تفسيره (١٥٠/١٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

نفِّذوا، سلِّموا لله الثمن يسلِّمكم المبيع، يسلِّمكم جنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمِعت، ولا خطرَ على قلبِ بشر.

يا أيُّها الإخوة المسلمون، ما أجدرنا أن نصطلح مع الله، وأن نخرج من هذا المكان بعزم على نُصرة الإسلام، ولنا في ذلك أعظم الأجر؛ فقد روي أنَّ النَّبي ﷺ قال لجماعة من أصحابه يومًا: «**أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟**». قالوا: الملائكة. قال: «**وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟!**». لا شهوات ولا غرائز ولا مغريات بالشرِّ ولا معوِّقات عن الخير ولا ملاهي ولا مراقص ولا سينمات ولا أجهزة إعلام. قالوا: فالنبيون. قال: «**وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟!**». قالوا: فنحن. قال: «**وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟!**». فقال رسول الله ﷺ: «**ألا إنَّ أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقومٍ يكونون من بعدكم يجدون صُحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها**»[1].

وفي حديث آخر: أنَّه ﷺ سُئل من بعض أصحابه: هل من قوم أعظم منَّا أجرًا؛ آمنَّا بك واتبعناك؟ قال: «**ما يمنعكم من ذلك، ورسول الله بين أظهركم، يأتيكم بالوحي من السماء؟ بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجرًا**» ثلاث مرات[2].

---

(١) رواه الحسن بن عرفة في جزئه (١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥٣٨/٦)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث صـ٣٢. قال ابن كثير في تفسيره (١٦٧/١): قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث. قلت: ولكن قد روى أبو يعلى في مسنده (١٦٠)، وابن مردويه في تفسيره، والحاكم في مستدركه (٨٥/٤)، من حديث محمد بن أبي حميد، وفيه ضعف، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبي ﷺ، بمثله أو نحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد روي نحوه عن أنس بن مالك مرفوعًا.
رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس.

(٢) رواه أحمد (١٦٩٧٦)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والبخاري في خلق أفعال العباد صـ٨٨. وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢١٣٦)، والطبراني (٢٣/٤).

QaradawiBooks.com

كتاب بين لوحين، أي: مصحف بين دفتين، اتخذوه إمامًا لهم ومنهاجًا لحياتهم. إنهم الَّذين يؤمنون بالغيب، يؤمنون برسول الله ولم يَروه، يؤمنون بالمصحف ولم يروا جبريل يتنزل غدوة ورواحًا بآيات الله، لم يروا الملائكة تنزل في بدر ولا في الخندق ولا في حنين، «**يؤمنون به ويعملون بما فيه**». إيمان وعمل، ولا خير في إيمان بلا عمل.

إنَّ مثل هؤلاء يمكن أنْ يكونوا أعظم أجرًا من كثير من الصحابة، بمن ليسوا من السابقين الأولين، ولا من أهل بدر وأهل أحد، وأهل بيعة الرضوان وأمثالهم.

كونوا أنصار الله:

فيا أيُّها الإخوة، كونوا أنصار الله، وأتباع رسول الله، أتباع مُحمَّد ﷺ. وكونوا أنتم هذه الفئة المرجوة لنصر دين الله، فإن لم تفعلوا ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

أيُّها الإخوة المسلمون، قبل أنْ أغادر مقامي هذا، أريد أنْ أنبِّه على أمرين:

أولًا: أريد أنْ تعلموا أنَّ هذا الجمع، وهذا المهرجان الضخم، إنَّما قام بجهود الشباب، وعلى أكتافهم، وبنفقاتهم، ولا بدَّ لهم من معاونتهم حتَّى يستمروا في هذا النشاط، داخل الجامعة وخارجها.

ولهذا أدعوكم أنْ تبذلوا لهم، وتعاونوهم بما استطعتم، وليس بالكثير أن نبذل بعض المال لأجل ديننا، لا بدَّ أن نبذل لنصرة ديننا،

QaradawiBooks.com

ونبذل بسخاء، ولا نستمع لصيحات أولئك المثبطين ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

أنفقوا وابذلوا ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقد كان النَّبي ﷺ يدعو الرجال والنساء إلى الصدقة في يوم العيد[(١)]. فهذا يوم مبارك ويوم عظيم.

هذا أمر.

والأمر الثاني: من السُّنَّة من جاء من طريق، فليرجع من طريق أخرى[(٢)].

ومما عُرف عن السلف أنَّهم كانوا في يوم العيد، إذا هنأ بعضهم بعضًا قالوا: تقبل الله منَّا ومنكم.

ومن السُّنَّة التواصل والتزاور في هذا اليوم، ولم يرِد زيارة الأموات والمقابر في هذا اليوم، فاحرصوا على إحياء سُنَّة رسول الله ﷺ.

وإنِّي داع فأمِّنوا.

اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

اللهمَّ افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمَّ علينا نعمتك، وانشر علينا رحمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك.

---

(١) كما في حديث ابن عباس، قال: «ثم خطب، فرأى أنَّه لم يُسمع النساء، فأتاهن، فذكرهن، ووعظهن، وأمرهن بالصدقة». متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٤٩)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٨٤).

(٢) كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق. رواه البخاري في الجمعة (٩٨٦).

QaradawiBooks.com

اللهمَّ تقبلنا في جندك الصادقين، وحزبك الغالبين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهمَّ أَعْلِ بنا كلمة الإسـلام، وارفع بنا راية القـرآن، واجعل كلمة المسلمين هي العليا، واجعل كلمة أعدائهم هي السُّفلى.

اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ من ذلك.

اللهـمَّ أهلَّ هـلال هذا العيـد علينا بالأمـن والإيمان، والسـلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحب وترضى.

اللهمَّ تقبـل صيامنا، وقيامنـا، وصالح أعمالنـا، وأخرجنا من هذا الموسم برحمة ومغفرة وعتق من النار.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

«ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب».

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبـاد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا مُحمَّد، وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

QaradawiBooks.com

٢٠

خطبة عيد الأضحى(١)

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير(٢)، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

التكبير مظهر من مظاهر الإسلام:

نحن - المسلمين - بالتكبير نزيِّن الأعياد، بالتكبير نصنع الأمجاد، بالتكبير نبدأ الصلاة، بالتكبير نبدأ الأذان، بالتكبير نبدأ الإقامة، بالتكبير نبدأ المعارك، بالتكبير نبدأ الحياة! إذا وُلِد المولود منَّا أذنَّا في أذنه: الله أكبر، وإذا أقمنا للصلاة قلنا: الله أكبر، وإذا ذبحنا أو نحرنا قلنا: بسم الله والله أكبر. نحن المهلِّلون المكبِّرون، نحن المسلمين تعلَّمنا أن يكون شعارنا: الله أكبر.

«**الله أكبر**»، بها نرعب الأعداء في الحروب.

---

(١) ألقيت في ميدان عابدين بالقاهرة سنة ١٩٧٧م.

(٢) ذهب الجمهور إلى أنَّ التكبير في عيد الأضحى سُنَّة مؤكَّدة، وابتداؤه من فجر يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة)، وانتهاؤه مع عصر آخر أيام التشريق.

QaradawiBooks.com

«**الله أكبر**»، بها نقتحم الأحداث والخطوب.

في يوم بدر انتصرنا لأنَّ شعارنا كان: الله أكبر. في يوم عين جالوت كان شعارنا: الله أكبر. في يوم العاشر من رمضان تحقق لنا النصر؛ لأننا جعلنا شعارنا: الله أكبر.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه إلَّا الله، والله أكبر ولله الحمد.

معنى الله أكبر:

أيُّها الإخوة المسلمون، «الله أكبر»، ليست كلمة تُقال، وليست مجرد شعار يُرفع، إنَّما «الله أكبر»، معناها يا أخي المسلم: أنْ تكون الدُّنْيا كلُّها في عينك صغيرة في جنب الله تعالى. إذا عُرض عليك المال، أو عُرض عليك الجاه، أو عُرضت عليك الدُّنْيا مجتمعة، لِتتنازل عن دينك، استمسكت بدينك وقلت: الله أكبر. الله أكبر من المال والثروة، الله أكبر من الجاه والمنصب، الله أكبر من المتع والشهوات.

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.

أعيادنا مرتبطة بالعبادة:

أيُّها الإخوة المسلمون، نحن في عيد الأضحى، ولنا نحن المسلمين عيدان. حينما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كُنَّا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر**»[1].

---

(١) رواه أحمد (١٢٨٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١١٣٤)، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٥٦)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقد شاء الله لنا ـ نحن المسلمين ـ أنْ تكون أعيادنا عقب فرائض وعبادات كُبرى؛ فعيد الفطر بعد عبادة الصيام، بعد أنْ تجوع البطون، وتظمأ الشفاه لله، ويدَع الإنسان طعامه من أجل الله، وشرابَه من أجل الله، وشهوته من أجل الله، وزوجته من أجل الله، يأتيه العيد «جائزة» من الله تعالى، بعد هذه المشقَّة في سبيل الله، و«**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرِح بفطره، وإذا لقيَ ربَّه فرح بصومه**»(١).

ويأتي عيد الأضحى عقب الحج، فهو يوم الحجِّ الأكبر، بعد أنْ يقف الحجاج في عرفات، متجردين لله تعالى من مظاهر الدُّنْيا، لابسين ثيابًا بيضاء، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، قد تساووا صغيرهم وكبيرهم، أميرهم وخفيرهم، غنيهم وفقيرهم، تجردوا وتساووا أمام الله، لبُّوا نداء الله، نداؤهم واحد، دينهم واحد، ربُّهم واحد، نبيهم واحد، كتابهم واحد، حُداؤهم واحد: لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

هناك يتجلى الله تعالى على عباده، يباهي بأهلِ الأرض أهلَ السماء، فيقول للملائكة: «**انظروا إلى عبادي، أتوني شُعثًا، غُبرًا، ضاحين** ـ أي: متعرضين لحرارة الشمس ـ **من كلّ فجٍّ عميق، أُشهدكم أنِّي قد غفرت لهم**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٣٨.

(٢) رواه البزار كما في كشف الأستار (١١٢٨)، وأبو يعلى (٢٠٩٠)، وابن خزيمة (٢٨٤٠)، وابن حبان (٣٨٥٣)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. كلاهما في الحج. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٥٥٣): رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه ابن معين وابن حبان، وفيه بعض كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن جابر.

QaradawiBooks.com

الحجُّ يأتي بعده العيد الأكبر: عيد الأضحى، والصيام يأتي بعده عيد الفطر، أعيادنا بعد العبادات، وبعد فرائض وشعائر تُقام لله.

خصائص الأعياد الإسلامية:

لأعيادنا نحن المسلمين خصائص:

الربانية:

أعيادنا أعياد ربانية: ليس يوم العيد عندنا يوم «كاس وطاس»، ولا يوم انفلات للشهوات، أو جري وراء الملذَّات، إنَّ أعيادنا تبدأ بالتكبير، تبدأ بـ«الله أكبر»، تبدأ بالصلاة. أعيادنا أعيادًا ربَّانية، أعيادًا موصولة الحبال بالله تعالى.

الإنسانية:

وهي كذلك أعياد إنسانيَّة: لأنَّ المعاني الإنسانيَّة تتجلى فيها أعظم التجلي. لا يريد الإسلام للمسلم أنْ يفرح بالعيد وحدَه؛ فليس منَّا من أكلَ وحده، وليس منَّا من عاش لنفسه.

في عيد الفطر شرع الإسلام زكاة الفطر، «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين»[1]. فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أنْ تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة[2]. وقال:

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسَّنه إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

«**أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم**»(١). بدل أنْ يطوف المسـكين ويسأل الغني، فإنَّ الغني يبحث عنه، ويسأل ويطوف، ويذهب إلى داره ليعطيه زكاة الفطر؛ لتعم الفرحة، ويعمَّ السرورُ الجميع.

وكذلك في عيد الأضحى، شرع الإسلام «الأضحية»؛ ليوسِّع الإنسان على أهله، ويوسِّـع الإنسـان على أحبائه وجيرانه، ويوسِّـع على فقراء المسـلمين. هكذا ينبغي أنْ توزع الأضحية أثلاثًا: ثُلث لنفسـه وأهله، وثُلث يُهدي منه جيرانـه وأصدقاءه، وثُلث للفقـراء. وإذا كان أكثر من الثلث للفقراء فقد أحسن.

وليس لفقراء المسـلمين فقط، بل إنَّ التسـامح الإسـلامي شـمِل المسـلمين وغير المسـلمين. روى أبو داود والترمـذي أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص ذُبحت له شـاة في أهله، فلمَّا جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه**»(٢). أي: يورِّث الجار من الجار، كما يرِث القريب من القريب.

أيُّها الإخوة:

هذا هو الإسـلام. ليس من الإسـلام أنْ تأكل وحدك، أنْ تجمع على مائدتك من الأطعمة أطيبها، ومن الأشربة أعذبها، وأنْ تلبس من

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٣٩.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شرط مسـلم. وأبو داود في الأدب (٥١٥٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣)، وقال: حسـن غريب. وقد روي هذا المتن من طرق كثيرة، وعن عدد مـن الصحابة، وفي الشـيخين وغيرهم. وانظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ٦١ ـ ٧٤، فصل: تسـامح فريد، نشر مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثياب أحسنها، وبجوارك أخ لك أو قريب، أو جار، لا يجد ما يمسك الرمق، أو يطفئ الحرق، يئن من الجوع أنين الملسوع. ليس هذا من الإسلام، بريء من ذلك مُحَمَّد ﷺ فقال: «**ما آمن بي** - وفي رواية: ليس المؤمن - **من بات شبعانًا، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**»[٣]. أي: ليس بمؤمن من عاش لنفسه ولم يعش لإخوانه، ولم يعش لمجتمعه، هذا هو الإسلام قبل أنْ تعرف الدُّنْيا المذاهب المستوردة من هنا وهناك.

أيُّها الإخوة:

مصر إسلامية ولن تتخلى عن دينها:

هذا التجمع المؤمن علامَ يدل؟

إنِّي أنظر مدَّ البصر، فلا أكاد أرى له آخرًا. علامَ يدل هذا التجمع الَّذي دعا إليه فتية آمنوا بربِّهم وزادهم الله هدى، إنَّه يدلُّ على وجه مصر الحقيقي. هذا هو وجه مصر، من أراد أنْ يعرف هذا البلد، فليعرفه هنا. ليس الَّذين يجلسون في البارات، أو في الكباريهات، أو يجلسون حول الموائد الخضراء، أو في الليالي الحمراء، ليس هؤلاء ممثلي مصر.

إنَّ وجه مصر هو هنا، وليس في شارع الهرم وملاهيه! مصر مسلمة، مصر مؤمنة، وهذا ما ينبغي أنْ يُعرف لطوائف من النَّاس جهِلوا هذه الحقيقة.

(٣) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

أول هذه الطوائف: طائفة الماركسيين، طائفة الَّذين يريدونها إلحادية، يريدونها مادية جدليَّة. الَّذين يقولون: لا إلٰه والحياة مادة، الَّذين يزعمون أنَّ «الدين أفيون الشعوب»(١).

هذا هو الدين محرِّك الجماهير، هذا هو الدين مصدر القوَّة، لم تستند هذه الأُمَّة إلى الدين يومًا وأخفقت أو هُزمت.

يوم صاح الصائح في عين جالوت، صاح في جنود مصر: واإسلاماه، واإسلاماه! قالها قطز قائد معركة عين جالوت، ورمى خوذته، هنالك حرَّك الكامن، وهاج الساكن، وأقبل المتردد، وتشجَّع الجبان، وكان النصر على التتار.

يوم استندت هذه الأُمَّة إلى معاني الإيمان في العاشر من رمضان وصاحت: الله أكبر، انتصرت.

في سنة (١٩٦٧م) يوم دخلوا المعركة بعيدين عن الله، ناسين، يقولون للجنود: معكم الممثل الفلاني والممثلة الفلانية، وتُوزع عليهم صور المطربات والممثلين بدل أنْ يوزع المصحف، أنْ يوزع القرآن، كانت النتيجة ما عرفناه من العار، والهزيمة، والنكسة، والوكسة.

الدين ليس أفيونًا، الدين ليس مخدِّرًا، إنْ صحَّ هذا في دينٍ من الأديان، فلن يصحَّ في الإسلام.

الإسلام دين القوَّة، الإسلام هو مصدر العزة والقوة... مصدر التحريك لهذه الأُمَّة.

---

(١) للأستاذ العقاد رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب بعنوان: أفيون الشعوب، فنَّد فيه هذه المقولة الزائفة، وأكَّد أنَّ هذا الوصف هو آخر ما يمكن أنْ ينطبق على الدين، وأول وصف ينطبق على مذهب «ماركس» بجميع معانيه.

QaradawiBooks.com

لا يحرِّك هذه الأُمَّة شيء كالإسلام. لا يحرِّكها وطنية، أو قومية، أو عروبة، أو فرعونية، إنَّما يحرِّكها: الله أكبر، إنَّما يحرِّكها: لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رسول الله، إنَّما يحرِّكها أنْ ينادي المنادي: يا خيل الله اركبي، ويا ريح الجنَّة هبي! هنالك نرى هذه الأُمَّة حقيقة واقعية، لا دعوى تُدَّعى.

إنَّ الشيوعيِّين الَّذين يريدون هذا البلد شيوعيًّا واهمون مخطئون. لن تكفُر مصر، لن ترتدَّ عن إسلامها، لن ترجعَ عن دينها. هؤلاء غرباء عن هذا البلد، غرباء عن مصر. مصر مسلمة مؤمنة.

أمَّا الَّذين يقولون: إنَّ الله لم يخلق الإنسان، ولكنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله، فهؤلاء الماديون، الملحدون، الشيوعيون، لا مكان لهم في بلدنا، البلد المسلم، الشعب المؤمن.

ثمَّ هناك طائفة أخرى على النقيض من هؤلاء، ولكنَّهم جهِلوا مصر أيضًا. إنَّها طائفة غفلت عن حقيقة هذه الأُمَّة. غرَّهم ظاهر المنكرات الَّتي يرونها في الشوارع، وفي الأجهزة الَّتي تبث الفساد، غرَّهم هذا فظنوا أنَّ هذا الشعب قد كفر. كفَّروا النَّاس بالجملة، كفَّروا المجتمع بغير تمييز ولا تفصيل، هؤلاء أخطؤوا.

هذه الأُمَّة لم تكفر بربها، ولا بقرآنها، ولا بمحمدها ﷺ. هذا الشعب مسلم، قد يتراكم عليه غبار المعصية، قد يعتريه الصدأ من كثرة التوجيهات المضللة الفاسدة المفسدة من هنا وهناك، ولكن إذا أزلت هذا الغبار، إذا حككت هذا الصدأ، تبين لك المعدن الحقيقي، تبيَّن لك الجوهر الأصيل. معدن هذه الأُمَّة هو الإسلام، الخامة الأصلية لهذه الأُمَّة، هي الإسلام، أرضية هذه الأُمَّة هي الإسلام، فليعلم ذلك الغلاة المتطرفون[1].

(١) انظر: ظاهرة الغلو في التكفير، ذكرت فيها ثماني قواعد جامعة، وبيَّنت من خلالها مدى الخطأ الجسيم الذي سقط فيه هؤلاء الذين أسرفوا في التكفير.

QaradawiBooks.com

وفئة ثالثة أُذكِّرها بهذا الجمع. إنَّها فئة العلمانيين، الَّذين يريدون أنْ يفصلوا بين العقيدة والشـريعة، أو بين الدين والدولـة، الَّذين يريدونها دولة لا دين لهـا، أو دينًا لا دولة له. لا، أخطأتم أيُّهـا العلمانيون، هذه الأُمَّة تريد أنْ تُحكم وفق عقيدتها.

إنَّ هذا الصراع وهـذا التناقض الَّذي يحس به المسـلم في حياته، يجب أنْ يزول. المسلم يحس في أعماقه أنَّه مؤمن بالله، مؤمن بالإسلام، مؤمن بالقـرآن، رضي بالله ربًّا وبالإسـلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسـولًا، وبالقرآن منهاجًا وإمامًا.

هذا المسلم يحس أنَّه يُحكم ويُقاد في كثير من الأوضاع والمفاهيم والقوانين والتقاليد بغير الإسلام، وبغير شريعة الإسلام. ولهذا يجب أنْ تتعالى الأصوات في كلِّ مكان، تنادي بشـريعة الإسلام، تنادي بحكم القرآن، يجب أنْ يكون ذلك في كلِّ مكان.

ماذا نريد بالشريعة الإسلامية؟

وأحبُّ أنْ أقول هنا شيئًا: ماذا نريد بشريعة الإسلام؟

إنَّ بعض النَّاس يظنُّ أنَّ مجرد تعديل القوانين يقيم شريعة الإسلام، وأن مجرد تطبيق الحدود يقيم مجتمع الإسلام، وأُمَّة الإسلام.

لا. الإسلام ـ أيُّها المسلمون ـ فلسفة حياة، ونظام حياة. نظام يصحب الفرد من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، بل ربُّما صحبه قبل الميلاد وبعد الوفاة.

فإنَّ في الإسلام أحكامًا تتعلق بالجنين في بطن أمِّه، وأحكامًا تتعلق بالميت بعد موته: أحكام الغسـل والتكفين والصلاة والدفن وتقسـيم التركة وغير ذلك.

QaradawiBooks.com

الإسلام يصحب الإنسان في رحلة الحياة كلِّها، كما يصحبه في مجالات الحياة كلِّها: في المسجد، والبيت، والمزرعة، والمصنع، والمدرسة، والمحكمة، والطريق، إنَّه يهيئ للإنسان حياة إسلاميَّة متكاملة، توجهها العقيدة، وتضبطها القِيم، وتحكمها الشريعة في كلِّ شيء. من قضاء الحاجة إلى نظام الخلافة، من أدب المائدة إلى بناء الدولة، يعلِّمك كيف تأكل وكيف تشرب: «**سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك**»(١)، «**ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحافِها**»(٢). ولا بملعقة من فضة أو ذهب، كما يعلِّمك كيف تحكم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

فإذا أردنا أن نحكِّم الإسلام، فلا بدَّ أنْ يتغيَّر المجتمع كلُّه إلى الإسلام. تتغير الأفكار والمفاهيم، تتغير القِيم والأخلاق، تتغير العادات والتقاليد، تتغير العواطف والمشاعر، تتغير الأنظمة والشرائع والقوانين، وتتغير الثقافة والإعلام، تتغير التربية والتعليم. نريد تشريعًا إسلاميًا، تربية إسلاميَّة، إعلامًا إسلاميًا، ثقافة إسلاميَّة، توجيهًا إسلاميًا في كلِّ مكان، هذا ما نريده إذا أردنا أن نُحكِّم الإسلام، ونقيم المجتمع المسلم حقًّا(٣).

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٧)، عن حذيفة.

(٣) راجع في هذا كتابنا: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، وفيه ذكرت أحد عشر مقومًا للمجتمع المسلم المنشود، وقد نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام لا ينتصر وحده:

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ الإسلام دين عظيم، إنَّ الله منّ علينا بهذا الدين، وهو أفضل دين، منّ الله علينا بأكرم نبي أُرسل، وأعظم كتاب أُنزل، منّ علينا بالقرآن، وبمحمد ﷺ، وأنعم علينا بالإسلام ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

ولكن هل يعزُّ ويسود وينتصر الإسلام وحده؟ هل ينتصر الإسلام ويظهر على الدين كلِّه بغير مسلمين؟ هل يعزُّ الإسلام بغير رجال؟

لا، إنَّ الإسلام يحتاج إلى رجال ينصرونه، ويعزُّونه، وينشرونه، ويكونون مُثلًا له في الأرض، مُثلًا عملية يراهم النَّاس فيرون فيهم الإسلام. إذا سار أحدهم قالوا: انظروا، هذا هو الإسلام المجسَّم، هذا قرآنٌ يسعى على قدمين، كما كان النَّبي ﷺ، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم.

الإسلام عظيم، ولكنَّه يحتاج إلى مسلمين عظماء يكافئون عظمته، إنَّ الله تعالى يقول لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] وبالمؤمنين، لا بدَّ من المؤمنين.

إنَّ رجلًا أجنبيًّا درس الإسلام، فأُعجب به، وأُعجب بتعاليمه، فقال كلمة يجب أن نحفظها ونرويها؛ لأنَّها تقطع نياط القلوب. ماذا قال؟ قال: ما أعظمه من دين لو كان له رجال! دين عظيم، ولكنَّه في حاجة إلى رجال عظماء، دين قوي، ولكنَّه في حاجة إلى رجال أقوياء.

QaradawiBooks.com

لا نريد الكثرة الغثائية:

فواعجبًا: إنَّ عدد المسلمين في العالم يقارب المليار، وربَّما يجاوز المليار، نحو ألف مليون مسلم في العالم، كما تدلُّ على ذلك الإحصائيات، ولكن هؤلاء المنسوبين إليه، المحسوبين عليه، لا يمثِّلون الإسلام حقيقة التمثيل. إنهم كما جاء في الحديث: «**غُثاء كغُثاء السيل**»[1].

نريد قلَّة مؤمنة لا كثرة عاطلة. نريد الكيف قبل الكمِّ، لا نريد الكثرة الغثائية الَّتي قال فيها الشاعر قديمًا:

إنِّي لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدًا[2]!

لا نريد أُناسًا من هذا الصنف، نريد مسلمين، مسلمين حقيقيين، الواحد منهم بألف، وقد قال الشاعر:

والنَّاس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إنْ أمرٌ عنا[3]

وقال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أيُّها المسلمون، إنَّ هذا التجمع يعرِّفنا حقيقة أنفسنا، لا نريد أن ننصرف لنلهوَ ونلعب، ولكن نريد أن ننصرف لنتعاهدَ على نصرة الإسلام، لنربي أنفسنا على الإسلام، لنربي أبناءنا وبناتنا على الإسلام، لنربي أهلينا وزوجاتنا على الإسلام.

---

(١) جزء من حديث ثوبان، وقد سبق تخريجه صـ ٣٢٥.

(٢) العقد الفريد (١٥٢/٢).

(٣) من شعر أبي بكر بن دريد الأزدي، كما في شرح ديوان المتنبي للعكبري (٣٨٠/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

الإسلام وحده مصدر عزتنا:

الإسلام أساس عزِّنا في الدُّنْيا، وأساس سعادتنا في الآخرة. إذا أردنا العزة في الدُّنْيا، فلا عزَّة والله إلَّا بالإسلام.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في طريقه إلى الشام، وكان معه أبو عبيدة رضي الله عنه فقابلتهم مخاضة ـ فنزل عمر ليخوض هذه المخاضة، وخلع نعليه، وأمسك بهما كأي رجل عادي من النّاس، فانزعج أبو عبيدة وقال: يا أمير المؤمنين، لو فعلت غير هذا، النَّاس يرونك، وأنت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين! فماذا قال عمر؟!

قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنَّا كُنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغيره أذلنا الله[1].

أيُّها الإخوة، لا عزَّة بغير الإسلام ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الإيمان وحده صانع البطولات:

إذا أردنا النصر على عدونا فلا نصر إلَّا بالإسلام. النصر لا يأتي بغير الإيمان، ولا إيمان بغير الرجوع إلى الإسلام.

الإيمان هو الَّذي يصنع البطولات، هو الَّذي يصنع الروائع، الأسلحة وحدها لا تغني، السلاح لا يُقاتل وحده، إنَّما يُقاتل بالرجل الَّذي يستخدمه، وقديمًا قال المتنبي:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ... إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ[2]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) ديوان المتنبي صـ٣٩٠.

QaradawiBooks.com

خيل بغير خيال ماذا تصنع؟

وقال الطغرائي:

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلَّا في يدي بطل![(١)]

في سنة (١٩٦٧م) كانت عندنا دبابات تزن الواحدة منها (ستين) طنًّا من أحدث طراز، ولكن تركوها وهرولوا، طلبوا الفرار، ولم يكلِّف أحدهم خاطره أنْ يخربها قبل أنْ يتركها، وتسلَّمها الأعداء لقمةً سائغة، وغنيمة باردة، لماذا؟

لأنَّ كلَّ واحد كان يقول: الفرار الفرار، النجاة النجاة، نفسي نفسي!

بالإيمان نستطيع أن نصنع الرجال الَّذين يكسبون حقوقهم بأيديهم، بمثل هذا الإيمان هبَّت نفحة من نفحات رمضان، فحققنا ما تحقق في رمضان.

لا وحدة إلَّا بالإسلام:

إذا أردنا العزة، فلا عزَّة إلَّا بالإسلام. وإذا أردنا النصر، فلا نصر إلَّا بالإسلام. وإذا أردنا الوحدة، فلا وحدة إلَّا بالإسلام.

يريدون الوحدة العربيَّة. كيف يتَّحد العرب إذا لم يكن منهجهم الإسلام؟!

إذا تركوا الإسلام تفرَّقوا إلى يمين ويسار، واليمين درجات، واليسار درجات؛ هناك يمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار، ووسط اليسار، ويمين اليسار.

---

(١) من شعر الطغرائي، انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٤٤١/٢)، نشر مؤسسة المعارف، بيروت.

QaradawiBooks.com

هناك من يتجه إلى موسكو، وهناك من يتجه إلى بكِّين، وهناك من يتجه إلى لندن، وهناك من يتجه إلى واشنطن، قِبْلات متعددة، ووِجْهات متفرِّعة، سيتفرق الجميع إذا لم يلتقوا على الإسلام.

الإسلام دين الأُمَّة، وهو الَّذي يوحِّد الجميع. يوحِّد قِبْلتهم، ويوحِّد مشاعرهم، ويوحِّد أهدافهم، ويوحِّد منهاجهم. إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ـ أي: على الرمل، يرسم لهم بوسائل الإيضاح المتاحة ـ ثمَّ قال: «**هذا سبيل الله**». ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سُبل، على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه**». وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

الدعوة إلى الإسلام:

أيُّها الإخوة المسلمون، في هذا اليوم، في هذا المهرجان الإسلامي، في هذا اليوم الربَّاني، في هذه الساحة الَّتي التقت فيها الألوف وعشرات الألوف وربَّما مئات الألوف، في هذه الساحة يجب أن نعرف أنفسنا، يجب أن نكتشف أنفسنا، نحن المسلمون قبل كلِّ شيء، مهما عرضت العوارض، أو طرأت الطوارئ، يجب أن نعرف أننا مسلمون، ولا حياة لنا بغير الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وعلى هذا يجب أن نطبِّق الإسلام على أنفسنا، ثمَّ ندعو إليه العالم، والعالم كلُّه في حاجة إلى الإسلام. البشريَّة المعذَّبة في الأرض لم تنفعها الرأسمالية ولا الشيوعية، ولن يجدوا دينًا ينقذهم من الجاهلية الحديثة، لن يجدوه إلَّا في الإسلام.

ذهبتُ إلى أوربا وأمريكا، فوجدتُ النَّاس يدخلون في الإسلام كلَّ يوم، ويمكن أنْ ينتشر الإسلام أكثر وأكثر لولا سوء حال المسلمين.

إنَّهم ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين، ويقولون: إذا كان الإسلام يدعو إلى العِلم، فما بال المسلمين جهلاء؟ إذا كان يدعو إلى التقدُّم، فما بال المسلمين متخلفين؟ إذا كان يدعو إلى النظام، فما هذه الفوضى في حياة المسلمين؟ إذا كان يدعو إلى النظافة، فما بال بلاد المسلمين أقذر بلاد العالم؟ إذا كان يدعو إلى الوحدة، فما لكم متفرقين؟!

وأذكر حادثة أقولها لكم.

رجل غربي دخل في الإسلام، اعتنق الإسلام عن طريق الكتب، قرأ عن الإسلام فأُعجب به، وآمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، ولكنَّه بعد عدة سنين أراد أنْ يقوي دينه بالحج إلى بيت الله الحرام.

هناك ذهب إلى موسم الحجِّ، فرأى سوء حال المسلمين، وسوء نظامهم، ورأى الفوضى، وعدم الأدب في المعاملة، وغير ذلك، ممَّا قرأ ضدَّه في كتب الإسلام، فماذا قال؟

قال هذه الكلمة: الحمد لله الَّذي عرَّفني الإسلام قبل أنْ أعرف المسلمين!

QaradawiBooks.com

نحن صورة سيئة للإسلام.

لماذا يا مسلمون؟ لماذا لا نعود إلى ديننا؟ لماذا لا نكون مسلمين حقًّا؟ نعمل بالإسلام، ونعمل للإسلام. لماذا لا نوقف حياتنا وجهودنا على نُصرة هذا الدين؟

أيُّ دين في الدُّنْيا وجَد من يدعون إليه، ويعملون له. حتَّى الشيوعية الباطلة وجدت لها أنصارًا ورجالًا، الماسونية وجدت رجالًا، اليهودية أقامت لها دولة في قلب بلاد المسلمين، النَّصرانيَّة لها مبشِّرون ومبشِّرات بعشرات الألوف في أنحاء العالم. كلُّ مذهب له أهله وأنصاره ورجاله. فأين أنصار الإسلام؟ أين رجال الإسلام؟

كونوا أنتم رجال الإسلام، كونوا أنصار الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

دعوة الإسلام لا تحمل عدوانا أو تعصب ضد أحد:

يا أيُّها الإخوة، كلمة أريد أنْ أختم بها: إنَّ دعوتنا إلى الإسلام لا تحمل أيَّ عدوان على أحد، ولا تحمل أيَّ تعصُّبٍ ضدَّ أحد.

حينما ندعو إلى الإسلام، إنَّما ندعو إلى المُثل العليا، إنَّما ندعو إلى القِيم الرفيعة الَّتي جاء بها الأنبياء، ونادت بها كلُّ الرسالات. القِيم والمُثل الَّتي نادى بها موسى وعيسى، ونادى بها بعد ذلك خاتمهم مُحَمَّد ﷺ.

فلنحرص جميعًا على الإسلام، ولنعش بالإسلام، ولنمت على الإسلام، وليكن شعارنا: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

QaradawiBooks.com

أســأل الله تعالى أنْ يجعل يومنا خيرًا من أمْسِنا، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا، ويُحسِــن عاقبتنا في الأمور كلِّها، ويجيرنا مــن خِزْي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على المسلمين، ونذير وبال وحسرة على الظلم والظالمين.

اللهمَّ أعِدْ أمثالَه على أُمَّتنا الكبرى من المحيط إلى المحيط بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وصيتي إلى الإخوة أنْ ينصرفوا في هدوء مشكورين مأجورين، ومن جاء من طريق فليرجع من طريق أخرى.

تهنئة المسلمين بعضهم لبعض: تقبَّل الله منَّا ومنكم.

زوروا بعضكم بعضًا، وتواصلــوا فيما بينكم؛ فإنَّ الصلة من أهداف الإسلام، ومن مبادئ الإسلام.

وصلَّى الله على مُحمَّد وآله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٢ ـ ٧	٢٤٠
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٤٧
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	١٤٧
سورة البقرة		
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	٢٠٦
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	١٨	٣٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٢٨، ٣٤
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾	٣٥	١٥٢
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٣٧	٤٧
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	١٦
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾	١٠٦	٢٥٨
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾	١١٥	٢٥٩، ٣٤١

QaradawiBooks.com

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـــــــة
٢٥٨، ٢٥٩	١٤٢	﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾
١٧٤، ٢٥٩، ٢٦٠	١٤٣	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾
٢٥٧، ٢٥٨، ٣٢١	١٤٤	﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾
٧٨، ١٠٨	١٥٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾
٧٨	١٦٠	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾
٣٥	١٧١	﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
٢٦٠	١٧٧	﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾
٢٥٦، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٣٨	١٨٥	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾
١٥٥	١٨٧	﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾
٢٧٩	١٩٧	﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾
٥٧	١٩٨	﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ﴾
٥٧	١٩٩	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾
٣١٠	٢١٤	﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾
٧٢، ١٢٧، ١٣٩	٢٢٢	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾
١٥٥	٢٢٣	﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾
٣٦٩	٢٤٩	﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾
٢٢٢	٢٨٥	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾
٢١٢	٢٨٦	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾	٤٢	٢٢١
﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	٦١	١٠٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	١٠٠	١٨٦
﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾	١٠١	١٨٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	١٨٦
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	١٠٣	١٨٧
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾	١٠٤	١٨٧
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾	١٠٥	١٨٧
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	١٠٦	١٨٧
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	١٨٧
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	٣٥٢
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾	١٣٣	٢٥
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٣٢٧
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾	١٤٦	٣٢٦
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا ﴾	١٤٧	٦٠، ٨١، ٩٨، ١٠٦، ١١٥، ١٣٥، ١٥٠، ١٦٦، ١٩٧، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٩٥، ٣١١، ٣٣٥، ٣٥٧، ١٣٠، ٣٢٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	١٥٤	٩٤
﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم﴾	١٦٠	٣٢٦
﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ﴾	١٦٥	١١٠
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٣٢١
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٤٦
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ﴾	١٨٥	٨٥
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	١٥٤
﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	١٢٢
﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	٣١	٧٣
﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾	٣٤	١٦١
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾	٧٨	٩٤
﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾	٧٩	١٠٠
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٣٢٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾	١١٦	٢٥١
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	٢٣، ٣٦٨
﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٤٢	٣٦٧
﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	٣٦٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٥٤	٣٥٥
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾	٦٥	١٠٧
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾	٦٦	١٠٧
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾	٨٢	٣٣٢
سورة الأنعام		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾	٤٢	١٢٩
﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	٤٣	١٢٩، ١٣٠
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾	٥٩	١١٨
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾	١٥٣	١٨٦، ٣٧٢
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	٣٤٩
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	١٥، ٢٠٥، ٣٧٤
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٢٠٥، ٣٧٤
سورة الأعراف		
﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾	١٩	١٥٢
﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾	٢١	٤٦
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٤٧، ٦٩، ١٠٠، ١١٢، ١٢٦، ٢٩٢
﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٨٥
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٨٠	١٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	٨١	١٤٠
﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾	٨٦	١٧٤
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٨٧
﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	١٢٩	٣٤
﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾	١٥٧	٤٠
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾	١٦٧	٣٣٢
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	٣٥، ٣٦، ٢٧٦
سورة الأنفال		
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾	١٧	٢٩٩
﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ﴾	٢٥	١٠٢
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٣٥٢
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾	٣٠	١٩٥
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٥١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٤٥	١٨٨
﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾	٤٦	١٨٨
﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	٥١	١٤٦
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	٥٣	١٠٦
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٣٥١، ٣٦٨
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٧٣	١٦٩، ١٨٨، ٢٩٢، ٣١٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾	٣٢	١٧٥، ٢٢٤
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	٣٣	١٧٥، ٢٢٤، ٣٦٨
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾	٣٦	٢٤٨
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧١	١٧٣
﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٧٤	٥٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾	١١١	٣٥٣
﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾	١١٢	٧٩
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾	١١٨	٦٨
سورة يونس		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾	٧	٢٧٠
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	٨	٢٧٠
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾	٢٢	١٢٨
﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾	٢٣	١٢٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	١٤٦
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٣٨
سورة هود		
﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	١٨	١٠٨
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٣٤

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً﴾	٨٢	١٤٠
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	١٤٠
﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٧٠
سورة يوسف		
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٢١	٣١١
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾	٢٣	١٤١
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	١٧٣
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	١٠١	٨٧
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	١٧٩
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٧	٣١٧، ٣٥٣
﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٣٩	٢٥٥، ٢٥٦
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾	٧	١٠٤
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	٣٢ ـ ٣٤	٢٩
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٢٠١
﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾	٢٩	٢٨، ٣٦، ٤٧، ٢٨٤
﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	١٧٣
﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾	٩٩	٢٠٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾	١٤	٢٩
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	١٨	٦٥
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٤٥، ١٠١
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾	٦١	٨٥، ١١٠، ١٢٩
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٧٢	١٥٣
﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	١٢٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٦٠، ٣٥٧
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾	٩٧	١٠٥
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾	١١٢	١٠٤
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾	١٢٣	٢٥٧
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	١	٢٣٣
﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٩	٢٧٤
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٢٣	٢٢٨، ٢٢٩
﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾	٢٤	٢٢٨، ٢٢٩
﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾	٢٥	٧٠
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	١١٢
﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾	٥١	٣١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	٣١٧
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾	٨٥	٣١، ١٢١
سورة مريم		
﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	٥٩	٣٧، ٢٤١
سورة طه		
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾	١٠٥ ـ ١٠٧	١٢٤
﴿وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ﴾	١١٤	١٥
﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾	١٢٠	٤٦
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢١، ١٢٢	٤٦
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾	١٢٣ ـ ١٢٦	١٠٣
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٣١٧
﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٣٣	١٣٨
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾	٣٤	٨٧
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾	٣٥	٨٧، ١٢٠
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾	٤٧	٢٦٩
﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾	٧١	٢٤٢، ٣٠٢
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾	٧٤	١٤٠
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٨٧	١٣٢

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٨	١٣٢
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	١٩٣
سورة الحج		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾	١	١٢٤، ١٢٥
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾	٢	١٢٥
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾	٤٠	٣١٠، ٣٤٧
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	٣١٠، ٣٤٧
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾	٤٦	٣٥
سورة المؤمنون		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾	٥ ـ ٧	١٤٣
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾	٧٦	١٢٩
﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾	٩٩، ١٠٠	٩٧
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	٢٦٨
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾	١١٦	٢٦٨
سورة النور		
﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾	١٥	٥٤
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾	٢٢	٢٥٣، ٢٥٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٢٣	١٠٨، ٢١٧
﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	٢١٧
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ﴾	٣٠	١٤٢

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٥١، ٦١، ١٤٢
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾	٣٢	١٤٣، ١٦١
﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾	٣٧	٢٧٤، ٢٨١
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٥٥	٢٢٦
سورة الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾	٢	١١٨
﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾	٣٠	٢٦٢
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٣٥
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾	٤٤	٣٥
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	٥٤	١٥٤
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾	٧٠	٧١، ٧٢
﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	١٦٦، ٣٥٧
سورة الشعراء		
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٨، ٨٩	٤٤، ٢٩٢
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	١٤٠
سورة النمل		
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	٥٥	١٣٩
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٦٤	١٨٤
﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٨٨	٣٢

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾	٢٣	١٦٣
﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾	٢٤	١٦٣
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	١٢٠
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾	٤٥	٤٢، ٦٠، ٨١، ١١٦، ١٣٥، ١٥٠، ١٨١، ١٩٧، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٧٨، ٣١٢، ٣٣٦
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	٥٧	٨٥
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾	٤ ـ ٦	٢٤٤
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾	٢١	١٥٤
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	٢٧٠
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	٤١	٦٦، ١١٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٦
سورة لقمان		
﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾	٣٣	٧٥، ٩٥، ٢٦٦
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	٣٤	٨٤، ٨٥، ٢٧١
سورة الأحزاب		
﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٦	٢١٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢١	١٨٤، ٢٠٢، ٢١١
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾	٣٢	٢١٦
﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	٣٣	٢١٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ ﴾	٥٦	٤١، ٩٩، ١١٥، ١٣٥، ١٥٠، ١٨١، ٢١٢، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٩٦، ٣٣٦
سورة سبأ		
﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	٣٩	٣٥٦
سورة فاطر		
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾	١٠	٢٥٤
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾	٤٥	١٤٦
سورة يس		
﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾	٧٨	٢٧٠
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٩	٢٧٠
سورة الصافات		
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾	٦	٢٦
سورة ص		
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٢٧	٩٧، ٢٦٨
﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٨	٩٧، ٢٦٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٢٩	٣٥٠
﴿ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾	٧١	٢٧، ٢٨
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٧٢	٢٧، ٢٨، ٣٦، ٤٧، ٢٨٤
سورة الزمر		
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾	٨	١٢٨
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾	٣٠، ٣١	٨٧
سورة غافر		
﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٣	٤٠
سورة فصلت		
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٢٤٦
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	٥٣	٣٢، ٣٣٤
سورة الشورى		
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾	٣٠	٦٦، ١١٠، ١٤٦
﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	٣١	١٢٢
سورة الدخان		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾	٣ ـ ٥	٢٥٦
سورة الجاثية		
﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	١٩	٣١٣
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٢١	٢٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	٢٢	٢٦٨
﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾	٢٤	٩٧، ٢٦٧
سورة الأحقاف		
﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾	٢٩	٢٣٧
﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾	٣١	٢٣٨
سورة محمد		
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	٣٨
﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾	١٧	٣٤١
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	١٠٨
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾	٢٣	١٠٨
﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾	٣٥	٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	١٧٣
﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	١١	٥١، ٦١
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	١٣	١٥٩
سورة ق		
﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	١٩	٨٩
﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾	٣٢	٤٤
﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾	٣٣	٤٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الذاريات		
﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	١٧، ١٨	٥٧
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢٠، ٢١	٣٢
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	٤٧	٢٥
﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	١٥٢
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٢٤، ٣٣، ٤٣، ٢٠٤
﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾	٥٧	٢٤، ٢٠٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	٥٨	٢٠٤
سورة النجم		
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	١ ـ ١٨	٢١١، ٢٣٣
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾	٣ ـ ٥	١٩٩
﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	٣٧، ٣٨	٤٧
سورة القمر		
﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾	٤٥	٢٩٩
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	١١٨
سورة الواقعة		
﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾	١ ـ ٦	١٢٤
سورة الحديد		
﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢١	٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحشر		
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾	٢	٣٠٥
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٢٥٢، ٣١٦
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	٤١، ٦٠، ٩٩، ١٣٥، ١٦٦، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٧٨، ٢٩٥، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٧٥
سورة الصف		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٢	١٦
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	١٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١٨٠، ١٨٨
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾	٩	٣٦٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ﴾	١٤	٣٧٤
سورة الجمعة		
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾	٨	٩٣
سورة المنافقون		
﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾	٧	٣٥٦
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٣٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٩	٥٠، ٨٥
﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾	١٠	٥٠، ٨٥
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٢٧، ٥٠، ٨٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾	٢، ٣	١٠٧
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾	٤	١٠٧
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾	١٢	٢٤، ٣٠، ٣٠
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾	٨	٥١، ٦٢
﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾	١٢	٢٢١
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾	٢	٩٦
﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾	٥	٢٦
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾	٤	٢٠٢
سورة الحاقة		
﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۞ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾	١٤، ١٥	١٢٤
﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾	٢٨، ٢٩	٩١
سورة المعارج		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾	٢٩ ـ ٣١	١٤٣
سورة نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	٤	٥٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجن		
﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾	١٦	١٠٧
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	١٣٦
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾	٢٢، ٢٣	٣٣
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۞ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾	٣١ ـ ٣٥	٣٤٠
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾	٢	١٢٠
سورة النازعات		
﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾	٣٣	٣٠
سورة عبس		
﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۞ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾	٣٣ ـ ٣٧	٢٦٦
﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾	٣٧	١٢٦، ٢٦٦
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۞ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۞ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾	٣٨ ـ ٤١	٣٢
سورة التكوير		
﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾	٢٣	٢٣٤
سورة المطففين		
﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	١٤	٥، ٤٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾	١٥	٣٣
﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾	٢٦	١٩٦
سورة الضحى		
﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾	٥	٢٥٨
سورة القدر		
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾	١	٢٥٦
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٤٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾	٧	٣٦
سورة الزلزلة		
﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۞ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾	١ ـ ٥	١٢٤
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾	٧	٢٦٩
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾	٨	٢٦٩
سورة القارعة		
﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾	٥	١٢٤
سورة العصر		
﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾	١ ـ ٣	٤، ٣٧٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾	٣	٣٩

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٨٥	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!
١٢٧	احفَظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظ الله تجِدْه أمامَكَ، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء
١٥٩	إذا أتاكم من ترضَون خُلُقه ودينه فزَوِّجوه، إن لا تفعلوا
٢٨١	إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنّة، وغُلِّقت أبوب النار، وصُفِّدت الشياطين
٢٧٧	إذا دخل المسجد، كان في صلاة ما كانت تحبسه
١١٣	إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت ـ والإمام يخطب ـ فقد لغوت
١١٤	إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد
٢٦٩	إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم
٢٨٥	أرأيتم لو أنَّ نهرًا على باب أحدكم، يغتسل فيه كلَّ يوم خمس مرات
١١٤	أصليت؟. قال: لا. قال: فصلِّ ركعتين
٢٦	أعمار أُمَّتي ما بين السِّتِّين إلى السبعين
٣٣٩، ٣٦٢	أغْنُوهم عن الطواف في هذا اليوم
٢٠٧	أفلا أكون عبدًا شكورًا؟

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أكثروا ذكر هاذم اللذَّات: الموت	٨٢
ألا أدلكما على ما هو خير من خادم؟. قالا: بلى يا رسول الله	١٦٤
ألا تسمع قول الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣٢
ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله	٥، ٤٤
اللهمَّ أعِنِّي على سكرات الموت	٨٨
اللهمَّ اغفرْ لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مِنِّي	٥٦
اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلَّة حيلتي، وهواني على النَّاس	٢٣٦
اللهمَّ ربنا لك الحمد مِلءَ السماوات والأرض، ومِلء ما شئتَ من شيءٍ بعد	٢٥، ٢٠٨
اللهمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض	٢٠٦
اللهمَّ لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري	٢٠٨
اللهمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره	٢٠٨
أمَّا غنيكم فيزكّيه الله، وأمَّا فقيركم فيردّ الله عليه أكثر ممَّا أعطى	٣٣٩
إنَّ الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر	٣٥٩
إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صُوَرِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبكم	٤٤
إنَّ عبدًا أصاب ذنبًا فقال: يا ربِّ، إنِّي أذنبتُ ذنبًا فاغفرْه	٦٩
إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نكتة سوداء	٥
إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نُكتة، فإن هو نزع واستغفر صقلت	٤٨
أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيرًا	٤٠، ٥٩، ٩٨، ١٣٤، ١٤٩، ١٦٦، ٢١٢، ٣٣٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد	٨٣
إن كنت صادقًا فأنت أعظم من أن أكلمك	٢٣٥
إنَّ للصائم عند فطره لدعوة ما تردُّ	٢٩٣
إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنَّه قاعد تحت جبلٍ يخاف أنْ يقع عليه	٥٣
إنَّا معاشر الأنبياء، أُمرنا أن نعجِّل فطرنا، وأن نؤخِّر سحورنا	٢٨٩
انظروا إلى عبادي، أتوني شُعثًا، غُبرًا، ضاحين	٣٦٠
أنْظِروا هذين حتَّى يصطلحا، أنظروا هذين حتَّى يصطلحا	٢٥١
أنَّه في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلَّا استجيب له	٢١٢
أنَّه في يوم الجمعة ساعةَ إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير	١٤٩
إنِّي أُوعَكُ كما يُوْعَك رجلان منكم	٨٨
أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟. قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون	٣٥٤
ب	
بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا	٣٤٧
بسم الله. فعجب الغلام أنْ يسمع هذا، وقال: هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد	٢٣٧
بل أرجو أن يَخرج من أصلابهم من يعبدُ الله وحدَه لا يشرك به شيئًا	٢٣٧
ت	
تزوَّجوا النساء يأتِينَّكم بالأموال	١٦٢
تزوَّجوا الودود الولود؛ فإنِّي مُكَاثِر بكم الأنبياء يوم القيامة	١٥٣
تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم	٢١٠
تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس	٢٥١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
تقاتلون اليهود فتسلطون عليهم	٣٢٨، ٣٣٢
تلاوة القرآنِ وذِكْرُ الموت	٨٣
تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها	١٦١
ث	
ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حين يفطر	٢٩٣
ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا	٢٥٤
ثم خطب، فرأى أنَّه لم يُسمع النساء، فأتاهن، فذكرهن	٣٥٦
ح	
الحجُّ عرفة	٦٣
حدٌّ يُعمَل في الأرض خير لأهل الأرض من أنْ يُمطروا أربعين صباحًا	١٠٢
خ	
خُلقه القرآن	٣٥٠
خير الصداق أيسره	١٥٧
خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت	٢٤٦
د	
دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة	٢٥٢
دعوة ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾	١٣٢
الدنيا كلُّها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	١٦١
ذ	
ذاكَ شهرٌ يَغْفُل النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال	٢٤٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ذانك يومان تُعرض فيهما الأعمال على ربّ العالمين	٢٤٩
ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى	٢٩٣
ر	
رأى رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من النار	٢٣٨
رأى عقوبة الَّذين يغتابون النّاس، يخمشون وجوههم بأظافر من نُحاس	٢٣٨
رب اغفر لي وارحمني، واجبرني وارفعني، وارزقني واهدني	٢٠٨
ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ؛ إنَّك أنت التَّوَّاب الغفور	٥٥
رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع	٢٨٣
رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي	٢٤٨
رض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر	٣٦١
س	
سبحان الله العظيم. وإذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم	١٣١
سبحان الله! ما أُنزل الليلة من الفتن؟ ماذا أُنزل من الخزائن؟	٢٠٩
السبعة الَّذين يظلِّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه	١٤٣
سُبوح قُدوس ربّ الملائكة والروح	٢٠٨
ستكون فتن كقطع الليل المظلم. قلت: يا رسولَ الله، وما المخرج منها؟	٣٤٩
سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك	٣٦٧
السماء أمطرت يومًا فاضطر إلى إقامة العيد في المسجد	٣٤١
سماه النَّبي ﷺ عام الحزن	٢٣٥
سيِّدُ الاستغفار: اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلٰه إلَّا أنت خلقتني وأنا عبدك	٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ش	
شاهت الوجوه	٢٩٩
ص	
الصلوات الخمس، والجُمعة إلى الجُمعة، ورمضان إلى رمضان مكفِّرات	٥٢، ٢٨٦
صليت مع النَّبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة	٢٠٧
صليت مع النَّبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا	٢٠٧
الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ	٢٨٠
ع	
عبادي، إنِّي ما خلقتكم لأستأنس بكم مِنْ وَحْشة، ولا لأستكثر بكم	٣٤
غ	
غُثاء كغُثاء السيل	٣٦٩
ف	
فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر	٣٦١
فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم	٣٦١
فسماه النَّبي ﷺ عام الحزن	٢٣٥
ق	
القبر أوَّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه	٢٧٢
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل	٢٤٠
قم يا بلال فأرحنا بالصلاة	٢٠٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كان إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مئزره، وأحيا ليله	٢٠٩
كان إذا لقيه جبريل يكون أجود بالخير من الريح المرسلة	٢٠٩
كان رسول الله ﷺ يُفطر قبل أنْ يصليَ على رطبات	٢٩٠
كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق	٣٥٦
كان يصوم حتَّى يُقال: لا يُفطر، ويُفطر حتَّى يُقال: لا يصوم	٢١٠
كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون	٦٨
كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف	٢٨٥
الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها	١٤٧
كن في الدُّنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل	٢٧١
الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت	٦١، ٩٤
كيف أنتم إذا طغى نساؤكم، وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟	٣٤٨
كيف تجدك؟. قال: أرجو الله يا رسولَ الله، وإنِّي أخاف ذنوبي	٨٩
ل	
لا إله إلَّا الله العظيم الحليم، لا إله إلَّا الله ربُّ العرش العظيم	١٣١
لا تختلفوا؛ فإنْ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	١٨٧
لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين	٣٠٠، ٣٢٩
لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرُّهم من خذلهم	١٧٦
لا تُشد الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد ـ أي: للصلاة فيها قصدًا	١٨٢، ٢٤٢
لا تصاحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقي	٢٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون	٢٤٣، ٣٢٨
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	١١٣
لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين	٢٩٠
لا يحل لمسلم أنْ يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا	٢٥٤
لا يزال النَّاس بخيرٍ ما عجَّلوا الفطر	٢٨٩
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق	٧١
لا يقل أحدكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهمَّ ارحمني إن شئت	٢٥٦
لا يؤمن أحدكم حتَّى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه	٢٥٢
لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أنْ يكون لك حمر النعم	٢٤٦
لتُعِرْها أختها من جلبابها	٣٤٢
لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش	٢٢٥
لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة	٢٦٩
لعن آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه	١٠٨
لعن الله الواصلة والمستوصلة	١٠٩
لعن الراشي والمرتشي والرائش	١٠٩
لعن شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها	١٠٨
لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته	٥٤
للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرِح بفطره، وإذا لقي ربَّه فَرِح بصومه	٣٣٨، ٣٦٠
لم تظهر الفاحشة في قومٍ قطُّ حتَّى يعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون	١١٢، ١٤٤، ١٤٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرًا أكثر من شعبان	٢٤٩
لو تركنا هذا الباب للنِّساء	٢٩٤
ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم	٨٨
م	
ما آمن بي ـ وفي رواية: ليس المؤمن ـ من بات شبعانًا	٣٦٣
ما أصدق رسول الله امرأة من نسائه، ولا أصدق امرأة من بناته	١٥٧
ما رأيتُ رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط	٢٤٩
ما رأيت منظرًا قط إلَّا والقبر أفظع منه	٢٧٢
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه	٣٦٢
ما يُبدَّل القول لديّ، هي في العمل خمس وفي الأجر خمسون	٢٣٩
ما يمنعكم من ذلك، ورسول الله بين أظهركم، يأتيكم بالوحي من السماء	٣٥٤، ٣٥٥
مدينة هرقل تُفتح أولًا	٢٢٥
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه	١٧٣
من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثمَّ راح في الساعة الأولى	٢٧٧
من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه	٢٨٥
من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه	٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩٠
من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم	١٧٢
من لم يدعْ قولَ الزور والعمل به، فليس لله حاجة أنْ يدع طعامه وشرابه	٢٨٢
من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها	١٥٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ن	
الندم تَوْبة	٦٣
نعم، إنْ قُتلتَ وأنت صابر مُحْتَسِب، مقبل غير مُدَبِّر، إلَّا الدَّين	٧٦
هـ	
هذا سبيل الله. ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سُبل	٣٧٢
و	
وأتبع السَّيِّئة الحسنة تمحها	٧٠
والصيام جنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب	٢٨٢
وأيكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربي ويسقيني	٢١٠
وجُعلت قرة عيني في الصلاة	٢٠٥
وكان إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مئزره، وأحيا ليله	٢٠٩
وكان إذا لقيه جبريل يكون أجود بالخير من الريح المرسلة	٢٠٩
ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صِحافِها	٣٦٧
ولينزِعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم	٣٢٥، ٣٥٢، ٣٦٩
ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه	٢٧٨
ومن وقع في الشُّبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى	٥٥
وينادي منادٍ: يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر	٢٨١
ي	
يا أيُّها النّاس، توبوا إلى الله؛ فإنِّي أتوب إليه في اليوم مائة مرَّة	٥٥
يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتك أستغيث	١٣١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله	٣١٠
يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنَّه أغضُّ للبصر	١٥٥
يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن	١٤٤
يُحشر النَّاس حفاة عراة غُرلًا. قالت عائشة: الرجال والنساء جميعًا	١٢٥، ٢٦٦
يطَّلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه	٢٥٠
يُغفَر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن	٧٥، ٧٦

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدِّمــة ٧

• مقدِّمــة ١٩

وينحصر عملي في هذا الكتاب في ٢١

❖ ١ ـ مُهِمَّة الإنسان ورسالته في هذا الكون ٢٣

رسالة الإنسان في الحياة ٢٤

الإنسان هو المقصود من خلق السموات والأرض ٢٤

الإنسان بروحه وليس بجسده ٢٧

الكون كله مسخر في خدمة الإنسان ٢٩

الإنسان مسخر لخدمة الرحمن ٢٩

الوثنية قلب للحقيقة ٣٠

حقيقة معرفة الله ٣١

معرفة الله طريق لعبادته ٣٣

شمول معنى العبادة ٣٤

الغافلون عن الغاية أضل من الأنعام ٣٥

QaradawiBooks.com

استعداد الإنسان للارتقاء والانحدار الروحي ٣٦
لماذا كانوا أضلَّ؟ ٣٦
غايات بعض الناس ٣٨
الإنسان الحقيقي هو الذي يصنعه الإسلام ٣٨
❖ **٢ ـ التـوبـة ٤٣**
أنواع العبادة ٤٣
التوبة أول خطوات الطريق إلى الله ٤٤
معنى التوبة ٤٥
ماذا تكون أنت لولا الله؟! ٤٥
التورط في المعاصي طبيعة إنسانية ٤٦
الإنسان لا يحمل ذنب غيره ٤٦
خطر التسويف في التوبة ٤٧
طول الأمل سبب التسويف في التوبة ٤٨
ألم تسمعوا؟ ٤٩
التوبة مطلوبة من كل الناس ٥١
أصناف الناس في التوبة ٥١
خطر الاستهانة بالصغائر ٥٢
ممَّ يستغفرون؟! ٥٧
وجوب المبادرة بالتوبة ٥٨
❖ **٣ ـ أركان التوبة النصوح وشروطها ٦١**
ما التوبة النصوح؟ ٦٢
يقظة القلب سبيل الندم ٦٣
الأسباب التي تعين على الندم ٦٥
١ ـ يتذكر حق الله عليه ٦٥

QaradawiBooks.com

٢ ـ يتذكر المعصية وشؤمها ٦٥
٣ ـ تذكر الموت وما بعده ٦٦
حقيقة الندم ٦٧
ثم يأتي الركن الثاني وهو العزم المصمم. ٦٨
ثم يأتي الركن الثالث وهو الإقلاع عن الذنب. ٧٠
فعل الصالحات في مقابل السيئات ٧٠
المعاصي تخدش الإيمان ٧١
شروط التوبة ٧٢
أنواع الكبائر ٧٣
كيفية التوبة من حقوق العباد ٧٤
الحقوق المالية لا تسقط بالتقادم ٧٤
التوبة من الذنوب المستمرة بعد الموت ٧٧
كيف تكون هذه التوبة؟ ٧٧
التوبة ليست كلامًا يُقال ٧٨

❖ **٤ ـ هاذم اللذَّات الموت ٨٢**

لا بد من ذكر الموت ٨٢
الموت الواعظ الصامت ٨٤
لا يدري أحد متى يأتيه الموت ٨٤
مولد الإنسان علامة موته ٨٦
لا ينجو أحد من الموت ٨٦
الخوف والرجاء عند الموت ٨٩
الموت قريب ٩٣
أصناف الناس أمام الموت ٩٥
الموت ليس فناء محضًا ٩٦

غير مخصصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

❖ **٥ ـ شؤم المعصية ١٠٠**
المؤمن يُرجع الفضل لله والشرُّ إلى نفسه ١٠٠
عقوبة المعاصي معجلة في الدنيا قبل الآخرة ١٠١
إقامة الحدود الشرعية تخفف من العقوبات القدرية ١٠٢
العقوبات القدرية تعم الصالح والطالح ١٠٢
المعصية شؤم على الفرد في حياته ١٠٣
المعصية تفقد النعمة الموجودة ١٠٣
التقوى والاستقامة تمنح الحياة الطيبة ١٠٥
المعصية شؤم على الكون كله ١٠٥
وجوب الرجوع إلى الله ١٠٦
بالإيمان والاستقامة تحصل البركات ١٠٦
المعصية تجلب اللعنات ١٠٧
الله تعالى يمهل ولا يهمل ١٠٩
أثر الانحراف والمعاصي على العالم اليوم ١١١
حضور النساء المساجد وأدب ذلك ١١٣
التبكير إلى صلاة الجمعة ١١٤
الصلاة والإمام يخطب ١١٤

❖ **٦ ـ زلزال مصر ١١٧**
موقف الناس من الكوارث الطبيعية ١١٧
الله تعالى هو الذي يسير الكون كله ١١٩
الاعتبار والاتعاظ بما يقع في الكون من أحداث ١٢٠
حكمة الكوارث الطبيعية ١٢٠
أولًا: الابتلاء والاختبار ١٢٠

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثانيًا: تنبيه الغافلين وإيقاظ النائمين ١٢٠
١ ـ طلاقة القدرة الإلٰهية ١٢١
٢ ـ معرفة الإنسان حجمه في الكون ١٢١
٣ ـ معرفة قيمة الدنيا ١٢٣
٤ ـ لفت الأنظار إلى زلزلة الساعة الكبرى ١٢٣
٥ ـ تنبيه العصاة ليتوبوا ١٢٦
النّاس أمام الشدائد والبلاء أصناف وأنواع ١٢٧
ما يصيب الناس هو من كسب أيديهم ١٢٩
أدعية الكرب ١٣١
المتاجرون بأرواح الناس ١٣٣

❖ **٧ ـ مرض الإيدز** ١٣٦
ما هو مرض الإيدز وما هي خطورته؟ ١٣٦
فما سبب ذلك كلِّه؟ ١٣٧
لا حرية مطلقة في هذا الكون ١٣٨
قوم لوط أول من ابتكر فاحشة اللواط ١٣٩
مباركة الكنيسة لهذا المنكر ١٤٠
الحضارة الحقيقية ترقى بإنسانية الإنسان ١٤١
التقليد الأعمى للحضارة الغربية ١٤١
تحصين الإسلام للمجتمع المسلم ١٤٢
عقاب الله بالمرصاد ١٤٤
الإيدز من العقوبات القدرية ١٤٤
نذر الله رحمة بعباده ١٤٥
تميز الأمة الإسلامية عن غيرها ١٤٦

QaradawiBooks.com

❖ **٨ ـ عقبات في طريق الزواج ١٥١**
الزواج في نظر الإسلام عبادة وقربة ١٥١
الزواج في نظر الإسلام قُربة وشريعة، وسُنَّة ربَّما وصلت إلى الفريضة ١٥١
الزواج فطرة إنسانية وفطرة كونية ١٥٢
الزوجية فطرة إنسانيَّة، وفطرة كونية ١٥٣
الزواج إبقاء للنوع الإنساني ١٥٣
الزواج أساس بناء الأسرة ١٥٤
الزواج حماية للإنسان ١٥٤
كثرة العزوبة والعنوسة ١٥٥
عقبات في سبيل الزواج ١٥٦
خير الصداق أيسره ١٥٧
عوامل نفسية عند بعض الشباب والفتيات ١٦١
لا داعي لهذه الخيالات والمبالغات ١٦٢
هناك عقبات نفسية عند الشباب، وعند الفتيات أيضًا ١٦٣
الدين جاء بالتيسير ١٦٥

❖ **٩ ـ المسلمون في مواجهة القوى المعادية ١٦٧**
ماضي الأمة الإسلامية ١٦٧
حاضر الأمة الإسلامية ١٦٨
جبهات الكفر جميعًا كلّها تألَّبت علينا ١٦٩
الجبهة الشيوعية ١٦٩
الجبهة اليهودية ١٦٩
الجبهة النَّصرانيَّة ١٧٠
الجبهة الوثنية ١٧٢
الدم الإسلامي أرخص دم في العالم ١٧٢

QaradawiBooks.com

موقف المسلمون من هذه المأساة ١٧٣
إمكانيات الأمة الروحية والمادية ١٧٤
الإسلام الذي نريده ١٧٥
المسلمون في العالم في حاجة إلى معونة ١٧٧
حاجة الأمة إلى صندوق عالمي للإغاثة ١٧٨

❖ **١٠ ـ توحيد العرب تحت راية الإسلام ١٨٢**
العرب عصبة الإسلام ١٨٢
الإسلام يدعو إلى الوحدة ١٨٣
عصر التكتلات ١٨٣
الوحدة فريضة دينية ١٨٣
كيد الأعداء لتفريق الأمة ١٨٥
الوحدة ضرورة دنيوية تقتضيها المصلحة والعقل ١٨٨
ضاعت الأندلس بسبب التفرق ١٨٩
العالم يتقارب رغم ما بينه من اختلاف ١٩٠
الإسلام لا العلمانية هو الذي يوحد العرب ١٩٢

❖ **١١ ـ ذكرى مولد الرسول ﷺ ١٩٨**
حقيقة الاحتفال بمولد النبي ﷺ ١٩٨
السيرة النبويَّة محفوظة ١٩٩
ليس في سيرة النبي ﷺ دائرة حمراء ٢٠١
ضرورة دراسة السيرة المحمدية ٢٠٢
الخطأ في فهم شخصيته ﷺ ٢٠٣
الجانب الرباني في سيرته ﷺ ٢٠٣
صلاته ﷺ ٢٠٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عبادة الحبِّ والشوق ٢٠٥
صلاته ﷺ بالليل ٢٠٦
أذكاره وأدعيته في الركوع والسجود ٢٠٨
صيامه ﷺ ٢٠٩

❖ **١٢ ـ قضية المرتد سلمان رشدي ٢١٣**
انتصار المجاهدين الأفغان ٢١٣
أعداء الإسلام لا يريدون لنا أن نفرح ٢١٤
قضية سلمان رشدي ٢١٤
قضية رشاد خليفة ٢١٥
الشجرة لا يقطعها إلَّا أحد أبنائها ٢١٥
إساءة سلمان رشدي إلى أمة الإسلام ٢١٦
غضب المسلمون في بريطانيا ٢١٧
غضب العالم الإسلامي ٢١٨
حكم سبِّ النبي ﷺ ٢٢٠
الغرب يقف ضد مشاعر المسلمين ٢٢١
المسلمون يغضبون من أجل المسيح عليه السلام ٢٢١
الحرب الصليبية لم تنتهي ٢٢٢
الدفاع عن سلمان رشدي في بلاد المسلمين باسم الحرية ٢٢٣
حسنات هذه القضية ٢٢٣
الله متم نوره ٢٢٤
عودة الإسلام إلى أوربا ٢٢٤
ظاهرة التفكك الأسري ٢٢٨

❖ **١٣ ـ ذكرى الإسراء والمعراج ٢٣٢**
الإسراء ثابت بنص القرآن الكريم ٢٣٣

QaradawiBooks.com

القرآن يشير إلى الإسراء ٢٣٣
التسرية عن النبي ﷺ ٢٣٥
إيذاء أهل الطائف للنبي ﷺ ٢٣٥
عفو النبي ﷺ عن أهل الطائف ٢٣٦
ثمار رحلة الطائف ٢٣٧
١ ـ إسلام عدَّاس ٢٣٧
٢ ـ إيمان الجن رسالته ﷺ ٢٣٧
٣ ـ رحلة الإسراء والمعراج ٢٣٨
مرائي النبي ﷺ ليلة المعراج ٢٣٨
فرضية الصلوات الخمس ٢٣٩
وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد ٢٣٩
الصلاة معراج المؤمن ٢٤٠
الصلاة بقيَّة الإسراء والمعراج ٢٤١
الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ٢٤١
رفض الاستسلام للأمر الواقع ٢٤٣

❖ **١٤ ـ ليلة النصف من شعبان ٢٤٨**
صيام النبي ﷺ في شعبان ٢٤٩
جواز قضاء ما فات من رمضان في شعبان ٢٥٠
فضل الله على عباده ليلة النصف ٢٥٠
الشرك والمشاحنة يمنعان المغفرة ٢٥١
أهمية سلامة الصدر ٢٥٢
تخصيص ليلة النصف بالعبادة ٢٥٥
تحويل القبلة ليلة النصف ٢٥٧
موقف اليهود من تحويل القبلة ٢٥٨

QaradawiBooks.com

الحكمة من تحويل القبلة ٢٥٩
تحويل القبلة ووحدة الأمة ٢٦١

❖ **١٥ ـ يوم الامتحان الأعظم ٢٦٤**
بين امتحان الدنيا والآخرة ٢٦٤
انشغال كل إنسان بنفسه في الآخرة ٢٦٥
والناس في هذا أصناف ثلاثة ٢٦٧
الصنف الأول ٢٦٧
الصنف الثاني ٢٧٠
الصنف الثالث ٢٧٣
الغفلة عن الآخرة أشر ما يصيب الإنسان ٢٧٥
التبكير يوم الجمعة ٢٧٧

❖ **١٦ ـ فضل شهر رمضان ٢٧٩**
رمضان أعظم مواسم الخير ٢٧٩
إدراك رمضان فرصة وغنيمة ٢٨١
الصيام المطلوب ٢٨٢
هل المعاصي تفطر الصائم ٢٨٣
رمضان شهر التطهر والسمو الروحي ٢٨٣
الصيام تدريب على العبودية لله ٢٨٤
الصيام والقيام من أسباب المغفرة ٢٨٦
حكم الاستخفاف بحرمة الشهر ٢٨٦
تدريب الصغار على الصوم ٢٨٧
الامتحانات والصيام ٢٨٨
آداب الصيام ٢٨٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعجيل الفطر ٢٨٩
الإفطار على تمرات ٢٩٠
تأخير السحور ٢٩٠
المواظبة على قراءة القرآن ٢٩١
صلاة التراويح ٢٩١
رمضان شهر التوبة ٢٩٢
رمضان شهر الدعاء ٢٩٢
صلاة النساء في المسجد ٢٩٤
❖ **١٧ ـ الذكرى السنوية للانتفاضة** ٢٩٧
إنَّها ثورة المساجد ٢٩٧
الأسلحة لا تقاتل بنفسها ٢٩٨
المساجد مصنع الرجال ٣٠٠
الصراع مع اليهود صراع عقيدة وحضارة ٣٠١
السلام لا يُتصور مع اليهود ٣٠٢
هذه أرضنا لا بدَّ أن نُقاتل عنها ٣٠٣
الغطرسة اليهودية ٣٠٤
قضية فلسطين قضية مستمرة ٣٠٤
المعركة مع اليهود معركة قديمة ٣٠٥
الصحوة الإسلامية تقلب الموازين ٣٠٦
الأمة لا تنهض إلَّا بالعقيدة ٣٠٧
العقيدة اليهودية تجمع اليهود ٣٠٨
قضية فلسطين يجب أن تكون إسلامية ٣٠٩
نصر الله قريب ٣١٠
واجب الأمة تجاه قضية فلسطين ٣١١

QaradawiBooks.com

❖ **١٨ ـ اتفاقية غزة وأريحا من مأساة البُوسنة إلى مأساة فلسطين ٣١٣**
الإسلام يُناوَش من كل جانب ٣١٣
تآمر الصليبيين على المسلمين في أوربا ٣١٤
الغرب لا يريد دولة إسلامية في أوربا ٣١٤
ربَّ ضارة نافعة ٣١٦
الله وحده مالك الكون ٣١٧
عداء الوثنية الهندوسية للمسلمين في الهند ٣١٨
قضية فلسطين إحدى مصائب الأمة ٣١٨
ما أخشى ما يخشاه الناس؟ ٣٢١
الخوف من الخطر الإسلامي ٣٢١
الإسلام سرعان ما يقوى وينهض ٣٢٢
اتفاق غزة أريحيا لم يأت بجديد ٣٢٣
ما السرُّ في هذا؟ ٣٢٥
البوسنة مثل يُحتذى ٣٢٦
الاتفاق ليس شأنًا فلسطينيًا فقط ٣٢٧
بشائر الرسول ﷺ في قتال اليهود ٣٢٨
المعركة مع اليهود دينية إسلامية ٣٢٩
لا نستعجل الثمرة قبل أوانها ٣٣٠
ماذا نقول لأبنائنا ٣٣٢
صيانة الدم الفلسطيني ٣٣٢
لا يأس ولا تشاؤم ٣٣٣
❖ **١٩ ـ خطبة عيد الفطر ٣٣٧**
التكبير زينة أعيادنا ٣٣٧
العيد فرح بتوفيق الله للطاعة ٣٣٨

QaradawiBooks.com

المسلم يشرك الفقراء معه فرحة العيد ٣٣٨
العيد ليس انطلاقًا للشهوات ٣٤٠
العيد ليس قطعًا للصلة بالله ٣٤٠
صلاة العيد في الخلاء سنة ٣٤١
إحياء السنن المهجورة ٣٤٢
ظهور الحركة الإسلامية ٣٤٣
الأمة ما زالت موصولة بالإسلام ٣٤٤
الإسلام وحده هو من يوقظ الأمة ٣٤٤
الخوف من الصحوة الإسلامية ٣٤٥
الجهر بالإفطار في رمضان ٣٤٦
بعض فتن العصر ٣٤٨
المخرج من الفتن ٣٤٩
المسلم الذي نريده لتحقيق النصر ٣٥١
كونوا أنصار الله ٣٥٥

❖ **٢٠ ـ خطبة عيد الأضحى** ٣٥٨
التكبير مظهر من مظاهر الإسلام ٣٥٨
معنى الله أكبر ٣٥٩
أعيادنا مرتبطة بالعبادة ٣٥٩
خصائص الأعياد الإسلامية ٣٦١
الربانية ٣٦١
الإنسانية ٣٦١
مصر إسلامية ولن تتخلى عن دينها ٣٦٣
ماذا نريد بالشريعة الإسلامية؟ ٣٦٦
الإسلام لا ينتصر وحده ٣٦٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا نريد الكثرة الغثائية ٣٦٩
الإسلام وحده مصدر عزتنا ٣٧٠
الإيمان وحده صانع البطولات ٣٧٠
لا وحدة إلَّا بالإسلام ٣٧١
الدعوة إلى الإسلام ٣٧٢
دعوة الإسلام لا تحمل عدوانا أو تعصب ضد أحد ٣٧٤

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٣٧٩**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٤٠١**
- **فهرس الموضوعات** **٤١٣**

❋ ❋ ❋

غير مخصصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com